

مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالمخطوطات وتحقيقها
وتاريخ العلوم عند العرب

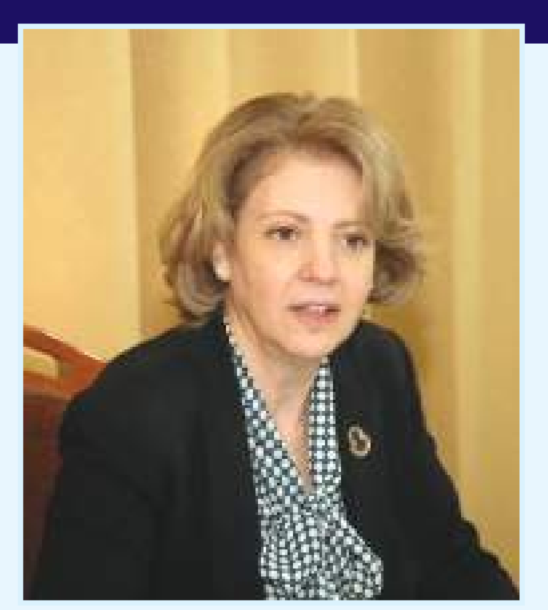
العدد (١) النصف الأول ٢٠٢١
تصدر عن وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب

المراسلة باسم السيد رئيس التحرير
Emai: syrbook.dg@gmail.com

السعر: 1000 ل.س أو مايعادلها



توثيق التراث وحمايته




الدكتورة لُبانة مشوِّح
وزيرة الثقافة

يُذهل المرء أمام العدد الهائل للمخطوطات العربية التي تختزنها مكتبات العالم. مخطوطات تحتوي ترجمات لمؤلفات القدماء من الفرس واليونان وفلسفتهم وعلومهم، وكنوزاً في مختلف صنوف العلوم والآداب التي برع بها العرب، وتأريخاً للأحداث، وتوثيقاً لعاداتٍ وتقاليدَ وأعراف وممارسات وطقوس توارثتها الأجيال عبر الزمن، وقيماً روحية، وجماليات تصويرية وزخرفية، غدت كلّها مجتمعة جزءاً لا يتجزّأ من المكوّن الثقافي للإنسان العربي.

أول مكتبة في العالم من حيث عددُ المخطوطات العربية والإسلامية التي تحتويها هي بلا شك مكتبة الكونغرس الأمريكي.

وفي المكتبة البريطانية وحدها ما يزيد على خمسة عشر ألف مخطوط عربيّ وإسلاميّ يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من أوائل القرن الثامن الميلادي إلى القرن التاسع عشر، جُمِعت بوسائل عدّة من أقصى العالم الإسلامي إلى أقصاه استحوذت عليها بريطانيا من مستعمراتها، ولا سيَّما في الهند وماليزيا وإندونيسيا والبلاد العربية، شراءً أو عن طريق الإهداء. ولعلّ أهمّ المجموعات التي وصلت إليها عن طريق المتحف البريطاني هي مجموعة الطبيب هانز سلون (١٦٦٠-١٧٥٣)،

وتحتـوي على قرابة ١٢٠ مخطوطة عربية. أما توماس هوارد (١٥٦٨-١٦٤٦) فقد جمع قرابة ٥٥٠ مخطوطـة محفوظة اليوم في المكتبة البريطانية. وهي تكاد تشـكّل، بعد مكتبة الكونغرس، أكبر مكنز لتلك النفائس العربية في أوروبا والعالم، منها على سبيل المثال لا الحصر مخطوطات مـن القـرآن الكـريم بالخط الكوفي إحداها منسـوبة إلى الإمـام علي بن أبي طالـب، ومخطوطات صـوفية للإمـام الغزَّاليِّ وعبد القـادر الجيلاني، وديوان كل من أبي تمـام والمتنبي، ومخطوطات في الطـب للرازي وأخرى في علوم النحو والعروض والصـرف، وكتب نادرة لها أهمية تاريخية وتوثيقية كبيرة. يُضـاف إليها مجموعة ضخمة من المخطوطات العربية التراثية التي تعود إلى القرون الأولى للإسـلام محفوظة في كل من جامعة برمنغهام والمتحف البريطاني. وهو ما شـرحه بإسـهاب البرفسور ج.د. بيرسـن في معرض حديثه عن المخطوطات الشرقية في أوروبا وأمريكا الشـمالية في مؤلَّفه الذي يحمل العنوان نفسـه، معترفاً بحقيقة أن الحضارة العربية الإسلامية كانت للغرب بمنزلة منارة علم ومنبع معارف ثرة.

أمّا فرنسـا، فقد أرسـلت في القرن السـابع عشـر بعثات مهمتها جمع المخطوطات الشرقية، وكان أولها بعثة الملك فرانسوا الأول إلى إيطاليا والبلاد العربية سعياً لاقتناء نفائس المخطوطات العربية والإسلامية، إدراكاً منه لقيمتها في بناء صرح المعرفة وضمان التقدم. ومع الوقت أصبح مخـزون المكتبـة الوطنية الفرنسـية من تلـك المخطوطات بالآلاف اشـتُرِيَتْ أو اسـتحوذ عليها إهداء أو استيلاء. جمع كثيراً منها الرحالة والدبلوماسيون ورجال البعثات الدينية التبشيرية والدارسون، إلى أن بلغ عدد تلك المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية الفرنسية وحدها قرابة ٧٣٠٠ مخطوط، ناهيك عن الكتب التي يربو عددها على ٤٥ ألف كتاب...

لطالما كانت سورية حاضنة للتراث العربي الإسلامي حافظة له مبرزة للقيم التي يجسدها، غَدَتِ اليوم أحرص من أي وقت مضى على التمسك بهذا الدور الريادي الذي اضطلعت به.

مـن هنا، أطلقنا مشـروع مجلة المخطوط العربي الذي نرجو أن يكـون بداية عودة الوعي بأهمية الكنوز التي يجسـدها، وسَـبْرِ أغوارها، واستقاءِ العبر من جهود السلف في شتى ميادين العلوم... لعلّ الراية تعود لأصحابها.... ولكلّ مجتهد نصيب.



المخطوطات العربيَّة وعوادي الزمن

د. ثائر زين الدين
المدير العام للهيئة العامة السوريّة للكتاب

ما أنتجت حضــارةٌ من الحضــارات من المخطوطات ما أنتجته الحضــارةُ العربيّة الإسلاميّة، ومردُّ ذلك إلى أن أهـلَ تلكَ الحضــارة قد أقبلوا على الكتابةِ والتأليف والترجمةِ عن اللغـات المختلفة، وفي مراحل مختلفة من عمر تلك الحضارة، إقبالاً قلَّ نظيرهُ حتى في الحضارات العظيمة التي عاصرتهم، كالحضارة الفارسيّة والبيزنطيّة.

لقـد نمـت دور الكتب في حواضر العربِ يومذاك – كما تذكر المســتشرقة الألمانيّة زيغريد هونكه– «في كل مكان نمـو العشـب في الأرض الطيبة، ففي عام (٨٩١) م أحصــى مســافرٌ عـددَ دُور الكتب العامة في بغـداد بأكثر من مئة، وبدأت كل مدينة تبني لها داراً للكتب يستطيع عمرو أو زيد من الناس استعارة ما يشاء منها، وأن يجلس في قاعات المطالعـة يقـرأ ما يريد، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون في قاعات خصصــت لهم، يتجادلون ويتناقشـون كما يحدث اليوم في أرقى الأندية العلمية»[١].

وقد عبر وول ديورانت عن روح ذلك العصر بقوله: «لم يبلغ الشغف باقتناء الكتب والمخطوطات في بلد آخر من بلاد العالم – اللهم إلا في بلاد الصين – ما بلغه في بلاد الإسلام في هذه القرون، حين وصل إلى ذروة حياته الثقافية، وأن عدد العلماء في آلاف المساجد المنتشرة في البلاد الإسلامية من قرطبة إلى سمرقند لم يكن يقل عن عدد ما فيها من الأعمدة»[٢].

وتؤكد المســتشرقة الألمانية هونكه شـغفَ العـرب بالكتبِ والمخطوطات، والعمل علـى اقتنائها وجمعها فتقول: «وما دام الأمراء العرب قد جُنّوا شغفاً بأوراق البَرْدي والبرجمون نصف الممزّقة، فإنَّهُ لم يكن هناك من طريق لكسب

١– زيغريد هونكه، شـمس العرب تسـطع على الغرب / أثر الحضــارة العربيّة في أوربّة، نقله عن الألمانيّة: فاروق بيضـون وكمال دسـوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٩٣م، ص٣٨٥.

٢– وول ديورانت: قصة الحضارة، تعريب أحمد بدران، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠ ج١٣، ص ١٧١.

صداقتهم أنجح من إهدائهم بعض لفائف الكتب التي تراكم الترابُ فوقها. هذا ما فكَّر به قاطنو البوسفور، فأرسلوا لعبد الرحمن الثالث أمير الأندلس حقيبةً كبيرةً- بغية توطيد الصداقة معه- ملأى بالمخطوطات القديمة، ومن بينها تعاليم الطب والعلاج لديسقوريدس. وكان ثمن بيع هذا الفكر القديم باهظاً، ولكن العرب كانوا على استعداد دائم لدفعِ الثمن مهما كان. وأرسلت البعثاتُ الخاصةُ من بغداد إلى بيزنطة- للبحث عن كنوز العلم- حاملةً أكياساً من النقود، وأصبحَ اقتناء المخطوطات التي لم تترجم حتى ذلك الحين هواية الأمراء والوزراء وسراة القوم»[٣].

ثم انتقلَ العربُ من مسألة الجمع والنقلِ إلى التأليفِ ووضع الكتبِ في مختلفِ وجوه المعرفة، وإن استمرت عملياتُ الترجمةِ وبوتائر متسارعة، حتى زخرت مكتباتهم بآلافِ المخطوطات المترجمة والمؤلفة، ويكفي أن نذكرَ أنَّ «مكتبة الخليفة العزيز في القاهرة قد حوت ١٦٠٠٠٠٠، نعم مليوناً وستمئة ألف مجلّد، منها ٦٥٠٠ مخطوطة في الرياضيات، و ١٨٠٠٠ مخطوطة في الفلسفة، وكذلك فعل الوزراء ورجالُ الدولة كما أسلفت، فقد تركَ الوزير المهلبي عند وفاته عام ٩٦٣م مجموعةً من ١١٧٠٠٠ مجلد، وجمع أحد قُضاته ١٠٥٠٠٠٠ مجلد»[٤].

ولن أتابعَ – لضيقِ المكان- حديثي في هذا الأمر، ويكفي أن أحيلكم على عدد غيرِ قليل من المصادر والمراجع التي تناولت ذلك، وأنصفت الحضارة العربيّة في هذا الباب، ولعلَّ واحداً من تلك الكتبِ بالغة الأهميّة وهو «**مختصرُ تاريخ الطب عند العرب**»[٥]، للدكتور كمال السامرائي قادرٌ على كشفِ الغطاء عن إسهاماتِ الحضارة العربيّة الإسلاميّة في مجالِ الطبِّ فحسب ترجمةً وتأليفاً، ومقدار ذلك الكم والنوع الكبيرين من المخطوطات التي تركها أجدادُنا في مختلف فروع الطب والصيدلة وسواهما، ولعلَّ كثيراً من تلك المخطوطات كانت مادةً فيما بعد للجامعات والمعاهد الأوربيّة لتنهض عليها، فمنذ أُسست جامعة الصوربون الفرنسية سنة ١٢٥٨ –على سبيل المثال لا الحصر- راحت تُدرّسُ الطب لأربعة قرونٍ تقريباً باللغة العربية، وبالمناهج التي ترجمها وألفها العلماء العرب.

حتى صَرَّح باحثٌ غربيٌّ منصف بقوله: «إن العربَ لم يُنقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال، ونظَّموها ورتَّبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنَّهم مؤسسو الطرق التجريبيّة في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى عدد لا يُحصى من الاكتشافات والاختراعات الفرديّة في مختلف فروع العلوم، التي سُرق أغلبها ونسبَ إلى الآخرين، قدّم العربُ أثمن هديّة، وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهّدت أمام الغرب طريقه لمعرفةِ أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم»[٦].

لكن الشطر الأكبر من المخطوطات التي نتحدَّث عنها – وهوما يبعث على الحزن والأسى- طالتهُ يد الدمار والخراب، فالناسُ جميعاً تعلم ما فعلته جحافلُ هولاكو في بغداد ومكتباتها عام ١٢٥٨م، حين ألقت مئات الألوف

٣- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب / أثر الحضارة العربيّة في أوربّة، نقله عن الألمانيّة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٩٣م.

٤- المصدر نفسه، ص٣٨٦.

٥- مختصرُ تاريخ الطب عند العرب، د. كمال السامرائي، دار النضال للنشر والتوزيع، بغداد.

٦- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب / أثر الحضارة العربيّة في أوربّة، نقله عن الألمانيّة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٩٣م، ٤٨٣.

من المخطوطات في نهر دجلة، ولم يكن نصيب المخطوطات العربية من الدمار أفضل من ذلك خلال زحف تيمورلنك، وحين سقطت غرناطة بيد الإسبان المهاجمين عام ١٤٩٢م، وانتهت دولة العرب المسلمين في الأندلس، أحرقت عشرات الآلاف من المخطوطات، وقد قدَّرها بعضهم بنحو ٨٠٠٠٠ مخطوطة[٧].

أما ما قُدِّرَ له منها ألّا تطاله أيادي الهمجِ والبرابرة فقد سُرِقَ معظمه أو بيعَ أو هُرِّبَ أو أُهديَ إلى ملوكِ الغربِ؛ أو اشتراه المستشرقون ومحبو جمع المخطوطات، ونستطيع أن نذكر عشرات الحالات المعروفة، لنجد مخطوطات الحضارة العربيّة في أوربّا وأميركا وبلدان الاتحاد السوفييتي السابق والهند والصين، ولننظر إليها اليوم بحسرةٍ في دور المخطوطات والأديرة والمتاحف والمكتباتِ الأجنبية. ويقدِّر معهد المخطوطات العربية، عدد تلك المخطوطات بنحو ثلاثة ملايين مخطوطة[٨].

وحسبي أن أذكر لكم بعض الحوادث، التي تُعد بالمئات، عن أشكالِ الاستيلاء على تلك المخطوطات، التي ما عاد بالإمكان حتى مجرد التفكير بإعادتها إلى بلادنا:

في تركيا وحدها كما يذكرُ صاحبُ «**الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**»[٩] مجموعة من أهم المخطوطات، تبلغُ نحو ٢٥٠ ألف مخطوطة، جُلُّها في مكتبتي إسطنبول والأناضول. حصل عليها الأتراكُ «بحد السيف» كما عبَّر ذات يوم الفقيه التركي خوجا شرف الدين لصديقه المستشرق الألماني هلموت ريتر عندما سأله: «كيف استطعتم أن تجمعوا كل هذه الكتب؟». ولعل سبب ذلك أن سلاطين آل عثمان والوزراء والمشايخ والوجهاء، دخلوا في حالةٍ من التنافس الشديد في جمع المخطوطات وإنشاء المكتبات في مختلف المدن التركية ولا سيما في إسطنبول رغبةً منهم في أن يكون لإسطنبول من المكانةِ والمجد العلمي والثقافي ما كان لعاصمةِ الأمويين: دمشق، ولعاصمة العباسيين بغداد.

- «أَمر السلطان عبد الحميد الثاني في إسطنبول بإهداء معظم مخطوطات الجامع الأموي بدمشق إلى ألمانيا، بمناسبة زيارة وليِّ عهدها الجامع عام ١٨٩٨م».

- شهدت الفترة التي قضاها نابليون في مصر (١٧٩٨ – ١٨٠١) من أعمالِ سلب المخطوطات في القاهرة الكثير الكثير، بحسب كتاب «**المخطوطات الإسلامية في العالم**»، الذي ترجمه عبدالستار الحلوجي[١٠].

واستطاعت بعثات أجنبية مختلفة منها «واحدة بريطانية متخصصة في جمع نفائس المخطوطات أن تحصل من مصر، عام ١٨٤٢م، على قدر وافٍ منها، من بينها ثلاثمئة مخطوطة مكتوبة على رقٍّ غزال».

- جمع الملك أحمد المنصور السعدي المعروف بحبّه للعلم والعلماء وشغفه بالمخطوطات آلاف المخطوطات النادرة والقيمة، وخَلَفه عليها ابنه زيدان، الذي استأجرَ ذات يوم سفينةً يملكها أحد الفرنسيين لنقل هذه المخطوطات،

٧- فؤاد قزانجي• المكتبات والصناعة المكتبية في العراق• بغداد: مطبعة الجمهورية، ١٩٧٢م، ص ١٥.

٨- د. عبد اللطيف صوفي، لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات، دمشق: دار طلاس للنشر، ١٩٨٧م.

٩- انظر: أيمن فؤاد سيّد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة ١٩٩٧م.

١٠- انظر: كتاب: «المخطوطات الإسلامية في العالم»، تأليف: جيوفري روبير، ترجمة: عبد الستار الحلوجي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ١٩٩٧– ٢٠٠٢م.

التي وضِعتْ في صناديق إلى أحد مراسي سوس، فطاردها قراصنة إسبان ظناً منهم أن الصناديق تحتوي ذهباً، واستولوا على السفينة، ولما وجدوا أن الصناديق تحوي كتباً أهدوها لملكهم، «ولما وصلت هذه الكتب إلى الملك فيليب الثاني، وكان منهمكاً في بناء الدير العظيم للقديس لورينو بمنطقة الأسكوريال، حبسها في الدير، وهي ما تزال إلى اليوم هناك، وتبلغ جملتها ٣٠٠٠ مجلد من كتب التاريخ والأدب والفلسفة»[١١].

– «تمكنت إسرائيل من الاستيلاء على أكثر من ٣٠ ألف كتاب ومخطوطة من المكتبات الفلسطينية في بيوت القدس، وأعلنت أنها تمتلك «**مجموعة تيجان دمشق**»، وهي مخطوطات عبرية سرقت من الشام قبل أعوام».

وأمامَ كلِّ ذلك ألا نفكرُ بالحفاظ على ما تبقى لدينا من المخطوطات التي تحملُ جُلَّ تاريخ أمتنا، وإنجازاتِ علمائها وفلاسفتها وأطبائها وشعرائها ونُحاتها، وهي ليست قليلة على الإطلاق؛ فمكتبةُ الأسد الوطنيّة وحدها تضمُّ نحو عشرين ألف مخطوطة، منها ما لا يقل عن ٤٠٠٠ مخطوطة نادرة. وفي مكتبات مصر ما لا يقل عن مئة ألف مخطوطة. وفي العراق نحو مئة ألف مخطوطة. وفي السعودية أكثر من سبعين ألف مخطوطة، وفي المغرب الأقصى ما يزيد على ثلاثين ألف مخطوطة، وفي تونس ما يزيدُ على خمسة وعشرين ألف مخطوطة. وفي اليمن أكثر من عشرين ألف مخطوطة، وفي موريتانيا نحو أربعين ألف مخطوطة، ومثلها كثير في مختلف البلاد العربيّة الأخرى.

ولا يخفى على كثيرٍ منا أن عمليات حماية هذه المخطوطات ليست سهلة أو بسيطة، وقد بدأت بجهود فرديّة، وهي تنطلقُ من وضع الفهارسِ العلميّة لها، ثمَّ تصوير ما يمكن الوصول إليه منها في بقاع العالم بإرسال البعثات العلميّة لهذه الغاية، ووضع مسوح شاملة دقيقة لما هو موجود لدينا في البلاد العربيّة من تلك المخطوطات، وصولاً إلى العمل على تحقيقها، ولقد نهضَ ببعض هذه المهمّة الشاقة منذ زمن عدد من العلماء العرب والأجانب والمستشرقين، وسعى باحثون مهمون لوضع ببليوغرافيات عامة ومتخصصة ترصد تلك الفهارس، وتعرّف بها بعد أن أصبحت من الكثرة بمكان.

وتصدَّت مؤسساتٌ عربيّة وإسلامية قليلة للتعريف بالمخطوطات العربية الإسلامية وأماكن وجودها عبر العالم بأسلوب علمي حديث، وأصدرت فهارس ضخمة في هذا المجال، ولعل في مقدمتها معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة العربية، ومركز جمعة الماجد، ومكتبة الأسد الوطنيّة، ومؤسسات أخرى قليلة.

وها هي وزارة الثقافة السوريّة اليوم، وبالرغم من الصعوبات الكبيرة التي تعيشها البلادِ من نحو عشر سنوات، تعهدُ إلى الهيئة العامة السوريّة للكتاب بإصدار مجلّةٍ متخصصة نصف سنويّة، أطلقنا عليها اسم «**المخطوط العربي**»، لتنضمَّ إلى بضع مجلاتٍ عربيّةٍ أخرى، فتضطلعَ بدورها في حمايةِ التراث العربي الغني، ممثلاً بمخطوطاتهِ، والتعريف بها، وصونها، وتسليط الضوءِ على ما حُققَ منها، ونَقْده، وما إلى ذلك؛ راجينَ من السادة العلماء والباحثين والمحققين على مساحة وطننا العربي الكبير الإسهام في هذا الجهد الذي يليق بتراثنا العظيم الذي تحدّثنا عنه.

١١– انظر: مجلة «المورد»، التي كانت تصدرها وزارة الثقافة والفنون في الجمهوريّة العراقيّة، العدد الأول ١٩٧٩م، بحث الدكتور محمد عبد القادر أحمد: «المخطوطات العربية في المغرب»، ص ١١٤.

تحقيقُ التُّراثِ

رسالةٌ وأَمَانَةٌ ومَوْقِفٌ حضاريّ

رئيس التحرير

التُّراث العربيُّ تراثٌ واسعٌ حافلٌ ضَخْمٌ، ما أَحرانا نحنُ القَوَمَةَ على الثَّقافة العربيَّة أَنْ ننهضَ بعِبْءِ تحقيقه وبَعْثِ النَّافِعِ مِنْ كنوزه، وقد سلك أصحابُهُ فيه دروباً مُضْنِيَةً، واحتملوا في سبيله نَصَباً نَاصِباً، حتّى انتهى إلينا ثمراً يانعاً شهيَّ المُجْتَنَى.

ودَعْ عنك تلك الصَّيْحَاتِ المشبوهةَ التي تَتَرَدَّدُ في حَنَاجِر أَحْلاسِ المقاهي مِنْ زَعَانِفِ الأُدباء الّذين يُهَوِّنُوْنَ مِنْ شأْنِ هذا التُّراث، وأَنَّ بَعْثَهُ نَبْشٌ للرِّمَم، ولا غَنَاءَ فيه، وأنَّه ماضٍ سحيقٌ لا بُدَّ من طيِّه وقطيعته.

وانظر إلى النُّصوص التُّراثيَّة التي أخرجها المعهد الفرنسيّ بدمشق، والمعهد الألمانيّ في بيروت تَرَ حفاوة المستشرقين بنصوص هذا التُّراث وحِرْصَهم على إخراجه، بل لم تقتصرْ جهود المستشرقين على تحقيق النُّصوصِ فحسب، بل انصرفوا إلى دراسة التُّراث العربيّ في فنونه وأَطْوَارِه المختلفة، وأَنْشَؤُوا له مجلّاتٍ متخصّصةً، وعَقَدوا له المؤتمرات، وأَسَّسُوا دوائر المعارف العربيّة، وأشادوا المكتبات التي تُعنى بجمع المخطوطات العربيّة وصيانتها، كالمكتبة الأهلية بباريس، ومكتبة المتحف البريطانيّ، ومكتبة جامعة لَيْدن، واصطنعوا أقسام اللُّغات الشّرقيّة في جامعاتهم، وأَحْدَثُوا فيها «**وظيفة قارئ نصوص**».

إنَّ هذا النشاط الاستشراقيَّ المحمومَ في تحقيقِ أعلاقِ التُّراث العربيّ في التَّاريخ والبُلْدان والجغرافية والتَّراجم والطّبقات والأَدب ودواوينه، وإخراجِها للنّاس في لبوسٍ علميٍّ حديثٍ، لدليلٌ ناصعٌ على معرفة القوم بقيمة هذا التُّراث وغِنَاهُ وجَلَالِ ما اشتمل عليه من معارفَ وأسرارٍ.

وهذه نصوص الأطبّاء العرب وتجاربهم كانت جُسُوراً عبر عليها الطّبّ الإغريقيّ إلى أوروبا، مصبوغاً بالصبغة العربيّة التي أضافتْ إليه ورَفَدَتْهُ بما تحصَّل لديها بالحِسِّ والتّجربة، قال البارون **كلارادي فو**: «إنَّ الميراثَ الذي تركه اليونانُ لم يُحْسِنِ الرُّومانُ استغلالَهُ، أَمَّا العربُ فقد عملوا على تحسينِهِ وإنمائه حتَّى سلّموه للعُصُورِ الحديثة»، وقال **وليم أوزلر**: «إنَّ العرب أشعلوا سراجَهم مِنَ القناديل اليونانيّة، وبلغتْ صناعةُ الطّبّ عِنْدَهم حتَّى القرن الثاني

عشر مكانةً وأهمّيّةً لا نجدُ لها مثيلاً في التّاريخ»، وقال **لكلرك**: «كان بطُليطلةَ تسعون كتاباً مترجماً منَ العربيّة إلى اللّاتينيّة في الطِّبِّ، منها أربعة لأبوقراط، وخمسة وعشرون لجالينوس، والباقي لحكماء العرب والمسلمين» اهـ.

وتحقيق الكتاب أَنْ يُؤدَّى أداءً صادقاً كما وَضَعَه مُؤَلِّفُهُ كَمّاً وكَيْفاً بقدر الإمكان، وذلك بنَسْخه، وترقيمه، وتفقيره، وأَدائه على معانيه، وليس معنى ذلك أَنْ نتدخَّل في أسلوب المؤلِّف كأَنْ نقيمَ له جملةً رأينا غيرها أَقْعَدَ منها وأحسنَ في ذا الموضع، أو أن نستبدل بكلمة مرذولة أُخرى خيراً منها وأشبه، أَوْ أَنْ نُغَيِّرَ ما وَهِمَ فيه المؤلِّفُ. بَلِ العُهْدَةُ فيما وَقَعَ في متن الكتاب من سهاء وأَوْهام على صاحبه، نؤدِّيها عنه كما اتَّفَقَتْ، ونُنَبِّهُ على ما فيها من خَطَلٍ وفَسَادٍ في الحواشي.

والتَّحقيقُ عَمَلٌ خطيرٌ جليلٌ يحتاجُ مِنَ الجهدِ والعنايةِ أكثر ممّا يحتاج إليه التَّأْليف؛ إذ في التَّحقيق أنت تُؤَدِّي ما يقولُهُ غيرُك على بُعْدٍ في الدَّار والزّمان بينك وبينه، وفي التَّأْليف إنّما تكتب ما يُمْليه عليه خاطرك.

ولمّا كان الكتاب المحقَّق صورةً عن عصره كان تحقيقه أمانةً وأخلاقاً؛ إذ يحسن بالمُحقِّق النَّابه أَنْ يَحْفَظَ لعصر الكتاب حرماته ومقدّساته العلْميّة.

والمحقِّقُ المُتْقِنُ لا يُقْدِمُ على هذه الصّناعة قبل أَنْ يتمرَّن بقراءة النُّسخة التي يتولَّى تحقيقها، حتَّى يَأْنَسَ إلى خَطِّها وطريقة النّاسخ في رسم الحروف، ولا سيَّما النَّقْط، وما يجري فيها من علامات كعلامة التمريض، وهي صاد ممدودة «ص» توضع فوق العبارة التي هي صحيحة في نَقْلِها، ولكنَّها خَطَأٌ في ذاتها، إلى غَيْرِ ذلك من العلامات التي يعرفُها مَنْ طال تعاطيه لهذا الفَنِّ.

وينبغي للمحقِّق أَنْ يتمرَّس بأسلوب المؤلِّف، وتعرُّف خَصَائصه، يَتَأَتَّى له ذلك من قراءة المخطوط كَرَّتَيْن، والاطّلاع على مصنَّفاته الأُخرى، وأَنْ يُلِمَّ بالموضوع الذي يُعالجه الكتابُ حتّى يَفْهَمَ النّصّ وما فيه من مصطلحات فهماً سليماً.

على الجملة لَيْسَ تحقيقُ النُّصوص واستيلادُها أمراً هَيِّناً البتَّة، بل هو عَمَلٌ شاقٌّ مُضْنٍ يَعْرِفُ ذلك مَنْ لُزَّ في مضايقه، وهو أَصْعَبُ مُرْتَقًى مِنَ التَّأْليف، يحتاجُ إلى معارفَ جمَّةٍ، ومهارات مختلفة، ويقظة تامَّة، وصَبْرٍ وحلْمٍ وحَذَرٍ، وحذْقٍ بعُلُوم الآلة: النَّحْو والصَّرْف والإملاء والبلاغة والمعاني والعروض، فإن عَرِيَ المحقِّق مِنْ ذلك اللّبوس زَلَّتْ قَدَمُهُ، وطَغَى قَلَمُهُ، وفَسَدَ نَصُّهُ.

إنّنا حين نحقِّق أعلاق تراثنا إنَّما نأخذ أبناءنا إلى تاريخ أمّتهم ولغتهم، ونُؤَصِّلُ انتماءَهم إلى هذا التُّراث الذي اجتالتْهُ الشّياطين، وضيَّعه الوارثون.

إنَّ تحقيق التُّراث وبعثه في لبوس علْميّ رصين يكشف خَبْأَهُ موقفٌ حضاريّ، وإعلاءٌ لتاريخ أمّة، وليس نبشاً في الماضي، ولابَعْثاً لأصنامه كما يزعم زعانفةُ المثقَّفين الأدعياء.

وإنَّ وزارة الثَّقافة – الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، مديريّة إحياء التُّراث العربيّ فيها، ليطيبُ لها أَنْ تُطْلقَ هذه المجلَّة العلْميّة «**المخطوط العربيّ**» التي تتغيَّا فيها غاياتٍ نبيلةً من تحقيق النُّصوص ونَقْد المُحَقَّق منها والتَّأْريخ للعلوم العربيّة، والإلماع إلى أفذاذ الرِّجال الذي اضطلعوا بحمل هذا التُّراث وأَدَّوْهُ على نَحْوٍ مَرْضِيٍّ، إلى غير ذلك من شُؤُوْنِ المخطوطات العربيّة والكَشْفِ عن دَفَائِنِها، وتَفْجِيْرِ مَائِها، واستخراج ما انطوتْ عليه من بدائع وأَسْرَارٍ.

كتاب
أبي محمَّدٍ الرَّيِّ في أَخْذِ الأبعاد

د.مهــا الشّــعّار *

أولاً-مقدمة:

علم المساحة علمٌ قديمٌ، أوجدته الحاجة لتحديد مساحة أرض معينة للبناء عليها، أو قياس مساحة الأراضي الزراعية لتقدير الضرائب المترتبة عليها، أو تقدير ارتفاع أو عمق أي من التضاريس المحيطة بالإنسان.

وتعد عملية مسح المنطقة التي سيقام عليها أي مشروع هندسي من أوائل الأعمال التي يقوم بها المهندس قبل البدء بالتنفيذ، وتؤكد العمليات الحسابية والخرائط الموضحة لحدود الأراضي الزراعية وقنوات الري المحفورة على الألواح الطينية والرسوم الجدارية على جدران المعابد والمقابر القديمة لمسَّاحي تلك العصور وأدواتهم المستخدمة في القياس تطورَ هذا العلم في الحضارات القديمة (المصرية-البابلية-اليونانية-الرومانية)، ولكن للأسف أغفل دور علماء الحضارة العربية/ الإسلامية، لذا كان لا بد من تحقيق المخطوطات العربية المختصة بهذا العلم لإبراز إسهام علمائنا العرب ودورهم في تقدمه وتطوره.

عرّف طاش كبري زاده علم المساحة بأنه «علم يُتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والأجسام، بما يقدرها من الخط والمربع والمكعب، ومنفعته جليلة في أمر الخراج وقسمة الأرضين وتقدير المساكن وغيرها»[1]. وعُرّف في الكتب الهندسية الحديثة بأنه العلم الذي تقوم من خلاله بتمثيل منطقة ما من سطح الأرض بتفاصيلها الطبيعية (البحيرات-الجبال-الغابات-الأنهار...)، والتفاصيل الاصطناعية (الطرق -التجمعات-الحدائق...) على مستوٍ بمقياس مناسب[2].

و(كتاب أبي محمد الرَّيّي في أخذ الأبعاد) من المخطوطات العربية التي بحثت في علم المساحة المستوية على شكل مسائل وكيفية حلها، دون ذكر الآلات المستخدمة في القياس، ونستشف من قراءة مقدّمة النّصّ مدى انتشار علم المساحة في جميع نواحي الحياة حتى في الناحية العسكرية (سبب تأليف المخطوطة كما سنذكره لاحقاً) وكثرة العاملين فيه، ونأمل من خلال تحقيقها ودراستها أن نتعرف المستوى المعرفي لعلمائنا العرب في علم المساحة الذي لم يتضح على نحوٍ جيد حتى الآن.

---

*أستاذ مساعد في معهد التراث العلميّ العربيّ – جامعة حلب.

١– طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ط١، ج١، ص٣٥٣.

٢– نجم، محمد واصل، المساحة، منشورات جامعة حلب، كلية الهندسة التقنية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص١٣.

ثانياً–مؤلف المخطوطة:

ذكر الناسخ أن مؤلف المخطوط هو أبو محمد الرَّيي، ولكن لم نجد أي ذكر لعالم بهذا الاسم في المصادر والمراجع المختصة، ونستنتج مما كتبه الناسخ في نهاية المخطوطة أن المخطوطة نسخت في شهر شعبان عام ٦٢٦هـ،أي إنَّ المؤلِّف كان حيّاً قبل هذا التاريخ.

نَسَبَ زونفيلد وإحسان أوغلو المخطوطة إلى أبي محمد الرازي الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي، وهو عالم رياضي من الري الواقعة في إيران(٣)، وذكر فؤاد سزكين في (تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ–) أنَّ أبا محمد الرازي: ربما عاش قبل منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ثم سَرَدَ آثاره: كتاب في أخذ الأبعاد الموجود في آيا صوفيا ٤٨٣٠ / ١٦ (٢٢٥أ– ٢٢٧ب، ٦٢٦هـ)(٤).

ونرجح أن الناسخ قَصَدَ بأبي محمد الرَّيي نسبة المؤلف إلى مدينة الري، وعليه يكون مؤلف المخطوطة العالم الرياضي أبا محمد الرازي الذي عاش قبل منتصف القرن الخامس الهجري.

ثالثاً–نسخ المخطوطة:

منها نسخة فريدة في مكتبة آيا صوفيا بإستانبول، وهي ضمن مجموع تحت رقم ٤٨٣٠ / ١٦، ذكر عنوان المخطوطة في الفهرس المُثْبَتِ في صَدْرِ المجموع.

صفحة فهرس المجموع، وضعنا عنوان المخطوطة ضمن مستطيل

تبدأ المخطوطة في الصفحة [٢٢٥ (و)]، وتنتهي في الصفحة [٢٢٧(ظ)]، حجم وسط، مسطرتها ٢٣ سطراً، العناوين مكتوبة بالحُمْرة، منها صورة في مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي العربي بحلب تحت رقم ١٣٩ / ١٤، وهي منسوخة في دمشق سنة ٦٢٦هـ.

أولها: **بسم الله الرحمن الرحيم**

كتاب أبي محمد الرَّيّ في أَخْذِ الأبعاد

أعلمتني – أعزك الله بطاعته، وأكرمك برضوانه، وأيدك بتوفيقه – أنكم احتجتم إلى معرفة ارتفاع حصن من حصون العدو أهلكه الله، فاعتمدتم في ذلك

3- Rosenfeld, Boris.A. & Ihsanoglu, Ekmeleddin., *Mathematicians, Astronomers& Other Scholars of Islamic Civilsation and Their Works (7th- 19th c.)*, Rererch Center for Islamic History,Art and Culture(IRCICA), IstanbulK Turkeyk 2003, P157.

٤– سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي (الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ)، ترجمة عبد الله عبد الله حجازي وحسن محيي الدين حميدة ومحمد عبد المجيد علي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، مج٥، ص٥٠٤.

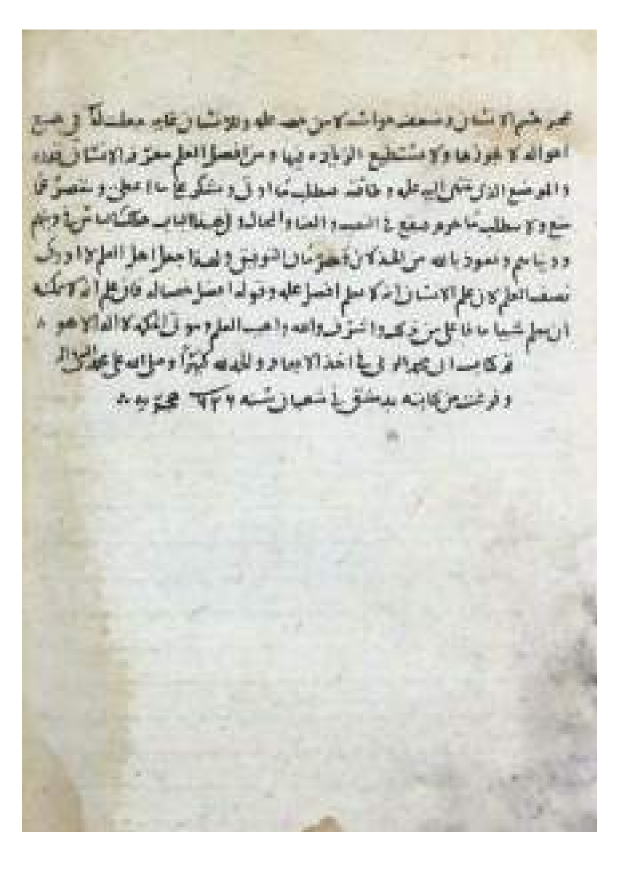
علـى بعضـ من حضركـم، ولم تسمِّ لي ممـن وثقتم به إلا واحـداً، وأما أنا فقد خشيت أنه لا يكون ثقة لكثرة معرفتي وتجربتي لأمثاله، ...

آخرها: ونعوذ بالله من الخِذْلان وحرمان التوفيق، ولهـذا جعل أهـل العلـم «لا أدري نصف العلـم»؛ لأن علـم الإنسـان أنه لا يعلـم أفضل علمـه، وقوله أفضل خصالـه، فإن علم أنه لا يمكنـه أن يعلم شيئاً ما فأعلى مـن ذلك وأشرف، والله واهب العلم ومؤتي الحكمة، لا إله إلا هو.

تم كتاب أبي محمد الرَّبيّ في أخذ الأبعاد، والحمد لله كثيراً، وصلى الله على محمد النبي وآله، وفرغت من كتابته بدمشق في شعبان سنة ٦٢٦هجرية.



الصفحة الأولى من المخطوطة



الصفحة الأخيرة من المخطوطة

رابعاً–محتوى المخطوطة:

« كتـاب أبـي محمـد الرَّبـيّ في أخـذ الأبعـاد» مخطوطة علميـة هندسية يعود تاريـخ نسخها إلى عام ٦٢٦هـ، اتبـع المؤلـف في رسالتـه المنهـج الاستـدلالي الرياضـي الـذي يتسـم بالدقـة والوصـول إلى الغاية المطلوبة من غـير اللجوء إلى التجربة، ويلحظ الدارس للمخطوطـة أن المسائل مرتبة بأسلوب رياضي يشابه المنهـج المتبـع في الوقـت الحاضر، فـكل مسألـة يَذكر المطلوب منهـا أولاً، ثم يليها برهانها مع رسم رياضي توضيحـي لهـا، وقـد وضـح المؤلـف في البداية سبب تأليفـه للمخطوطة بنـاء على طلب أحـد الحكام لمعرفة كيفيـة قياس ارتفاع حصن من حصون العدو، لكنه لم

يجد في حاشيته من العلماء ما يشفي غليله، لذا طلب إلى المؤلف توضيح الطريقة الصحيحة لحل هذه المشكلة، فما كان من المؤلف إلا أن أورد عدة مسائل، وقدم أبسط الطرائق لحلها، كما أورد مثالاً عددياً بعد كل مسألة صعبة لتسهيل العمل على القارئ غير المختص.

تضم المخطوطة خمس مسائل، وقد رسمتُ جدولاً لها:

رقم المسألة	عنوان المسألة
١	معرفة ارتفاع الشيء المرتفع
٢	إذا كان الراصد في رأس جبل أو على واد أو هوة أو بئر والمطلوب معرفة عمقه
٣	معرفة عمق بئر
٤	إذا كان المجهول المراد معرفته معترضاً
٥	إن كان البعد المجهول متصلاً بشعاع الراصد الخارج

خامساً–طريقة إثبات النص:

حَقَّقْتُ النص وفق القواعد المعروفة، وإذا اتَّفَقَ خطأ بيِّن كنتُ أشير إلى ذلك في الحاشية مقترحة الصواب الذي يستقيم به النص.

أ–**الرموز**:

/ ابتداء صفحة المخطوطة. (و) وجه ورقة المخطوطة. (ظ) ظهر ورقة المخطوطة.

ب–**الشكل**: ضبطتُ ما أشكل من الألفاظ، وإنَّما يُشْكَلُ ما يُشْكِلُ.

ج–**علامات الترقيم**: وضعتُ علامات الترقيم للنصّ، وذلك لتسهيل قراءته وفهمه، ولتجنب أي غموض.

د–**تفقير النّصّ**: حافظتُ على تقسيم النص الأصلي.

هـ–**الرسم الإملائي**: تقيدتُ بالرسم الإملائي الحديث، النص بشكل عام مكتوب بلغة عربية صحيحة، ولكن هناك بعض النقاط الواجب الانتباه إليها مثل:

١– تسهيل الهمزات، وهو أمرٌ مألوفٌ عند النُّسَّاخ، فهمزتُ ما سُهِّلَ.

٢– توزيع النقاط على الحروف غير صحيح، واستُدرك هذا الأمر في المخطوطة دون ذكر ذلك في الحواشي.

٣– كُتبت الأرقام في المخطوطة كتابة، وهذه الطريقة أفضل لأنها تمنع الخلط الحاصل في رسم الأرقام.

٤– وُضع خط فوق الأحرف المستعملة كرموز رياضية في النص كيلا يحصل لبس بين الكلام وبين الرموز الرياضية، مما ساعدني كثيراً أثناء نسخ المخطوطة.

٥– عنوان الرسالة وعناوين الفقرات مكتوبة بالحُمْرة.

٦– هناك بعض الأخطاء النحوية التي أُصلحت دون ذكر ذلك في الحواشي.

٧–اعتمد الناسخ على وضع الدائرة في داخلها نقطة كفاصل في نهاية الفقرات، كتوضيح سبب تأليف المخطوط، وعند نهاية كل مسألة مدروسة.

٨–اعتمد الناسخ على وضع ثلاث نقاط ⁂ عند التعداد، مثلاً عند ذكر أكثر من حالة للمسألة الواحدة.

و–**محتوى الحواشي**:

–بدايات صفحات المخطوطة.

–شرح وتوضيح لبعض الكلمات الواردة في النص[٥].

٥– **سبط المارديني**، بدر الدين محمد بن محمد، **إرشاد الطلاب إلى وسيلة الحساب**، تحقيق مصطفى موالدي، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، مقدمة المحقق، ص ص ٥١–٥٣.

سادساً–النَّصُّ المُحَقَّقُ:

/[٦]بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أبي محمَّدٍ الرَّبيِّ في أَخْذِ الأبعاد

أعلمتنـي – أعـزك الله بطاعته، وأكرمـكَ برضوانه وأيـدكَ بتوفيقـه – أنكـم احتجتـم إلى معرفـة ارتفاع حصـن من حصون العدو؛ أهلكه الله؛ فاعتمدتم في ذلك علـى بعضٍ من حضركـم، ولم تسمِّ لي ممـن وثقتم به إلا واحـداً، وأما أنا فقد حسبتُ أنه لا يكون ثقة لكثرة معرفتـي وتجربتي لأمثالـه، وكان دليلكَ علـى أنه ثقة بمعرفـة ذلك أنه ممن عَملَ كتـاب إقليدس، وعَمَلُ كتاب إقليدس وفكـه، ثم حفظه مدخـلٌ وابتداءٌ بهـذا الفن. والـذي بَعْـدَهُ مـن تصريفـه في المَساحـات واستعماله في المجهُـولات والتكـرُّز[٧] في ذلك حتى تقـع الدُّرْبَةُ[٨]، وينزل الحذق = أكثرُ من كتاب إقليدس أضعافاً.

ولستُ أقول إن هذا في باب الحساب فقط، بل في جميع العلـوم من علوم البديهية والرويـة، وهو في باب الحساب أوجب وأوكد لأنه أدق وأغمض وأبعد غاية وأكثر وسائط، فهو لذلك أحوج إلى الدربة وأولى بطول التصريف.

ولما رأيـتُ همتكَ العالية مشتغلة بذلـكَ، متذكرة له مـع أنه من غير بابك ولا داخـل في عنايتكَ، وعلمتُ قدر فهمـك وسعـة إحاطتـك وسرعـة إدراكك = وجبَ علي أن أكتبَ لـك منه عملاً إذا تمسّكتَ بـه واستعملته فيه بلغتَ الغاية ممَّا تريده، وساويتَ في بلوغ المراد وإدراك البغيـة، أهلَ العلم بهذا البـاب والحذق بهذا الفن، ولم يكُ في حد الشكر ومقارضة الإحسان أن يسَعَني شيءٌ، فيَعجز عنك إن شاء الله تعالى وحده⊙

ولنمثـل للمسألة مثـالاً يقع تحت الحس لتكون عونـاً في الإدراك بعـد أن نذكـر أنـواع المسائل التي تعرض وتحتاج إليها⁂

وهي: **إما أخذ ارتفاع شيء في السّماء، أو عمقه في الأرض، أو بعده منك، أو بعد ما بين شيئين متباينين.**

فليكن الشيء المرتفع: خط أب، والبعد منه خط ب حـ.

فـإذا أردتَ معرفـة د هـ ومعرفـة ب حـ دون أن تـزول من مكانـك الذي أنت فيه، فإنـك تأخذ مسطرة، أو عـوداً مستقيمـاً معتـدلاً، فتقيمـه أمامك، وتضـع إحدى عينيـك في نقطـة حـ، وتُـدني المسطـرة وتُبعدهـا من عينك حتـى تتفـق أن يجوز شعاع البصر علـى رأس هـ ونقطة أ، ولتكـن هذه المسطرة خط د هـ، أعني بقولي خط ركن المسطـرة وهو خط، ونقطـة د في خط ب حـ، والشرط في نصـب د هـ أن يكون عموداً على سطح الأفق غير مائل / [٩] عليه، يحصل ذلك ببعض الأوزان المستعمل بها.

فـإذا تم ذلك وقفنـاه في مكانه وعلى قائمـه، ثم أخذنا مسطـرة ثانية أو عـوداً كنحو ما قلنا مساوية لخط د هـ، ونضـع إحدى العينين في نقطة د، ونقدم المسطرة الثانية المساويـة لمسطـرة د هـ، ونؤخرهـا حتـى يكـون جـواز الشعاع على رأسها ونقطة أ، ولتكن مسطرة و ر، فإذا اتفـق ذلك أثبتناهـا، ولئلا نكرر القول، تقـدم أن كل خط تُقوم، فالشرط فيه أن يكون عموداً غير مائل.

ومـن البـين أن خـط حـ د[١٠] أطول مـن خط د و

٦– بداية ص٢٢٥ (و).

٧–التكرُّز: التَّدريب والتَّجريب.

٨– **الدُّرْبَةُ**: من درب: عادة وجرأة على الحرب وعلى كل أمر، وقد دَربَ بالشيء ودَرْدَب به، إذا اعتاده وضَريَ به.

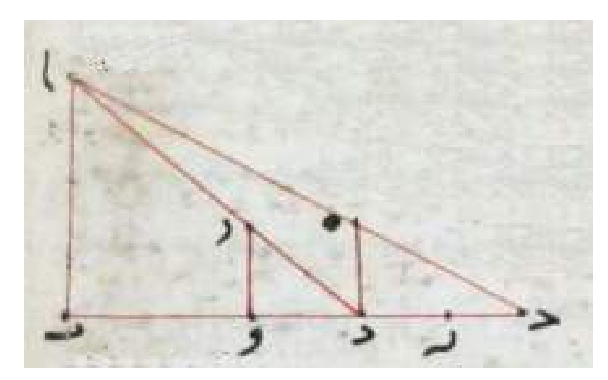
الجوهـري، أبو نصـر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٢هـ)، **الصحاح**، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، حرف الدال، مادة «درب»، ص٣٦٥.

٩– بداية ٢٢٥ (ظ).

١٠– حـ د: حـط في المخطوطة.

أبداً، فتقطع فيه مثله، وهو خط د ن فيبقى خط حـ ن، فتقسم خط حـ ن إلى الأقسام شيئاً، وأمكننا بتلك الأقسام خط د ن خط د هـ، فإذا أردت معرفة أ ب بالقسم المذكور، فاضرب أقسام د حـ في أقسام د هـ، واقسم على أقسام ن حـ فما خرج فهو أقسام أ ب من مثل أقسام ن حـ ⁂

وإن أردت الخروج إلى ب حـ، فاضرب أقسام حـ د في نفسها، واقسم المجتمع على ن حـ، فما خرج فهو خط ب حـ الذي أردت معرفته، وقد يخرج بوجوه استغنيتُ عن ذكرها إذا هذا الذي ذكرتُ أحضرها في العمل وأقربها في المعنى.



ويمثلها أيضاً بالعَدد:

إذ هو من تمام التمثيل في العمل، فتترك في خط ن حـ جزءاً واحداً إلى جزء كان، وأن خط د حـ عشرون جزءاً مثله، وأن د هـ عشرة أجزاء مثله.

فعلى العمل المتقدم يكون خط أ ب مئتين مثل ن حـ، وخط ب حـ أربعمئة، فإن كان ن حـ ذراعاً واحداً، كان أ ب مئتي ذراع، وكان حـ ب أربعمئة ذراع، وإن كان ن حـ ذراعين، فبحساب ذلك يكون أ ب مئة ذراع، و ب حـ مئتي ذراع.

ونترك ذكر العلة والبرهان على هذا العمل، إذ إنما كتبته لك لا لغيرك وحاجتك إلى العمل لا إلى العلة، ومن أراد البرهان ممن له أن يعمله لم يغب عنه لقربه إن شاء الله، **فإن صورة المسألة الممثلة لعملها مبينة من عملها دالة على برهانها⊙**

فإن كنا في رأس جبل أو على واد أو هوة أو بئر وأردنا معرفة عمقه:

فإنا نعيد العمل المتقدم نفسه، فتنزل أنت[11] عند نقطة و من الأرض، وإن العمق الذي تريد معرفته خط و ط[12]، فإذا أردنا ذلك فإنا نفرض مكاناً ما من العمق يقع عليه البصر، ويكون مكاناً للشعاع ولتكن نقطة أ ، ثم نخط في وجه الأرض خط و ر، ونعدله حتى يكون موازياً للأفق، ونجعله / [13] صغيراً جداً لما ستستبين الحاجة إليه.

وتقيم من نقطة و مسطرة أو عوداً معتدلاً مستقيماً عموداً، ونمر بإحدى أعيننا فيه طالعاً أو هابطاً حتى يجوز الشعاع على نقطتي أ ، ر ، فتثبت البصر عند ذلك، وتعلم على موضعه من المسطرة نقطة د ، ثم تُخرج من نقطة د في سطح أ ر د[14] عموداً وهو د هـ ، ولتحسبه حابس أو ترفده رافد من آلة أو غيرها، ثم يمر شعاع العين طالعاً أو هابطاً حتى يجوز على نقطتي أ ، هـ، وليكن ذلك عند نقطة حـ فيُعلم، ثم تقطع في د حـ مثل د و لأنه أعظم منه يكون لا محالة وهو د ن ، فقد صرنا إلى مثل المسألة المتقدمة نفسها.

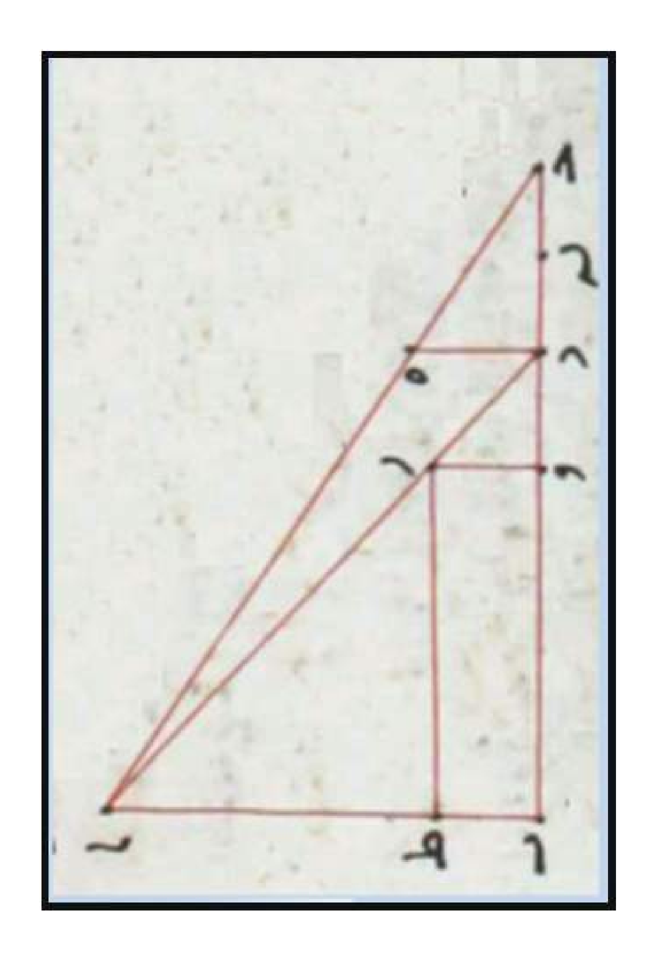
١١- فتنزل أنت: فتنزل أنا في المخطوطة.

١٢- و ط : أ ط في المخطوطة.

١٣- بداية ٢٢٦ (و).

١٤- أ ر د : أ د و في المخطوطة

ونتوهـم خط حـ و نافذاً في الأرض حتى تلقى خط أ ط عنـد نقطـة ب، فاضـرب حـ د في نفســه بعـد أن تجزئـه بمثـل ن حـ أو بمثل أجزائـه، واقسم المجتمع على ن حـ يخرج لك في القسم خط ب حـ ، فأسقط منه خط حـ و يبقَ خط و ب المساوي لخط ط ر ، **وهو العمق** ⊙

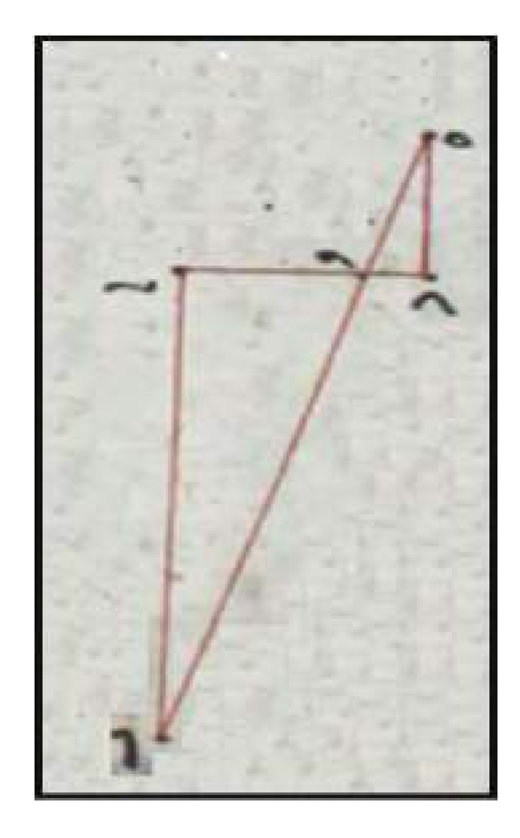


(١٥)

وإن كان بئراً: فإن شئت فاعمل بهذا العمل وإن شئت فتأخر.

وليكـن قطر فـم البئر خط أ د ، وعمقه أ ب وهو المطلوب، ونقيم من د خط د هـ عموداً كائناً من كان، ونقسمه إلى الأقسام شيئاً، ونقسم أ د بمثلها، ثم ننظر من نقطـة هـ إلى نقطة ب التي في أسفـل البئر، وتعلم موضع ممرّ الشعَاع من خط أ د ولتكن نقطة و .

وإن خشيـتَ افـتراق الشعاع في خـط أ د ، فضع من عنـد الناظر الذي هـو نقطة هـ مسطـرة أو لوحاً يجري الشعاع عليه إلى نقطة ب ، فما قاطع من خط أ د ، فعلم عليـه وهـو نقطـة و ، ثم اضـرب أجـزاء أ و في أجزاء د هـ ، واقسـم علـى أجـزاء هـ و، فما خـرج في القسمة فهو عمق البئر المذكور من أجزاء مثل الأجزاء المفروضة في خطوط أ و ، د هـ **وذلك ما أردنا أن نبين** ⊙



(١٦)

١٥– ملاحظـة: الرسـم في المخطوطـة مرسـوم بشـكل أفقـي بـدلاً من العمودي.

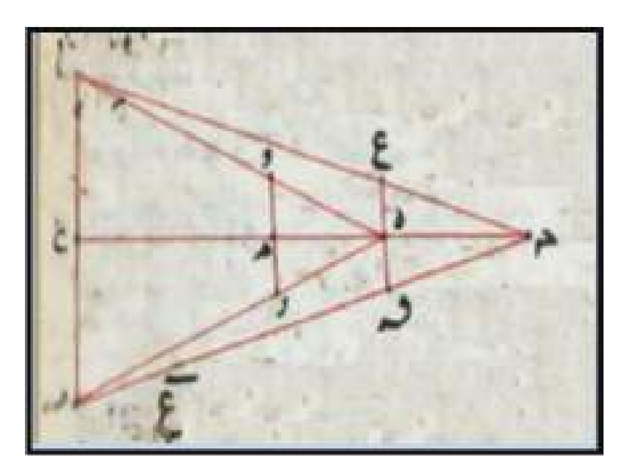
١٦– ملاحظة: الرسم في المخطوطة مرسوم بشكل أفقي بدلاً من العمودي.

وإن كان المجهول الذي تريد معرفته معترضاً:

مثل أ ، والناظر منه بموضع حـ ، فإنا نخرج من نقطة حـ خطاً بين يدي حـ إلى ناحية أب ، ونروم أن يكـون الشعاع الواصل له الواقع على أب عموداً عليه، وليكن حـ ح مع الشعاع المتصل والعود حـ ح [17]، ونقسمـه عند هـ ، ونخرج من هـ خطاً مقاطعاً لخط حـ ح [18] عموداً عليه، وهو خط ع هـ ق.

ونضـع البصـر عنـد حـ وننظـر / [19] إلى طـرفي ع ق متقدمـاً بالبصر، أو متأخـراً، أو بخط ع ق حتـى يجوز الشعاع علـى نقطتي ع ، أ من الناحية الواحدة وعلى نقطتين ق ، ب من الناحية الأخرى، فـإذا اتفـق ذلك أثبتنـا ع ق في مكانه، ثـم نظرنا من نقطـة مقاطعة ع ق لخط ح حـ ، وهـي هـ وأقمنا عـوداً مساويـاً لخـط ع ق ونظرنـا مـن نقطة هـ ، وقدمنـا وأخرنا العود حتى يجوز الشعاع على طرفيه عنـد و ر ، وتكون مقاطعتـه لخط ح حـ عند مـ ، فإذا اتفق ذلك أثبتناه.

فقـد صرنـا إلى مثـل المسائـل المتقدمـة لأن خـط حـ ح مـن مثلـث أ حـ ح أخرج منـه هـ ع وأخرج أيضاً مـو مساويـاً له في مثلث أ هـ ح ، وهي المسألة المتقدمة نفسها وكذلك أيضاً من الجهة الثانية فتعمل كما تقدم**



وإن كان البعـد المجهـول متصـلاً بشعاعـك الخـارج: أمامك مثل أن لـو كان موضـع البصر نقطة أ . والخـط الذي تريـد معرفته خـط طـ حـ وهو في سطح القامة.

فـإذا أردت ذلـك فأقم عصـا أو مسطـرة مقسومة بأجـزاء أي قسمـة قسمـت، وأثبتهـا وهـي أ ب ، ثم عندها مسطرة مقسومـة تلك القسمة، ويكون وضعها مـن خط أ ب على زوايـا قائمة، وهبطها كذلك في خط أ ب ، أو صعدهـا حتـى يجـوز بصـرك علـى طـرف المسطـرة وطـرف المنظـور إليـه إلا بعـد وهـو حـ ، ولتكن المسطرة د هـ ، و د من خط أ ب .

ثـم اهبط المسطـرة مقاطعة لخـط أ ب على زوايا قائمـة كمـا شرطنا، وتنظر مـن نقطـة أ إلى طرفها حتـى يتصـل في الشعـاع نقطـة طـ التـي هـي أقرب المنظـور إليـه بنقطـة طـرف المسطـرة، وليكـن طرف المسطـرة في الشعاع عند نقطـة ح ، وطرف المسطرة عند خط أ ب نقطة ب .

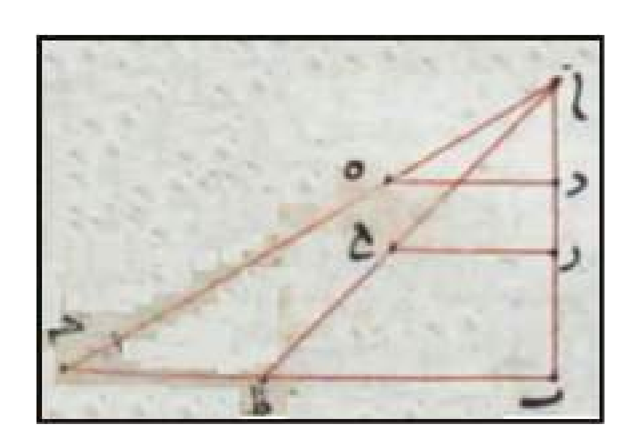
فـإذا أردت أن تعـرف حـ ب ، فاضـرب د هـ في أ ب المقسومـين قسمة واحدة، واقسم على أ د يخرج

17- حـ ر : في المخطوطة.

18- حـ ر : في المخطوطة.

19- بداية ٢٢٦ (ظ).

في القسـم ب حـ المطلـوب، وإن أردت معرفـة ب ط، فاضـرب المسطرة في أ ب ، واقسـم على أ ر يخرج في القسـم ب ط، فأسقطه من ب حـ يكـون الباقي ط حـ المطلوب، **وذلك ما أردنا أن نبين** ⊙



وإن أردت معرفـة سفـح جبـل فقـد أخبرتـك:

كيـف تعلم عمـق د ه الذي هـو ارتفاعـه وما بينك وبـين عموده كما تقـدم في أول مسألة، ثم / [٢٠] تعرف مـا بينك وبـين أصلـه، وتسقطه مما بينـك وبين أصل عمـوده، وتضـرب الباقي في نفسه، والعمـود في نفسه وتجمعهمـا، وتأخـذ جـذر المجتمع فهـو السطح الذي أردت، وإنما تفعل هذا إذا كان السفح معتدلاً ⊙

قد ذكرنـا من العمل المستخـرج من نتائج العلـم في كل مسألـة: يمكـن أن تعرض مـا في كفاية وبلـوغ إلى غايـة، ولم يبـق إلا اتفـاق نصـب الأعمـدة وتسهيـل الأرض موازية للأفـق وتحريـر القسمة في الخطـوط، وليس ذلك باليسـير في الأرض، وأسهل منـه استعمـال آلـة تكون معـدة على نحو مـا ذكرنا في الأرض تكفي المشقة وكـثرة المؤونة، يخف عملها على النجارين، ويخف العمل بها على المستعملين.

واعلم أن هذا الباب يُحتاج فيه إلى الحكمة بتمامها من العلم والعمل، فأما العلم فتركته هنا، إذ لم يكن المذهب إلا القصـد إلى الفائدة والنتيجة فقـط، فأما العلم بما يلحقه فهو مكتـوب في موضعه لمـن أراده مستقصـى ببراهينه ووصـف آلته حتى يكـون الذي يدرك الطالـب المستعمل قدر مئة ميل أو أكثر إذا أدركه البصر، فإنه بالحيلة التي يُدرك بها القليل يُدرك الكثير نفسها، وليس يمتنع إدراك كل مـا يقـع عليه البصر من طريق العلـم والحيلة، وإنما يمتنـع منه ما يمتنع مـن طريق عجز الإنسـان في العمل، وهي الآلة إذا الإنسان أتم بسطه في العلم منه في العمل.

ومثـال ذلك أن الإنسان يـزن القنطار أو أكثر منه بالميـزان أو القرسطـون[٢١] المستخـرج العمـل بهمـا مـن نتائـج العلم، فلو كُلـف وزن شيء مـن مئة قنطار أو نحوهـا، لعجـز عن ذلك بضعـف الجسم في العمل لا بعجـزه في العلم، فلـو كان قوته مئة مثلهـا في الحقيقة لأمكنـه، وكانت الحيلة في ذلك هـي التي كانت في القليل نفسهـا، وإذا رام شيئاً مـن أشياء وبطل أحدها لم يعم ذلك الشيء، وكان عدم شيء منها كعدمها.

وهـذا العجـز الذي في قـوة حواس الإنسـان وعمله حَرَمَهُ إدراك أشياء كثـيرة جليلة، فلولا ضعفه وعجزه لأدرك أبعـاد نجوم السماء لإمـكان ذلك من طريق العلم لأن الأصـل والعلة في إدراك ذلك كالعلة في إدراك القريب والبعيـد الممكن إدراكه، ولكن ما احتيـج فيها وفي آلتها مثـلاً في مثـل المسألـة الأولى إلى أن تضـع د ه بعد إقامتك و ل ومرور شعاع البصر على ه أ ، وتأخرنا بالناظـر إلى خـط ب د حـ حتـى يجـوز الشعـاع إذا

٢٠– بداية ٢٢٧ (و).

٢١– القرسطـون: مصطلح يوناني خاص بالموازين الصغيرة الدقيقة جدًا، كالتي يستعملها صاغة الذهب.
الأثـري، محمد بهجة، الألفاظ الحضارية ودلالاتها وأمثلة منها، شبكة الألوكة، ١٤٣٥هـ،الرابط الإلكتروني:
https://www.alukah.net/literature_language/0/63549/

نظرنا إلى المنظور إليه في السماء، كما قلنا لم يفِ جميع سطح الأرض بمثل خط د ﺣ فامتنع الإدراك من طريق العمل، وامتنع العمل من طريق / [٢٢] عجز جسم الإنسان وضعف حواسه لا من جهة علمه.

وللإنسان غاية جُعلت له في جميع أحواله لا يجوزها ولا يستطيع الزيادة فيها، ومن أفضل العلم معرفة الإنسان قدره والموضع الذي ينتهي إليه علمه وطاقته، فيطلب ما أُوتي، ويشكر على ما أعطي، ويقصر عما مُنع، ولا يطلب ما حُرم، فيقع في التعب والعناء والمحال.

وفي هذا الباب هلك الناس في دينهم ودنياهم، ونعوذ بالله من الخذلان وحرمان التوفيق، ولهذا جعل أهل العلم «لا أدري نصف العلم»، لأن علم الإنسان أنه لا يعلم أفضل علمه، وقوله أفضل خصاله، فإن علم أنه لا يمكنه أن يعلم شيئاً ما فأعلى من ذلك وأشرف، والله واهب العلم ومؤتي الحكمة، لا إله إلا هو.

تم كتاب أبي محمَّدٍ الرَّيِّ في أَخْذِ الأبعاد

والحمد لله كثيراً وصلى الله على محمد النبي وآله

وفرغت من كتابته بدمشق في شعبان سنة ٦٢٦ هجرية**

سابعاً- الخاتمة:

لاحظنا من خلال تحقيق المخطوطة كيف استطاع المؤلف أن يبسط علم المساحة للحاكم قدر المستطاع، وأن يبتعد عن وضع براهين معقدة لكيفية حل المسائل، كما حاول أن يختصر من البراهين المتعلقة بكل مسألة قدر استطاعته.

حاول المؤلف أن يركز عمله على الجانب العملي، فلم يذكر أيّ آلة يجب استعمالها في كل عملية من عمليات القياس والمسح، ويبدو أنه كان على علم ومعرفة تامة بالآلات المستعملة في عصره، وأنها تفي بالغرض، لذا تغاضى عن ذكرها.

وبذلك يكون للعلماء العرب الفضل في تبسيط العلوم الهندسية لتخدم أكبر شريحة من المجتمع، وهذا إنجاز كبير في نفسه.

المصادر والمراجع

١- **الجوهري**، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٢هـ)، **الصحاح**، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٢- **سبط المارديني**، بدر الدين محمد بن محمد، **إرشاد الطلاب إلى وسيلة الحساب**، تحقيق مصطفى موالدي، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب.

٣ - **سزكين**، فؤاد، **تاريخ التراث العربي (الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ)**، ترجمة عبد الله عبد الله حجازي وحسن محيي الدين حميدة ومحمد عبد المجيد علي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، الملكة العربية السعودية، مج٥.

٤- **طاش كبري زاده**، أحمد بن مصطفى، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ط١، ج١.

٥- **نجم**، محمد واصل، **المساحة**، منشورات جامعة حلب، كلية الهندسة التقنية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

1- Rosenfeld, (Boris.A.) & Ihsanoglu, (Ekmeleddin)., Mathematicians, Astronomers& Other Scholars of Islamic Civilsation and Their Works (7th- 19th c.), Rererch Center for Islamic History,Art and Culture(IRCICA), Istanbul-Turkey, 2003, P.157.

المراجع الإلكترونية

١- **الأثري**، محمد بهجة، **الألفاظ الحضارية ودلالاتها وأمثلة منها**، شبكة الألوكة، ١٤٣٥هـ، الرابط الإلكتروني:

https://www.alukah.net/literature_language/0/63549 .

٢٢- بداية ٢٢٧ (ظ)

صناعة المضيرة في مخطوط الأطعمة والأشربة لابن مندويه الأصفهاني (ت ٤١٠ هـ)

(تحقيق ودراسة)

محمد تلرفادي*

أولاً- مقدمة:

يُعَدُّ موضوع الغذاء والتغذية من الموضوعات المهمة التي أثارتِ اهتمامَ كثير من الأمم والحضارات عبر التاريخ، فنجدُ تنوعاً في طريقة إعداد الغذاء وتحضيره وفقاً للعادات والتقاليدِ الغذائية التي تختلف باختلاف كل أمةٍ وحضارة، لذا تعددتِ المؤلفات التي بحثتْ في هذا الموضوع، وقد اهتم أطباؤنا العرب بالأطعمة والأشربة، وعدّوها دواءً للجسم بالإضافة إلى أنها حاجةٌ ضروريةٌ لمد الجسم بالطاقة ومواد البناء والتمثيل الحيوي.

ومن هؤلاء العلماء الطبيب ابن مندويه الأصفهاني (ت ٤١٠هـ/١٠١٩م) الذي كتب مخطوط الأطعمة والأشربة، وهو من المخطوطات المهمة في الإرث الحضاري الغذائي للحضارة العربية والإسلامية، لأنه قدم لنا مادةً علميةً تحمل في طياتها قيمةً صحيةً تناسب أمزجة وطبائع الجسم المختلفة، وأبرز أهمية الغذاء في الحضارة العربية/الإسلامية وتخصيصه وفقاً لطبيعة كل شخص وحالته الصحية، وذلك باستخدام الطرائق التقنية المُثْلى في تحضير الطعام، يقول ابن مندويه في مقدمة كتابه: «موقع الأجساد من الأقوات فوق موقع كل مُحْتَاجٍ إليه في مصلحتها، وأحسن الأقوات موقعاً من الجسد أنماه وأهناه، وأمراه فيه، وألذه عنده، وأشهاه إليه، وقرنت بين الأشهى والأوفق في كتابي هذا...»[1].

يُعَرِّفُ هذا المقال أحدَ أنواع الأطعمة الموجودة في التراث العربي الإسلامي، وهو المضيرة التي ذكرها ابن مندويه في مخطوطه، وإبراز دورها التغذوي والصحي على الجسم، وذلك وفق مقادير وضعها هذا الطبيب للوصول إلى طعامٍ صحي وذي طعمٍ جيدٍ.

*باحث في معهد التراث العلْميّ العربيّ – جامعة حلب.

١- ابن مندويه، أحمد بن عبد الرحمن، مخطوط الأطعمة والأشربة، مكتبة أحمد الثالث، استانبول، القرن التاسع هـ، ١أ (ظ).

ثانياً- مؤلف المخطوط:

هو أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني أبو علي، لم تذكر المصادر والمراجع التي تحدثت عن ابن مندويه تاريخ ولادته، لكنها اتفقت على أنه ولد في مدينة أصفهان، وتوفي في مدينة بغداد، واختلفت في تاريخ وفاته.

يذكر البغدادي في كتابه **هدية العارفين** أن تاريخ وفاته هو (٤٤٠هـ/ ١٠٤٩م)، فيقول: (أحمد ابن عبد الرحمن أبو علي الأصبهاني الطبيب، معاصر الرئيس ابن سينا، توفي سنة ٤٤٠ أربعين وأربعمائة...)[٢]، بينما تذكر بعض المراجع الحديثة أن تاريخ وفاته هو(٤١٠هـ/ ١٠١٩م): «أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني (أبو علي) (٠٠٠-٤١٠هـ/ ٠٠٠-١٠١٩م) طبيب، له أعمال مشكورة في صناعة الطب، مِنْ مصنفاته: رسائل عدة ذكرها ابن أبي أُصيبعة، المدخل إلى الطب، الجامع المختصر من علم الطب، المغيث في الطب، الأطعمة والأشربة، والكافي في الطب، ويعرف أيضاً بالقانون الصغير»[٣].

وقد يكون سبب الاختلاف وعدم التوافق في كون أحد المصادر قد نقل نقلاً خاطئاً عن مصدر آخر، ولكننا نرجح التاريخ الثاني-والله أعلم- لأسباب عدة:

١- تشير الوثائق إلى أن تاريخ إنشاء البيمارستان العضدي ببغداد هي ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م[٤]، وقد اختير أبرز العلماء والشيوخ في تلك الفترة للعمل فيه، وكان ابن مندويه أحد الأطباء الذين اختيروا للعمل في البيمارستان، مما يعني أن ابن مندويه كان كبيراً في السن حتى وصلت شهرته إلى بغداد، وجرى اختياره للعمل هناك، فإذا اخترنا التاريخ الثاني فهذا يعني أن ابن مندويه قد عاش نحو ٤٠ سنة ابتداءً من عمله في البيمارستان.

٢- الأمر الآخر الذي يدعم اختيارنا أن ابن مندويه عمل مدّةً في بيمارستان أصفهان (من الأطباء المذكورين في بلاد العجم، وخدم هنالك جماعة من حكامها ورؤسائها)[٥] كما ذكر ابن أبي أصيبعة؛ أي إنه اشتهر في بلده، لذا رغب الحكام في الاستفادة من علمه، ومن ثَمَّ عند وصوله لبغداد كان قد تقدم بالسن.

٣- توفي موسى بن يوسف السيار (أبو ماهر) سنة ٣٥٠هـ[٦]، وهو أحد شيوخ ابن مندويه[٧]، فمن المرجح أن يكون عمره بين العقدين الثاني والثالث أثناء تلقيه العلم وتعلمه على يد أبي ماهر.

لمحة عن حياة ابن مندويه

ولد أحمد بن مندويه في أصفهان، وهو كما تذكره مصادر ترجمته ينتمي إلى أحد بيوت الأجلاء في أصفهان، «وكانت له أعمال مشكورة في صنعة الطب، وكان من البيوتات الأجلاء في أصفهان...»[٨]، تربى في جو أسري محب للعلم، إذ كان والده عبد الرحمن بن مندويه من «بلغاء أصفهان، ورسائله قريبة من رسائل الجاحظ، وكلامه يكاد يشبه كلامه، وله كتاب في الشعر والشعراء...»[٩]، وقد حثّ ابنه على حب العلم وتقديره، ووضعه على الطريق الصحيح ليكمل مسيرته العلمية، ويصبح أحد النجباء في عصر كثر فيه العلماء والمتميّزون.

٢- البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مجلد ١، ١٩٥١م، ص٧٦.

٣- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، مجلد١، ١٩٩٣م، ص ١٦٨.

٤- السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، لبنان، ج١، ١٩٩٠م، ص٥٤٢.

٥- ابن أبي أُصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم أبي العباس (٦٠٠-٦٨٦ هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٥ م، ص٤٥٩.

٦- البغدادي، هدية العارفين، مجلد٢، ص٤٧٨.

٧- مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، الموسوعة الإسلامية الكبرى، طهران، ج٣، ص ١٣٤٨.

٨- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٥٩.

٩- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط- تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١٨، ص١٦٩.

القفطي، جمال الدين، تاريخ الحكماء، تحقيق جوليوس ليبرت، ليبسك، ص٤٣٨.



درس ابن مندويه الكتب الطبية لكبار الأطباء الذين سبقوه أمثال جالينوس وبقراط، إذ إنه كثيراً ما ذكرهما في مؤلفاته واستشهد بهما[١٠]، فأتقن هذه العلوم وعمل بها، كما تعلم العلوم الطبية على يد أمهر الأطباء في أصفهان، وبالبحث عن شيوخه الذين درس على أيديهم صنعة الطب وجدنا أن أغلب الكتب التي تحدثت عن حياته كانت تستقي معلوماتها من مصدر واحد، ألا وهو كتاب ابن أبي أصيبعة (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) الذي لم يأت على أي ذكر لأسماء شيوخ ابن مندويه، واجتهدت في معرفة شيوخه في بعض المصادر، فعرفْتُ منهم:

- أبو ماهر موسى بن يوسف بن السيار الشيرازي[١١].
- أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري[١٢].
- حسن القطابي، ذكره ابن مندويه في مخطوط «الأطعمة والأشربة» عندما تحدث في نهاية المخطوط عن طريقة حرق الزجاج، فقال: «ورأيتُ أستاذي حسن القطابي يُلقيه بالخل»[١٣].

عمل ابن مندويه في بيمارستان[١٤] أصفهان[١٥]، وذاعت شهرته حتى وصلت إلى عضد الدولة فناخسرو (٣٣٩هـ/ ٩٥١م – ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)[١٦] الذي أنشأ بيمارستاناً متقدماً ببغداد سنة (٣٧٢هـ/ ٩٨٢م)، واختار (٢٤) طبيباً من كل موضع، وكان ابن مندويه أحدهم[١٧].

غزر النتاج العلمي لابن مندويه نتيجة عمله في البيمارستان العضدي[١٨] الذي كان يُعد أحد أكبر بيمارستانات الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، ونجمت هذه الغزارة عن خبرة طبية كبيرة في معالجة المرضى وعلاجه، فكان زملاؤه الأطباء يطرحون عليه أسئلة طبية عن حالات معينة صادفتهم، فيرد على استفساراتهم برسائل تفسيرية توضيحية، وهذا ما ذكره ابن أبي أصيبعة «ولأبي علي بن مندويه الأصفهاني من الكتب رسائل عدة، من ذلك أربعون رسالة مشهورة إلى جماعة من أصحابه في الطب...»[١٩]، وجمعها في أربعين رسالة، نذكر منها رسالة أرسلها ابن مندويه إلى (الأستاذ الرئيس في علاج شقاق البواسير)[٢٠]؛ أي ابن سينا؛ الأمر الذي يعكس أهمية ابن مندويه في عصره، ويدل على التأثر المتبادل بين العالمين، وربما كان هذا نتيجة القرب المكاني الذي أتاح لابن سينا الاستفسار من ابن مندويه عن علاج قروح البواسير، كما هو ظاهر من الرسالة.

١٠- ابن مندويه، أحمد بن عبد الرحمن الأصفهاني، مخطوط الكافي في الطب، مكتبة تشستر بيتي، دبلن.

١١- السمرقندي، النظامي العروضي، جهار مقالة مجمع النوادر، ترجمة عبد الوهاب عزّام، الرياض، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، المقالة الرابعة، ص٢٢٤.

١٢- مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، الموسوعة الإسلامية الكبرى، طهران، ج٣، ص ١٣٤٨.

١٣- ابن مندويه، مخطوط الأطعمة والأشربة، ص٦٥ أ (و).

١٤- البيمارستان: كلمة فارسية الأصل تعني المستشفى أو دار المرضى، وهي مركبة من كلمتين: بيمار وتعني المريض، وستان وتعني الدار.

دويدري، أنور، «البيمارستانات في حلب»، عاديات حلب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الكتاب الأول، ١٩٧٥، ص ١٣٢.

١٥- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٤٦٠.

١٦- عضد الدولة: أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة ثاني ملوك بني بويه.

١٧- القفطي، تاريخ الحكماء، ص٤٣٨.

١٨- أعظم إنجازات عضد الدولة البويهي إنشاؤه لبيمارستان كبير نسب إليه، فعرف باسم البيمارستان العضدي، أقامه سنة ٣٧٢هـ في الجانب الغربي من بغداد، وزوده بما يحتاج إليه من الأطباء والمرضين والخدم والطباخين والأدوات والأدوية، وألحق به بيمارستانًا للمجانين، وكان يعمل به ما يزيد على ستين طبيبًا في مختلف الاختصاصات، استقدم بعضهم من أماكن مختلفة.

السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ص٥٤٢.

١٩- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٦٠.

٢٠- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٤٥٩.

لم تكن اهتمامات ابن مندويه العلمية محصورة في العلوم الطبية فحسب، إذ يمكن القول: إنَّهُ طبيب، وعالم نبات، وأديب، وشاعر، وقبل ذلك كله هو فيلسوف، فقد ذكر القفطي له كتاباً كبيراً في الشعر والشعراء، وقيل: إنَّهُ لأبيه عبد الرحمن[٢١]، كما تشهد الرسالة التي أرسلها ابن مندويه إلى «حمزة بن الحسن في الرد على من أنكر حاجة الطبيب إلى تعلم اللغة العربية» على اهتمامه بالأدب العربي وحبه له، وكذلك تدل الرسالة التي أرسلها إلى الشخص نفسه (في النفس والروح على رأي اليونانيين) على اطلاعه وإلمامه بعلوم الفلسفة[٢٢].

ولابن مندويه مصنفات كثيرة[٢٣] أوردها ابن أبي أصيبعة، وتفوق الخمسين تصنيفاً، نذكر منها:

- أربعين رسالة إلى جماعة من أصحابه بأصفهان، منها رسالة في فعل الأشربة في الجسد، رسالة في وصف مسكر الشراب ومنافعه ومضاره، رسالة في أن الماء لا يغذو، رسالة في نعت النبيذ ووصف أفعاله ومنافعه ومضاره، رسالة في التمر الهندي، رسالة في الكافور.
- كتاب المدخل إلى الطب.
- كتاب الجامع المختصر من علم الطب، وهو في عشر مقالات.
- كتب المغاث في الطب.
- كتاب في الشراب.
- كتاب الأطعمة والأشربة.
- كتاب الكافي بالطب (القانون الصغير).
- كتاب نهاية الاختصار بالطب.
- كناش في الطب.

٢١-القفطي، تاريخ الحكماء، ص٤٣٨.
٢٢-ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٤٦٠.
٢٣- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ص٤٥٩-٤٦٠.

ثالثاً- نسخ المخطوط:

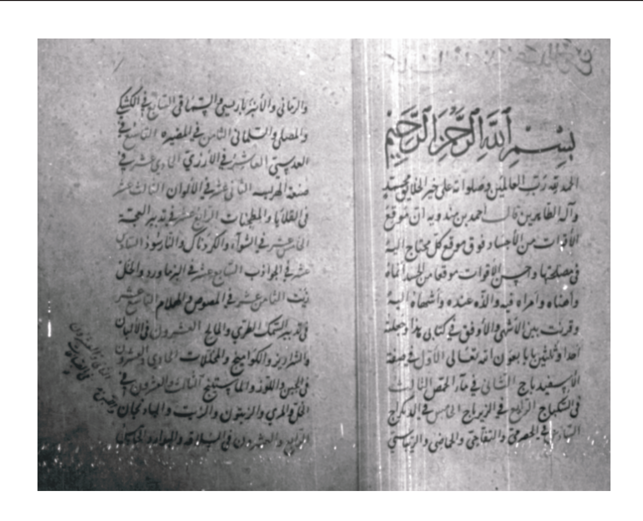
منه نسخة فريدة في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول رقم (٢٠٤٠)، وهي ضمن مجموعة من ٩٩٩-١٠٤١، وهي مكتوبة بخط تعليق جيد في القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر الميلادي، (٤٢) ورقة، ومسطرتها (١٣) سطراً لكل نص، (٨) كلمات في كل سطر، بأبعاد (١٣×١٨سنتيمتر)، ويوجد منها نسخة مصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي في حلب تحت رقم (٢٤ / ٤٥٧). ورمزنا لها بـ (أ).



صورة صفحة عنوان المخطوط

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على خير الخلائق محمد وآله الطاهرين، قال أحمد بن مندويه: إن موقع الأقوات من الأجساد فوق موقع كل محتاج إليه في مصلحتها، وأحسن الأقوات موقعاً من الجسد أنماه، وأهناه، وأمراه فيه، وألذه عنده، وأشهاه إليه، وقرنتُ بين الأشهى والأوفق في كتابي هذا، وجعلته واحداً وثلاثين باباً بعون الله تعالى، .....

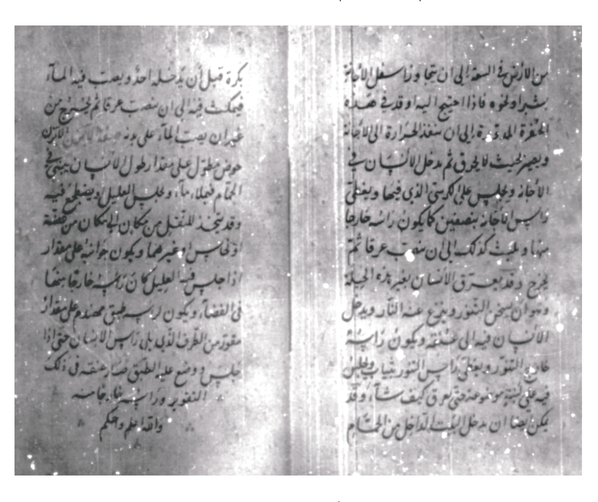


اللوح الأوَّل من المخطوط

آخرها:

صنعـة الآبزن: الآبزن حوض مطـوّل على مقدار طـول الإنسـان يُبنـى في الحمّـام، فيملأ مـاء، ويجلس العليـل، ويضطجع فيه، وقد يتخـذ للنقل من مكان إلى مـكان من فضة أو نحاس أو غيرهما، وتكون جوانبه على مقدار إذا جلس فيه العليل كان رأسه خارجاً منها في الفضاء، ويكون لرأسه طبق مهندم على مقدار مقوّر مـن الطّرف الذي يلـي رأس الإنسان حتّـى إذا جلس، ووضع عليه الطّبق صـار عنقه في ذلك التقوير ورأسه خارجاً منه.

* والله أعلم وأحكم *



اللوح الأخير من المخطوط

رابعاً- محتوى المخطوط:

قسـم ابن مندويه المخطـوط إلى واحد وثلاثين باباً وفصـلاً واحداً إلّا قسـم الأشربة التي لم يتطرق إليها الناسـخ لأنهـا محظـورة -أي محرمـة في الإسـلام- وهـي:

- الباب الأول: في صنعة الأسفيدباج.
- الباب الثاني: في صنعة ماء الحمص.
- الباب الثالث: في صنعة السكباج.
- الباب الرابع: في صنعة الزيرباج.
- الباب الخامس: في صنعة الديكراج.
- البـاب السادس: في صنعـة الحصرمـي والتفاحـي والحماضي والريباسي والسماقي والرماني والأنبرباريسي.
- البـاب السابـع: في صنعـة الكشكـي والمصلـى والسلماني.
- الباب الثامن: في صنعة المضيرة.
- الباب التاسع: في صنعة العدسي.
- الباب العاشر: في صنعة الأرزية.
- الباب الحادي عشر: في صنعة الهريسة.
- الباب الثاني عشر: في صنعة الألوان.
- الباب الثالث عشر: في القلايا والمطجنات.
- الباب الرابع عشر: في تدبير العُجَّة.
- البـاب الخامس عشـر: في صنعـة الشـواء والكردناك والنارسوز.
- الباب السادس عشر: في صنع الجواذب.
- البـاب السابع عشر: في صنعة البزماورد والخل زيت.
- الباب الثامن عشر: في المصوص والهلام.
- البـاب التاسـع عشـر: في تدبير السمـك الطري والمالح.
- البـاب العشـرون: في الألبـان والشراريـز والكواميخ والمخللات.

- الباب الحادي والعشرون: في صنعة الجبن واللوز والماستينج.
- الباب الثاني والعشرون: في الصباغات.
- الباب الثالث والعشرون: في الخل والمري والزيت والباذنجان واللبن.
- الباب الرابع والعشرون: في السلاقة والبوارد.
- الباب الخامس والعشرون: في السنبوسق.
- الباب السادس والعشرون: في النمكسود والقديد والبهاررزد.
- الباب السابع والعشرون: في صنعة الحلواء.
- الباب الثامن والعشرون: في تدبير الخبز.
- الباب التاسع والعشرون: في تدبير الماء.
- الباب الثلاثون: في الأشنان والمحلب.
- الباب الحادي والثلاثون: في تدبير الجسد بعقب الأكل والشرب.
- فصل: في أشياء لا بد منها في كل وقت.

وقد صنفنا الموضوعات التي بحث فيها ابن مندويه في كتابه:

- طرائق تصنيع بعض المنتجات الغذائية.
- طريقة تدبير بعض الأغذية وحفظها.
- خواص بعض المواد الغذائية وتأثيرها في الجسم.
- طريقة تحضير الغذاء الجيد النافع للصحة.

خامساً–منهج المؤلف:

امتاز المؤلف باستخدام أسلوب علمي، منطقي، متسلسل الأفكار، يشابه الأساليب المتبعة في وقتنا الحاضر عند كتابة كتاب علمي، فذكر في البداية السبب الذي دفعه لتأليف الكتاب، فعمله كطبيب في البيمارستان العضدي أتاح له الاطلاع على الأطعمة المقدمة للمرضى، وكيفية تحضيرها، وملاحظة تأثيرها الضار والنافع فيهم، فرغب في تعميم النتائج التي توصل إليها لتعميم الفائدة على الجميع.

كان ابن مندويه يبدأ كل باب بتعريف نوعية الطعام الذي سيتحدث عنها في هذا الباب، ثم يذكر الأشخاص الذين يناسبهم هذا الطعام، والذين لا يناسبهم ويتضررون من تناوله، ثم يعدد مقادير المواد المستعملة في الوصفة إلى أن يصل إلى طريقة العمل، ويُلحظ اتباع ابن مندويه المنهج التجريبي في كتابته لمعظم محتويات المخطوط، فهو يذكر كلمة «تفيد التجربة»، أو «أفادت التجربة»، وهو أمر واقعي لكونه يعمل في بيمارستان يحتوي كثيراً من الأدوات والوسائل اللازمة لعمل التجربة والتطبيق العملي.

يُلحظ أن ابن مندويه يذكر (أجمع أهل البصرة على أن أطيب الأمراق...)[٢٤]، مما يعني أن ابن مندويه قد استعان برأي أشخاص آخرين في بعض الأحيان، ولمّا كان يعيش في بغداد كان ذكره لرأي أهل البصرة يعني أن هذه النوعية من الطعام كانت تميز مدينتهم، لذا وجب أخذ رأيهم فيها.

سادساً– طريقة إثبات النص:

حُقِّقَ النص وفق القواعد المعروفة، وملخَّصُ عملنا فيه:

- **نسخ النص** ثم تقويمه وضبط مشكله، والتعريف بالغريب والمصطلحات.
- **الرموز**:

/ ابتداء صفحة المخطوطة. «و » وجه ورقة المخطوطة. «ظ» ظهر ورقة المخطوطة.

- **طرق الإحالة:** أحلنا على النسخة الخطيّة بالإشارة إلى رقم الورقة متبوعًا بـ «و» (وجه) أو «ظ» (ظهر).
- **الشكل**: ضبطنا ما أشكل من الألفاظ.
- **علامات الترقيم:** وضعنا علامات الترقيم للنصّ، وذلك لتسهيل قراءة النص وفهمه، ولتجنب أي غموض.

٢٤- ابن مندويه، مخطوط الأطعمة والأشربة، ٣٣أ (ظ).

- **تقسيم النصّ إلى فقرات: حافظنا على تقسيم النص الأصلي.**

- **العناوين: أوردنا عناوين الأبواب، ووضعناها على سطر واحد أو عدة أسطر.**

- **الرسم الإملائي**: تقيدنا بالرسم الإملائي الحديث، إذ إن الناسخ لم يتقيد –بشكل عام– بالقواعد الإملائية للكلمات، فقد كتب وفق أعراف الرسم القديم من تسهيل الهمزة وتَرْكِ إثبات الألف في مواضع، مثل «غايلة» بدلًا من «غائلة»، «نعما» بدلا من «ناعما»، و«ثلثين» بدلاً من «ثلاثين»، لذا أثبتنا الكلمات على ما استقرَّ عليه إملاؤنا المعاصر[٢٥].

سابعاً–المنهج المُتّبع في المقال:

حُقِّقَ نص الباب الثامن الخاص بصناعة المضيرة، ثم دُرست الوصفة المذكورة في المخطوط دراسة تحليلية علمية لتوضيح سبب إضافة كل مادة من المواد الداخلة في الوصفة، وقد جاءت هذه الدراسة وفق الخطوات الآتية:

١– ذكرنا اسم الوصفة، ثم مقادير المكونات، ثم طريقة الصنع.

٢– درسنا كل مكون من مكونات الوصفة من الناحية العلمية التقنية والصحية لتوضيح صحة انتقاء المكونات، وطريقة عمل هذه الوصفة بمقارنتها مع الدراسات المختصة الحديثة.

٣– دراسة تحليلية لسبب إضافة كل مادة من المواد الأولية الواردة في الوصفة.

ثامناً– النص المحقق:

الباب الثامن في صنعة المضيرة

المضيرة طعامٌ باردٌ، غليظ، يغذو البدن غذاءً كثيراً، ويملأ العروق، ويُولد بلغماً ورياحاً غليظة، وهو من طعام المحرورين، وذوي المعدة والأكباد الحارّة الواسعة المجاري، وليس من طعام المبرودين، ولا ذوي المعدة الباردة والرطبة، مولّدة للرياح، ولا يطيب طعمها إلا / [٢٦] بأن يقع فيها النمكسود يُصلح من المضيرة بعين الصلاح.

وأجود صنعتها أن يُؤخذ اللبن الرائب الحامض الدسم الذي لم يُنزع زبده، ويُجعل في المخضة[٢٧]، ويُلقى معه الفوذنج[٢٨]، والنعنع، والكراث، والسعتر، والنمام[٢٩]، والفلنجمشك، والبادرنجبويه، والسذاب، والرازيانج[٣٠]، ويُمخض[٣١] حتى يرق، ويستوي قوامه، ثم يُروّق من البقول، ويُجعل منه في القدر مقدار الحاجة إليه، ويُوقد تحتها، ويساط[٣٢] بمغرفة حتى يغلي غلياناً ناعماً، ويُلقى عليه من لحم الحمل السمين من الجنب والفخذ ثلاثة أرطال، ومن سمين النمكسود نصف رطل، يُقطع، ويُنظف، ويُلقى في القدر معه من شَحم الدجاج والفراخ ما حضر، ومن السذاب، والنعناع، والكراث، والسعتر البستاني، والرازيانج،

٢٥– سبط المارديني، بدر الدين محمد بن محمد، إرشاد الطلاب إلى وسيلة الحساب، تحقيق مصطفى موالدي، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، مقدمة المحقق، ص ص ٥١–٥٣.

٢٦– بداية ٣٨ أ (ظ).

٢٧– حاشية جانبية: المخضة، شيرزنه.

٢٨– الفوذنج: نبات عشبي حولي، بري وجبلي ونهري، يستخدم كتابل باستعمال الأوراق ولتطييب الحساء والأطعمة المطبوخة. عقيل، محسن، معجم الأعشاب المصور، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، حرف الفاء، مادة «الفوذنج»، ص٤٠٩ وما يليها.

٢٩– النمام: هو الصعتر البري، له استعمالات طبية كثيرة. عقيل، معجم الأعشاب المصور، حرف النون، مادة النمام، ص٥٢٧ وما يليها.

٣٠– الرازيانج: الأنيسون وقيل هو الشمرة وهو الأصح. شير، أدي، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، باب الراء، مادة «الرازيانج»، ص٧٠.

٣١– تمخض اللبن وامتخض أي تحرك في المخضة. الجوهري، أبو نصر إسماعيل (ت ٣٩٢ هـ)، الصحاح، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، باب الميم، مادة «مخض».

٣٢– حاشية جانبية: سَاطَ وسوَطَ مَزَجَ، غ.

وفقاح الجزر في أيامه باقة[33]، ومن البصل الشامي المقشر خمس بصلات، / [34] ومن الثوم سبعة أسنان منظومة في خلال، وصرّة فيها كزبرة، وزنجبيل، وفلفل، وخولنجان[35]، ودارصيني مرضوضة من كل واحد وزن درهم، ويُطبخ حتى يبرأ اللحم من العظم، ثم يُلقى عليه رطل زبد طري، ويُطبق القدر، ويُترك على الجمر حتى ينضج، ثم يُغرف ويقدم.

تاسعاً- دراسة وصفة المضيرة:

المَضيرة كما حُلِّيَت في المعجمات العربية مُرَيْقَة تُطبخ بلبن وأشياء، وقيل: هي طبيخ يُتخذ من اللبن الماضر أي الحامض، قال أبو منصور: المضيرة عند العرب أن تطبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد حذي اللسانَ حتى يَنْضَجَ اللحمُ وتَخْثُرَ المضيرة، وربما خلطوا الحليب بالحَقِين، وهو حينئذ أطيب ما يكون[36].

وقد أولت كتب التراث اهتمامها بهذه الطبخة، فتحدث عنها أطباؤنا في مختلف كتب الأغذية، فقال عنها الرازي: «وأما المضيرة، فكثيرة الغذاء، عسرة الهضم، لا تصلح إلا للمعدة الملتهبة، وفي الأوقات الحارة، وتضر بمن يعتريه القولنج والرياح...»[37].

كما جاءت في كتاب **الطبيخ** لمحمد بن حسن البغدادي ضمن فصل **في اللبن وما يُطبخ منه** وجعلها أولى الوصفات، لأهميتها وانتشارها في ذلك الوقت، وتحدث عن صنعتها بشكل مفصل[38]، وكان أبو هريرة قد أبدى إعجابه بالمضيرة جداً، فكان يأكلها مع معاوية، حتى شُهِرَتْ به[39].

تحدث عنها ابن مندويه في مقدمة هذا الباب: «المضيرة طعامٌ باردٌ، غليظٌ، يغذو البدن غذاءً كثيراً، ويملأ العروق، ويُولد بلغماً ورياحاً غليظة...»[40]، أي إنها ذات قيمة غذائية مرتفعة لاحتوائها على اللبن واللحم، كما أن اللبن يعطيها الصفة الباردة الغليظة.

المقادير:

١- لبن رائب حامض كامل الدسم.

٢- كمية من الفوذنج[41]، النعنع، الكراث، السعتر.

٣- فلنجمشك[42]، وبادرنجبويه[43]، سذاب، ورازيانج.

٤- ثلاثة أرطال من لحم الحمل السمين من الجنب والفخذ.

٣٣- حاشية جانبية: باقة دستة كَره، غ.

٣٤- بداية ٣٩ أ (و).

٣٥- خولنجان: نبات رومي وهندي يرتفع نحو ذراع وأوراقه كأوراق القرفة. شير، أدي، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، باب الخاء، مادة «الخولنجان»، ص٥٦.

٣٦- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، [مضر].

٣٧- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، الأغذية منافعها ودفع مضارّها، تحقيق أحمد المزيدي ومنى شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص٦٨.

٣٨- البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد الكاتب (ت ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٥ م)، كتاب الطبيخ، تحقيق فخري البارودي، دار الكتاب الجديد، دمشق، ١٩٦٤م، ط١، ص ٢٤.

٣٩- الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله، مطالع البدور في منازل السرور، تحقيق التجاني سعيد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص٨٨.

٤٠- ابن مندويه، الأطعمة والأشربة، ص ٣٨ (و).

٤١- الفوذنج: نبات عشبي حولي، بري وجبلي ونهري، يستخدم كتابل باستعمال الأوراق ولتطييب الحساء والأطعمة المطبوخة. عقيل، معجم الأعشاب المصور، حرف الفاء، مادة الفوذنج، ص٤٠٩ وما يليها.

٤٢- فلنجمشك: القرنفل البستاني. ابن سينا، القانون في الطب، ج٣، ص٤٠٩.

٤٣- البادرنجبويه: (بلسم الليمون) بقلة كبيرة النفع في الأمراض السوداوية، وتعرف ببقلة الأترجية والترنجان، وهي مركبة من بادرنك، وهو ضرب من القثاء، ومن بويه أي رائحة، وتركيتها اوغل اوتي. شير، أدي، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، باب الباء، مادة «البادرنجوية»، ص ١٤.





٥- نصف رطل من سمين النمكسود، وهو اللحم المُقدد.

٦- كمية من شحم الدجاج والفراخ.

٧- كمية من السذاب، والنعنع، والكراث، والسعتر البستاني، والرازيانج، وفقاح[٤٤] الجزر.

٨- خمس بصلات شاميات مقشرات.

٩- سبعة أسنان من الثوم.

١٠- صرة فيها من الكزبرة، والزنجبيل، والدارصيني المطحونة بمقدار درهم لكل منها.

١١- رطل من الزبد البري المصنوع من حليب الأغنام والماشية التي تتغذى تغذية طبيعية وترعى بالبرية.

طريقة العمل:

- يُوضع اللبن الكامل الدسم في المخخضة، أو في خلاط للتجانس وذوبان الدسم.

- يُوضع في المجانس مع اللبن كل من الفودنج، والنعنع، والكراث، والسعتر، والنمام، والفلنجمشك، والبادرنجبويه، والسذاب، والرازيانج، ويتم تحريكه معه.

- بعد أن تتجانس المكونات، ويرق اللبن، ويستوي قوامه يتم تصفيته، وعزله من البقول التي تم وضعها سابقاً معه في المخخضة.

- يُوضع اللبن المخضوض في القدر بمقدار الحاجة، ويُوقد الحطب تحتها.

- يُساط اللبن بواسطة مغرفة أي يتم مزجه وتحريكه حتى لا تنفصل عنه الزبدة، ويُلقى عليه اللحم العادي الذي تم تنظيفه وتقطيعه، وأيضاً اللحم المُقدد.

- يُضاف إلى الطبيخ كل من شحم الدجاج والفراخ بالإضافة إلى السذاب، والنعناع، والكراث، والسعتر البستاني، والرازيانج، وفقاح الجزر.

- يُضاف إلى القدر البصل، والثوم الذي وُضعه في أعواد لسهولة نزعه وقت الحاجة.

٤٤- فقاح: تفقحت الوردة أي تفتحت، والفقّاح نور الإذخر. الجوهري، الصحاح، باب الحاء، مادة «فقح».

- تُضاف بعد ذلك صرة التوابل، ويُترك الطبيخ على النار حتى الوصول إلى مرحلة الاستواء، ويُلقى عليه الزبدة.

- يُغلق القدر بعد ذلك، ويُترك على الجمر حتى ينضج الطعام، ثم يُسكب بمغرفة ويُقدم.

دراسة الوصفة علمياً:

١- *اللبن الحامض:* يُعرف باللبن الزبادي أو الياغورت، وهو أحد منتجات الحليب التي يتم تصنيعها بعملية التخمير البكتيري للحليب باستخدام البكتريا اللبنية مما يؤدي إلى تحويل جزء من سكر اللاكتوز (سكر الحليب) إلى حمض اللاكتيك (حمض اللبن) مما يؤدي إلى إعطاء الطعم الحامضي أو الحريف، وأيضاً يؤدي إلى تمسخ البروتينات أي لترسبها وإعطاء قوام أكثر تماسكاً[٤٥].

وهنالك عدة فوائد من تحويل الحليب إلى لبن منها تقنية تؤدي إلى إطالة فترة الحفظ نتيجة لانخفاض درجة الحموضة أو الـ Ph، ومن ثَمَّ تقلل من فرص تكاثر الكائنات الحية الدقيقة التي تؤدي إلى فساد اللبن[٤٦]، كما يوجد فوائد عدة صحية وغذائية من تحويل الحليب إلى لبن زبادي تتلخص مِن ثَمَّ بما يأْتي[٤٧]:

- يحتوي على عناصر غذائية مهمة وبنسب جيدة مثل الكالسيوم، والفوسفور، والمغنيسيوم، والبوتاسيوم وفيتامين B_{12}، B_6.

- تعزيز صحة جهاز الهضم؛ إذ يحتوي على البروبيوتيك، وهي بكتريا نافعة تعزز من صحة الجهاز الهضمي، وتحمي من بعض الأمراض المرتبطة به كتهيج القولون والإمساك.

- المحافظة على صحة العظام؛ إذ يُعد مصدراً مهماً للكالسيوم والفوسفور وفيتامين D.

- تقوية المناعة لوجود البكتريا النافعة ووجود الزنك والمغنيسيوم.

- يُتيح للأشخاص الذين يعانون سوء هضم اللاكتوز (النفور اللاكتوزي) تناول اللبن الذي يحتوي على نسبة أقل من سكر اللاكتوز المتحول إلى حمض اللاكتيك، بالإضافة إلى أهمية البادئات الموجودة في اللبن التي تمنع نمو البكتريا الضارة لما توفره من بيئة حامضية[٤٨].

إلا أنه قد يُولد البلغم نتيجة احتوائه على الكازئين الذي يكون صعب الهضم، ومن ثَمَّ عندما ينتشر في الجسم يُولد ردة فعل تحسسية تظهر في إفراز بلغم أكثر كثافة.

ومن ثَمَّ يكون الهدف من استخدام اللبن في الوصفة:

من الناحية الصحية والغذائية: تعزيز صحة الجهاز الهضمي لاحتوائه على البروبيوتيك كما يعمل على تعزيز مناعة الجسم بشكل عام، وأيضاً يُعزز من القيمة الغذائية للوصفة بشكل كبير لاحتوائه على المغذيات، واستخدام اللبن كامل الدسم يُعزز من القيمة الغذائية للوصفة أيضاً، إلا أنه قد يُولد البلغم والريح وبشكل خاص عند من يعانون حساسية اللاكتوز.

من الناحية التقنية: وَضَعَ المؤلِّف اللبن مع مجموعة من البقول في جهاز الخض اليدوي أو المخضة كما سماها للتحريك، إلا أن جهاز الخض

---

45 - Tamime,A,Y & Robinson, Richard, *Yoghurt science and technology,* Wood head publishing, Cambridge, England, 2nd edition, p 1-16.

٤٦- شحاتة، عبدة السيد والمجدوب، محمد نبيل، ميكروبيولجيا الجبن والألبان المتخمرة، المكتبة الأكاديمية، الجيزة، ط١، ٢٠٠٣م، ص١.

٤٧- المرجع السابق، ص ص ٤٤١-٤٤٩.

٤٨- جانجي، جورج، التغذية وصحة الإنسان، منشورات جامعة البعث، حمص، ٢٠٠٦م، ص ص ٥٥- ٦٠.





يُستخدم عادةً لعملية فرز الحليب واستخلاص الدسم من الحليب للحصول على لبن فرز وقشدة بالطرد المركزي.

الآلية التي استخدمها المؤلف ليست للفرز، إنما للخلط والمجانسة بتحريك المخضة بشكل كامل ودائري، ومن ثَمَّ لن يحصل انفصال الدسم عن اللبن، كما أن إضافة البقول يمكن أن تعمل كالكرات الموجودة في جهاز المجانس التي تعمل على تنعيم جزيئات الدسم، ومِنْ ثَمَّ صعوبة انفصالها عن اللبن، وبعد الانتهاء من التحريك يجب الانتظار حتى يروق اللبن ويستوي أي يتجانس ككتلة واحدة، ثم يُصَفَّى اللبن من البقول المستخدمة.

تعريف المخضة:

هنالك عدة أشكال للمخضة اليدوية **كالشكوة**، وهي عبارة عن وعاء من جلد الحيوانات يُوضع فيها اللبن ويُمخض، ويقال: (إنما هو تشَكَّت النساءُ أَي اتخذْن الشِّكاءَ لَمْخْض اللبن لأَنه قليل، يعني أَن الشَّكْوَةَ صغيرةٌ فلا يُمَخْضُ فيها إلا القليلُ من اللبن)[٤٩]، وتمر بعدة مراحل، وهي ذبح الماعز وفصل جلده عنه ثم يُزال الشعر، والدبغ، والغسل، والتجفيف.

وهناك **الصوفة** وهي لا تختلف عن الشكوة بشيء إلا أنها لا تُدبغ ولا يُزال الشعر عن الجلد إلا أنها تُغسل وتُجفف جيداً، وتُستخدم لحفظ السمن واللبن الحامض.

كما يوجد **السقا أو السعن،** وهي عبارة عن قربة لخض اللبن تُستعمل لإنتاج عدة أنواع من المنتجات اللبنية كاللبن الحامض والزبدة والسمن والقشدة، وتكون في عدة أحجام منها الكبير والصغير والمتوسط.

٤٩- ابن منظور، لسان العرب، حرف الواو والياء، فصل الشين، مادة «شكا».

وتكـون القربـة المصنوعـة من جلـد الماعـز موضوعة علـى ثلاثـة عواميد خشبية مرتبة بشـكل هرمي لحمل القربة، ولها حبلان من الطرفين يربطانها مع الأعمدة لتثبيتهـا، كمـا أن رأس القربـة يكون ضيقـاً لسـهولة استخلاص الزبد الذي يطفو علـى السطح بينما يبقى الحليب الفرز في الأسفل.

«السَّعْـنُ والسُّعْـنُ: شـيء يُتَّخـذ مـن أَدَم شبه دَلو إلا أَنـه مُستطيـل مستديـر، وربمـا جعلـت لَـه قوائم يُنْتَبَـذ فيه، وقـد يكون بعضُ الدِّلاءِ علـى تلك الصنعة، والسُّعْـن: القرْبـة الباليـة المتَخَرِّقـة العُنق يُـبرَّد فيها الماء، وقيل: السُّعْن قِرْبة أَو إداوة يُقْطع أَسفلُها ويُشَدُّ عُنُقهـا وتُعَلَّـق إلى خشبـة أَو جِذْع نخلة، ثـم يُنْبَذ فيها ثـم يُبرَّد فيها، وهو شبيه بدَلو السَّقَّائين يصبون به في المَزائد»[٥٠].

٢- النمكسود:

النمسكـود اسـم فارسـي يعني اللحـم المُقدد[٥١]، وهـو اللحـم المحفـوظ عـن طريـق التجفيـف إمـا بتعريضه للشمس، وإما بواسطة الفحم، ويُضاف إليـه الملـح، وقـد عـرّف الحُصْـريّ **القـيرواني** النمكسود بأنه «لحم يُقطـع طوابيق، ويُشد بالملح في ألـواح، ويُنشر حتى يذهب مـاؤه وينشف، فإذا احتيـج إلى شـيء منـه بُـل بالمـاء وأُصلـح، وإنما يُستعمل ليسافر به ولا يَفسد»[٥٢].

وقـال عنه **الـرازي**: إنَّ التمليح يزيـده فضل يبس وحـر وبـطء انهضـام، وأمـا التقديد فيزيـده مع ذلك كيفيـة أخرى بحسـب التوابل والأبازيـر التي طُرحت عليـه[٥٣]، ومـن ثَمَّ فـإن طبـع النمكسـود حـار أراد به ابـن مندويه أن يصلح بها المضـيرة ذات الطبع البارد «النمكسود يُصلح من المضيرة بعين الصلاح»[٥٤]، ومن ثَمَّ يُعدل من طبعها وهو ما أرداه المؤلف.

وتكـون طريقة عمل النمكسود أو اللحم المقدد وفق الآتي:

- نُذيب الملح في الماء، ونَضعه على اللحم لمدة لا تقل عن ربع ساعة.
- نغسل اللحم جيداً، ونتركه حتى يجف جيداً.
- نخلـط الفلفـل الأسـود والكركـم، والكمـون، والقرفـة، والزنجبيـل، والشطّـة، والملـح بشـكلٍ جيّد بعضـها مع بعضٍ.
- نضيـف البهـارات إلى اللحـم، ونتركـه ينتقـع بالبهارات مدة لا تقل عن خمس ساعات، حتى يتشرّب كلّ نكهات البهارات.
- نـترك اللحم في مكان جافّ، ولكـن يجب الانتباه إلى عـدم تعرّضـه للشمـس، ونغطّيـه بشاش أبيض، وذلك لمنـع تلوث اللحم بالملوثـات المُتعددة ونتركه لمدّة أسبوعين.

إن طريقـة الحفظ بالتجفيف يُمكـن أن تحافظ على التركيـب الكيميائـيّ للحم وبشكل خاص البروتينات الموجودة فيـه، ولكن يحصل فقـد للفيتامينات المُنحلة بالمـاء كمجموعـة فيتامينـات (B)[٥٥]، ومـن ثَـمَّ يكـون الهدف من إضافة النمكسود للوصفة:

مـن الناحيـة الصحيـة: تُعديل بـرودة المضيرة

٥٠- ابـن منظور، لسان العرب، حـرف النون، فصل السين، مادة «سَعَنَ».

٥١- المصـري القوصوني، مدين بن عبد الرحمن، قاموس الأطباء وناموس الألباء، مصوّرات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٩م، ج١، ص١٤٥.

٥٢- الحُصْـريّ القيرواني، أبو اسحـاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٦ هـ)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٤٠.

٥٣- الرازي، منافع الأغذية ودفع مضارها، ص ٥٨.

٥٤- ابن مندويه، الأطعمة والأشربة، ص ٣٨ (ظ).

55- Toldra, Fidel, *Dry cured meat products*, Food& Nutrition inc, USA, p243.

لتصبح أكثر حرارة، ومن ثَمَّ توافق أطباع بعض الناس بالإضافة إلى الفائدة الغذائية والصحية التي يضيفها النمكسود باعتباره أساساً مأخوذاً من أحد أنواع اللحوم والمحتفظ تقريباً بخصائصه السابقة الذكر نفسها.

من الناحية الحسية: إضافة النمكسود المُتبل بالبهارات يُعطي طعماً جيداً للمضيرة لا يطيب إلا بوجوده كما ذكر المؤلف.

٣- الكراث: بالنسبة للكراث الذي يكون طعمه وشكله مشابهاً للبصل الأخضر فإنه يتمتع بالخصائص الآتية[٥٦]:

- منشط ومرمم حيوي.
- يفيد المصابين بالربو والسعال والإمساك والتخمرات المعوية.
- يدر البول ويصلح خلل الكلية، ويوصف لعلاج التهاب المثانة وحصر البول.
- قليل التغذية لكنه غني بفيتامين ج، ولذلك يُعد مفيداً جداً للصحة.

٤- السعتر[٥٧]:

نبات من التوابل من الفصيلة الشفوية، من الفصيلة الشفوية، له رائحة عطرية قوية، له أنواع برية وأخرى تزرع، له عدة أسماء (السعتر، الصعتر، الزعتر بالعامية، حاشا) والأخيرة هي كلمة آرامية، وله عدة فوائد في الطب الحديث ويستعمل تابلاً لفتح الشهية ولتطييب رائحة الطعام والشلجم، وهو السبب الأساسي من إضافته كما أن له دوراً في إدرار البول.

٥٦- قدامة، أحمد، موسوعة الغذاء والتداوي بالنبات، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ص ص ٥٦٨-٥٦٩.

٥٧- قدامة، قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، ص٢٧٣.

٥- اللحم[٥٨]:

يُعرف اللحم بأنه تلك النسج الحيوانية التي يمكن أن تستخدم كغذاء، أو أنها عبارة عن ذلك النسيج الحيواني الذي حدث فيه تغييرات حيوية أساسية بعد الذبح، وأصبح ملائماً للاستهلاك، كما يُعرف بأنه أجزاء من ذبيحة الحيوان الزراعي التي تحتوي على النسج العضلية المخططة بصفة أساسية ومع ما يرافقها من نسج ضامة رخوة ومتراصة سميكة ودهنية وعظمية وغضروفية وأوعية دموية وبعض الدم وأوعية بلغمية.

تُعد اللحوم عموماً من أهم المواد في تغذية الإنسان لأنها تركيب معقد من النسج التي تحتوي على مواد غذائية ذات فائدة حيوية عالية، كما تُعد مصدراً عالي القيمة لمختلف العناصر الغذائية، وتعزى القيمة الغذائية الكبيرة في اللحم لمكونات النسج العضلية التي تتألف منها وهي البروتينات والدهون والفيتامينات والأملاح المعدنية، كما تُعد اللحوم مصدراً جيداً للبروتينات والفيتامينات بخاصة فيتامين B وبعض المواد ولا سيما الحديد.

وقد شرط ابن مندويه في تحضير المضيرة **شرطين** في استعمال اللحم:

- يجب أن يكون **لحم الأضلاع من الذبيحة دونما عمر السنة** للضأن والماعز، وهذا يتعلق بالقيمة الغذائية والحسية للحم، فتركيب اللحوم يتوقف على النوع الذي يؤثر في المواد الغذائية الموجودة في اللحم وسعراتها الحرارية، ويتوقف أيضاً على درجة السمنة والمعاملات المختلفة والجنس والعمر، إذ إنه **بزيادة عمر الحيوان** تصبح الألياف العضلية أكثر خشونة وأكبر سمكاً،

٥٨- اسعيّد، مصطفى، تقانة اللحوم، مطبوعات حلب، حلب، ط١، ص ص (١٦-٥٤).

وتقل نسبة النسيج الضام كلما تقدم في العمر، ومن ثَمَّ تقل بروتينات النسيج الضام بزيادة العمر غير أنه في لحوم الحيوانات البالغة تلحظ زيادة في نسبة الإلالستين عنها في الصغيرة وتقل نسبة الرطوبة مما يعطي اللحم صفة الصلابة، وبتقدم عمر الحيوان تزداد نسبة الدهن، وتقل البروتينات، كما تتعلق أيضاً بأمور تقنية مرتبطة بسرعة الطهو والاستواء، فعمر الذبيحة يؤثر لأن الألياف العضلية للحيوان الصغير العمر تكون أقل خشونة وأقل سمكاً، فتُطهى بسرعة أكبر.

-بالنسبة لاختيار قطعة من أضلاع الذبيحة، فبالنظر لتأثير الموقع التشريحي للعضلات يُلحظ أن خواص ونسب النسج المختلفة في أجزاء الذبيحة الواحدة ليست متماثلة لذلك تختلف العضلات في خواصها وتركيبها، وتصنف ذبيحة الأغنام إلى ثلاث مجموعات:

-**قطع الدرجة الأولى:** يضم الظهر بأكمله والفخذ، ولحمه جيد وصالح للشي والتحمير وكمية النسج الضامة فيه قليلة نسبياً.

- **قطع الدرجة الثانية:** ويضم الرقبة والصدر(الأضلاع) والبطن، وتصلح للسلق والفرم.

- **قطع المجوعة الثالثة:** ويضم المنحر والموزة الأمامية والخلفية وتصلح للسلق، وتحوي أعلى نسبة من العظام والنسج الضامة.

يمكننا مما سبق إيضاح أهمية إضافة اللحم إلى المضيرة وفقاً للمخطوط بالنقاط الآتية:

من ناحية الطعم: يكون للحم طعم محبب للكثيرين أثناء عملية المضغ، نتيجة لخروج العصارة الخلوية محملة بمركبات النكهة اللذيذة.

من الناحية التقنية: لاحظنا أن اللحم المتخذ يكون من الأضلاع من الحيوان الصغير، الذي يكون مناسباً لعملية السلق للوصول إلى الجودة المطلوبة.

من الناحية الغذائية والصحية: لاحظنا وجود القيمة الغذائية المرتفعة للحم، ومن ثَمَّ تكون أهميته في تغذية الجسد وإعطاء مقدار من الطاقة اللازمة للجسم للقيام بنشاطه الاستقلابي.

٦- البصل[٥٩]**:**

- يحتوي على الكبريت وفيتامين (C)، ومواد مدرة للبول والصفراء ومواد ملينة، ومقوية للأعصاب ومغذية للقدرة الجنسية، ومؤثرة في القلب ودورة الدم.

- تفيد الخمائر الموجودة فيه في الاستسقاء وتشمع الكبد وانتفاخ البطن وتورم الساقين وانصبابات الجنب وبعض أمراض القلب.

- يُعد غذاءً جيداً لذوي المعدة القوية ولجعله سهل الهضم يطبخ بقشره ليحتفظ بمواده النافعة سليمة.

- ولكن للبصل مضار أيضاً قد تؤثر سلباً في بعض المرضى، فهو:

- يحتوي على مواد كبريتية طيارة مهيجة تهيج العيون عند تقشير البصل وتسيل الدموع، تجعل البصل النيئ عسير الهضم وكريه الرائحة وبخاصة سلفات الآليل.

- يمنع البصل عن المصابين بعسر هضم والمغص المعدي والمعوي وذوي الأجهزة الهضمية الحساسة.

- قيمته الحرارية منخفضة ومن ثَمَّ لا يُعد غذاء تامّاً لإمداد الجسم بالطاقة اللازمة للقيام بوظائفه الحيوية.

ومن ثَمَّ يمكننا الوصول للغاية التي جعلت المؤلف يضيف البصل وفق الكمية المذكورة:

٥٩- قدامة، قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، ص ص ٥٧- ٦٢.

من ناحية الطعم والناحية التقينة: للبصل فائدة مهمة في إزالة الروائح والنكهة الكريهة وغير المحبَّبة لاحتوائه على مركبات كبريتية طيارة تقوم بسحب تلك الروائح أثناء الطهو[60].

٧- الثوم[61]:

نبات معمر من فصيلة الزنبقيات التي منها البصل والكراث والزنبق وغيرها، واسمه بالعربية الفصحى «الفوم، الثوم»، وكلمة الفوم وردت في القرآن الكريم **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾**.

تم وصف الثوم حديثاً على أنه:

- تابل من التوابل المهمة التي تضاف إلى المآكل لتطييب طعمها وتحسين نكهتها.
- يحتوي على عناصر مطهّرة ومعقمة تتركز في خلاصة كبريتية، وهي التي تعطيه رائحته الخاصة وطعماً لاذعاً.
- عسير الهضم مهيج للمعدة والجهاز البولي.
- مطهر معوي ومنبه معدي، موقف للإسهال الميكروبي.
- ينشط القوة الجنسية.
- يفيد في أمراض الصدر وصعوبة التنفس.
- معرّق ومدر للبول.
- ينقي الدم من الكوليسترول والمواد الدهنية.

ومن ثَمَّ يكون هدف الإضافة كما يأتي:

من الناحية الصحية والغذائية: وجود الثوم في الوصفة يرفع من قيمتها الصحية ويدعمها بالمواد المغذية لما يحتويه من مواد مرتفعة القيمة الغذائية ومضادات أكسدة ومضادات حيوية.

من الناحية الحسية والتقنية: وجود الثوم المطبوخ مع الكزبرة في الطعام يعطيه طعماً مميزاً، يميزه من غيره من الأطعمة التي لا تحتويه، وتجعله محبباً ومفضلاً لدى الكثيرين، كما أن عملية وضع أسنان الثوم ضمن عود قبل إضافتها للوصفة يساعد في سهولة إزالة الأسنان بعد الطبخ عند الحاجة إلى ذلك.

٨- السذّاب، فيجن:

كلمة السذاب أو السداب هي فارسية معربة ومنه التركي سَداف[62]، وهي عشبة خضراء مزرقة اللون يبلغ ارتفاعها نحو(٣٠-٦٠) سنتيمتراً، تفوح منها رائحة قوية كريهة بجملتها، أوراقها بيضوية الشكل مجنّحة ومنقطة، تزهر في شهري تموز وآب أزهاراً نجمية الشكل، صفراء، خضراء[63].

وصفت في الطب الحديث على أنها:

- مادة الروبين الموجودة في السذاب لها مفعول داعم ومقوي للبطانة الداخلية للأوعية الدموية وخافض للضغط الدموي، وهذه المزيَّة تجعله مناسباً لبعض أمراض الدم والأوعية الدموية، وعلى سبيل المثال السذاب مفيد بعد حدوث الجلطة لأنه يمنع تكرارها.
- يستخدم بفعالية لبعض اضطرابات الجهاز العصبي الذاتي مثل الصرع والتصلب المُتعدد.
- تستعمل أوراق السذاب لعلاج اضطرابات الحيض وآلام الدورة الشهرية، وكمانع للحمل.
- في أمراض الحمى وضد البثور الجلدية الناتجة عن الحرارة، ومضاد للإسهال وفاتح للشهية، ويمنع عسر الهضم.

---

60 BREWESTER, James, *Onions and Other Vegetable Alliums*, 2nd edition, Welles Bourne, p261.

٦١- قدامة، قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، ص ص ١٣٠-١٣٥.

٦٢- شير، معجم المصطلحات الفارسية المعرّبة، ص ٨٨.

٦٣- رويحة، أمين، التداوي بالأعشاب، دار القلم، بيروت،١٩٨٣م، ط٧، ص ١٨٤.

- تستعمل عشبة السذاب وزيتها خارجيّاً لعلاج الأمراض الجلدية ولا سيَّما التهابات الجلد والأكزيما، وتسكين الألم العضلي وآلام الأعصاب والتشنجات وآلام الروماتيزم، ومن الخارج أيضاً كغسول للمساعدة في شفاء الجروح والقروح النتنة وآلام وإجهاد العين ومشاكل الرؤية، وكمضمضة في التهاب اللوزتين والتهاب اللثة، أو كغرغرة في أوجاع البلعوم.

يمكن تلخيص الفوائد الصحية والتقنية بالآتي:

من الناحية الصحية: وجدنا أن للسذاب فوائد في المحافظة على صحة الدم والأوعية الدموية، فتناوله يسكن الدم ويُميعه ويمنع تلازنه، ومن ثَمَّ يمنع حدوث الجلطات، ويمكن أن يكون استخدامه في الوصفة لتعزيز الصفة المسكنة للدم التي يدعمها السكباج كما قال المؤلف.

من الناحية التقنية: الرائحة العطرية القوية التي تحملها أوراق السّذاب لها دور في حجب بعض النكهات غير المحبَّبة التي قد توجد في الوصفة، ومن ثَمَّ رفع القيمة الحسية للسكباج وجعل نكهته أفضل وأكثر تقبلاً.

عاشراً- الخاتمة

يُستدل من تحقيق الباب الثامن من مخطوط (الأطعمة والأشربة) ودراسته أن المؤلف اتبع **منهجاً علمياً دقيقاً** في كتابة الوصفة، فبدأ بذكر مكوناتها، والمقدار المستخدم من كل مكون، ثم شرحَ طريقة العمل، وبهذا بات مخطوطه يُشابه كُتُبَ الطبخ الحديثة بالترتيب والدقة، إلا أنه لم ينس السبب الذي أُلّف من أجله المخطوط وهو **الفائدة الطبية**، فأضاف خبرته الطبية ذاكراً الفوائد الطبية لكل وصفةٍ مع ذكر المرضى الذين تناسبهم هذه الوصفة والمرضى الذين لا تناسبهم.

ويُلحظ أن معظم المُعطيات والمعلومات التي قدمها المؤلف هي **معلومات دقيقة** أثبت العلم الحديث صحتها، وأن **الطرائق** التي ذكرها ابن مندويه في التحضير هي طرائق تعتمد بشكل عام على النظرية العلمية (الاستخدام الأمثل للطاقة الحرارية، توافق المواد الغذائية المستخدمة وغيرها)، وإن **دقة المقادير المستخدمة** في التحضير تدل على تكرار التجربة للوصول إلى القيمة الأوفق والأصلح، وهو أمر ندر وجوده في المخطوطات الأخرى.

أخيراً نستطيع القول: إن كتاب الأطعمة والأشربة هو نتاج فكري خالص للطبيب ابن مندويه قدم فيه خلاصة عمله التجريبي في مجال التغذية العلاجية، ونرجح أنه قد أشرف على مطبخ البيمارستان العضدي أحد أكبر البيمارستانات في ذلك العصر.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر والمراجع العربية

١- **ابن أبي أصيبعة**، موفق الدين أحمد بن القاسم أبي العباس (٦٠٠-٦٨٦هـ)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٥ م، ٧٩٢ صفحة.

٢-ابن سينا، الحسين بن عبد الله، القانون في الطب، مكتبة الطلاب، بيروت، ١٩٩٩م، ط١، ٣ أجزاء.

٣-ابن مندويه، أحمد بن عبد الرحمن، مخطوط الأطعمة والأشربة، نسخة مكتبة أحمد الثالث، إستانبول، القرن التاسع هـ، ٤٢ ورقة.

٤-ابن مندويه، أحمد بن عبد الرحمن الأصفهاني، مخطوط الكافي في الطب، نسخة مكتبة تشستر بيتي، دبلن، ٥٠ ورقة.

٥-ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣.

٦–اسعيّد، مصطفى، تقانة اللحوم، مطبوعات حلب، حلب،٢٠١٢، ط١، ٣٤٠ ص.

٧–البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١م، ٢ج.

٨–البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد الكاتب (ت ٦٢٣ ه / ١٢٢٥ م)، كتاب الطبيخ، تحقيق فخري البارودي، دار الكتاب الجديد، دمشق، ١٩٦٤م، ط١، ١١٢ صفحة.

٩–جانجي، جورج، التغذية وصحة الإنسان، منشورات جامعة البعث، حمص، ٢٠٠٦م، ٣٦٤ ص.

١٠– الجوهري، أبو نصر إسماعيل (ت ٣٩٢هـ)، الصحاح، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ١٨٠٠ ص.

١١– الحُصْريّ القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٥٦هـ)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨، ٣٨٤ صفحة.

١٢– دويدري، أنور، «البيمارستانات في حلب»، عاديات حلب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الكتاب الأول، ١٩٧٥.

١٣– الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، الأغذية منافعها ودفع مضارّها، تحقيق أحمد المزيدي ومنى شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٠٥ه، ط١، ٦٩ صفحة.

١٤– السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، لبنان، ٥٩٥ ص.

١٥– رويحة، أمين، التداوي بالأعشاب، دار القلم، بيروت،١٩٨٣م، ط٧، ٥٣٣ ص.

١٦– سبط المارديني، بدر الدين محمد بن محمد، إرشاد الطلاب إلى وسيلة الحساب، تحقيق مصطفى موالدي، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب.

١٧– السمرقندي، النظامي العروضي، جهار مقالة مجمع النوادر، ترجمة عبد الوهاب عزّام، الرياض، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٠م، ٢٤٠ صفحة.

١٨– شحاتة، عبدة السيد والمجدوب، محمد نبيل، ميكروبيولجيا الجبن والألبان المتخمرة، المكتبة الأكاديمية، الجيزة، ط١، ٢٠٠٣م، ٦٠٣ صفحة.

١٩– شير، أدي، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ١٩٤ ص.

٢٠– الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط– تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، الجزء ١٨، ٥٤٤ صفحة.

٢١– عقيل، محسن، معجم الأعشاب المصور، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ٥٤٤ صفحة.

٢٢– الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله، مطالع البدور في منازل السرور، تحقيق التجاني سعيد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ٢٠١٥م، ٥٨٤ صفحة.

٢٣– قدامة، أحمد، موسوعة الغذاء والتداوي بالنبات، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ٨٠٦ صفحة.

٢٤– القفطي، جمال الدين، تاريخ الحكماء، تحقيق جوليوس ليبرت، ليبسك، ١٩٠٨م، ٤٩٩ ص.

٢٥– كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٥٧م، مجلد ١، ٨٤٣ صفحة.

٢٦– مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، الموسوعة الإسلامية الكبرى، طهران، ج٣.

٢٧– المصري القوصوني، مدين بن عبد الرحمن، قاموس الأطباء وناموس الألباء، مصوّرات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج١، ١٩٧٩م.

ثانياً: المراجع الأجنبيّة

1.Brewester، James، Onions and Other Vegetable Alliums، 2nd edition، Wellesbourne.2008، 454 Pages.

2.Tamime، A.Y & Robinson، Richard، Yoghurt science and technology، Wood head publishing، Cambridge، England، 2nd edition، 1999، 619 Pages.

3.Toldra، Fidel، Dry cured meat products، Food& Nutrition inc، USA، 2008، 244 Pages.

إنجازات علماء الجبر العرب الأوائل

من خلال مؤلفاتهم المخطوطة والمنشورة

(من الخوارزمي حتى الخيام)

د. مصطفى موالدي*

تُعد المخطوطات العلمية العربية، التي ألفها العلماء العرب والمسلمون، لبنة من لبنات صرح الحضارة الإنسانية في جميع فروع المعرفة العلمية.

ولدراسة تطور أي علم من العلوم، وكذلك لدراسة تطور الفكر والمنهج العلمي وتحليله لدى الإنسان عامّة، والعرب خاصّة، لا بد من تبيان مساهمة العلماء العرب والمسلمين، على نحو موضوعي ودقيق، وإلا ظهر خلل في صرح تاريخ الحضارة، وانقطعت سلسلة تطور تلك العلوم بشكل لا يقبله المنطق العلمي السليم المعتمد على المقدمات والنتائج.

موقع المخطوطات العلمية في حضارتنا وأهمية نشرها[١]:

حدد مصنفو العلوم العرب والمسلمون موقع التراث العلمي بما يتناسب مع فلسفتهم وعقيدتهم الإسلامية الجديدة، ووفق نمطٍ ينسجم مع الاتجاهات الفكرية والفلسفية السائدة في كلِّ عصرٍ من العصور.

وتعد مخطوطات علوم اللغة العربية والعلوم الدينية والعلوم الفلسفية وغيرها، من تراث الحضارة العربية والإسلامية، ولا يمكن فصل تأثيرها عن العلوم الأخرى، ولكن ما نقصده بمخطوطات التراث العلمي العربي في بحثنا هي المخطوطات المكتوبة باللغة العربية في أيِّ فترة زمنية، وهي مختصة بشكل عام بالعلوم الآتية:

* أستاذ في معهد التراث العلْميّ العربيّ – جامعة حلب.

١- موالدي، مصطفى، «تطور موقع الرياضيات عند مصنفي العلوم في الحضارة العربية»، المؤتمر السنوي العشرون لتاريخ العلوم عند العرب، ٢٥-٢٧ أيلول ١٩٩٩م، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب –حلب–سورية، ٢٠٠٦م، ص ص: ٣٨٧-٤٤٣.

– **العلوم الأساسية:** والمتضمنة لـ: العلوم الرياضية والفلكية والكيميائية والفيزيائية والجيولوجية والطبيعية وما يتعلق بها.

– **العلوم الطبية:** والمتضمنة لـ: العلوم الطبية والصيدلانية والبيطرية وما يتعلق بها.

– **العلوم التطبيقية:** والمتضمنة لـ: علوم الهندسة المدنية والمعمارية ... وغيرها من العلوم الهندسية والآثار، والصناعات الحربية والكيميائية، والعلوم الزراعية وما يتعلق بها.

وتأتي أهمية تحقيق المخطوطات العلمية العربية ونشرها ودراستها من أنها مظهر من مظاهر النشاط الفكري المعرفي في الحضارة العربية، فالفكر العربي لم يقتصر على الإبداع في العلوم الأدبية والدينية فحسب، بل كان العرب والمسلمون يمتلكون فكراً علميّاً أثَّر تأْثيراً مباشراً في تطور العلوم في الحضارة الإنسانية.

ومن ثـمَّ فإن التراث العلمي العربي تعدى مفهوم الإنتاج الفكري الخاص بالحضارة العربية / الإسلامية إلى مفهوم الإنتاج الفكري المؤثر في تطور الحضارة الإنسانية على نحو ملموس.

ففي مجال دراسة التراث العلمي العربي تُعدّ المخطوطة المحققة تحقيقاً علمياً دقيقاً، وثيقةً ودليلاً قاطعاً في دراستنا التي نسعى من خلالها إلى إثبات نسبة فكرة أصيلة أو منهج معين إلى عالم ما، في فترة ما، ينتمي إلى الحضارة العربية / الإسلامية.

ألف الرياضيون في الحضارة العربية عدداً كبيراً من المخطوطات في كُلِّ فروع الرياضيات ومنها في علم الجبر، الذي ابتكره وطوره العلماء العرب.

إن فكرة حل المسائل الرياضية بطرق جبرية معروفة قديماً، فقد اهتمت الحضارات القديمة[٢] بحل معادلة أو معادلات جبرية لإيجاد قيمة المجهول أو المجاهيل فيها.

أولاً: الجبر في الحضارات القديمة:

١–١– *الحضارة المصرية القديمة*:

نجد في الحضارة المصرية القديمة لفافة رايند (أحمس) المصرية يعود تاريخ كتابتها لنحو / سنة ١٦٥٠ قبل الميلاد / مسائل تبحث عن المجهول.



وثيقة ريند

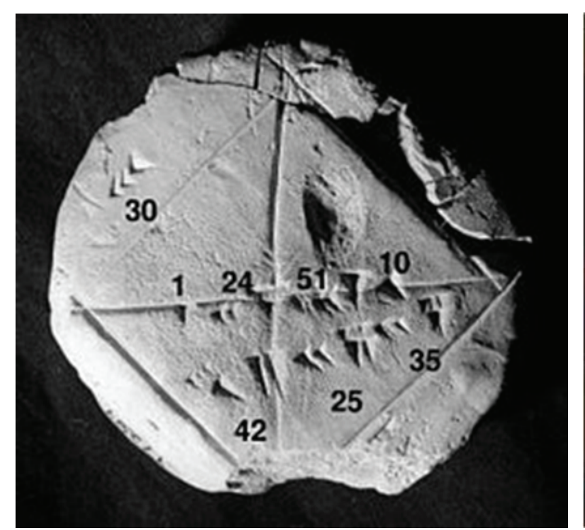


بردية ريند

٢– نصير، عبد المجيد، «الرياضيات في الحضارة الإسلامية»، ندوة التراث العلمي العربي للعلوم الأساسية، طرابلس – ليبيا، ديسمبر ١٩٩٠م. ص ص: ٣٥– ٣٨.

١-٢- *حضارة بلاد الرافدين:*

استطـاع **علمـاء حضارة بلاد الرافدين** حل معـادلات جبرية من الدرجة الأولى والدرجـة الثانية ذات المجهول الواحـد وذات المجاهيل المتعـددة، ووضعوا جداول تساعد على إيجاد حلول لتلك المعـادلات، ومنها جدول لما يسمى **ثلاثيات فيثاغورث** الخاص بالعلاقة بين أضلاع المثلث القائم الزاوية. وحلوا المعادلات غير المحدودة-التي سماها العرب المعادلات السيالة-.





ألواح طينية بابلية عليها مسائل رياضية



لوح طيني دائري صغير من آثار مدينة بابل عليه مسألة حسابية

١-٣- الحضارة اليونانية:

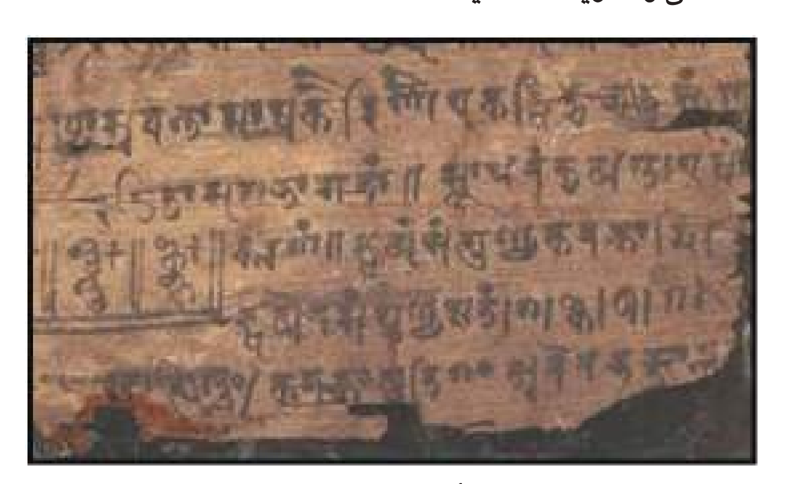
في الحضارة اليونانية نجد عند علماء اليونان بعض المسائل التي تربط الهندسة بالحساب (أو بالجبر) في كتاب الأصول لأقليدس. وفي العصر الهليني، وضع ديوفانطس الإسكندراني (يقدر عصره ١٥٠-٢٥٠م) كتابه بعنوان الآرثماطيقي (أي علم الحساب) الذي ترجمه قسطا بن لوقا البعلبكي (تُوُفِّيَ سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) باسم صناعة الجبر – لتأثره بكتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي (تُوُفِّيَ ٨٤٦-٨٤٧ ميلادي) – ، لا نجد في كتاب الآرثماطيقي لديوفانطس طريقة عامة لحل المسائل الجبرية المتنوعة: من الدرجة الأولى أو الدرجة الثانية.

١-٤- الحضارة الهندية:

بحث علماء الهنود في المعادلات والموضوعات المتعلقة بالجبر، واهتموا بالأعداد الصم، ودخلت بعض مسائلهم إلى الكتب العربية كمسائل الخلط والمزج، ومسائل الحوض الذي تصب فيه عدة حنفيات مختلفة وغير ذلك، وحلوا بعض المسائل بطريقة الفرض الخاطئ والطريقة العكسية.



صورة غلاف كتاب الآرثماطيقي لديوفانطس



مسألة رياضية هندية

١-٥- الحضارة الصينية:

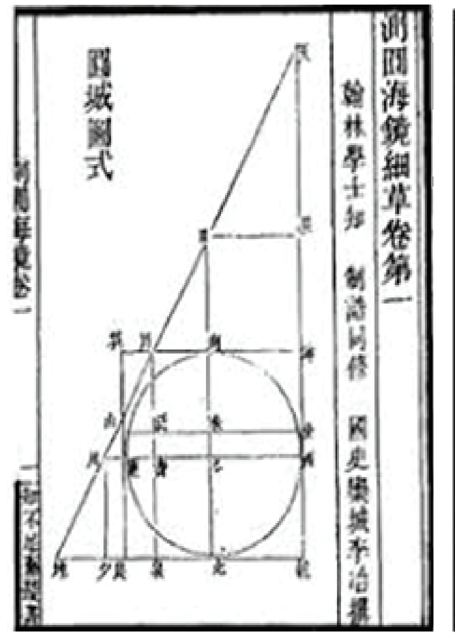
حل الصينيون المسائل غير محدودة الحلول، ومن أشهرها المسائل التي ترد إلى معادلتين خطيتين بثلاثة مجاهيل، ويُعبر عنها بمسألة مئة طائر، ونجد مثالاً عنها في كتاب: Zhang Qiujian (Suanjing الكلاسيك في الحسابات للأستاذ تيان من نهاية القرن الخامس الميلادي)، وتكتب كما يأتي:

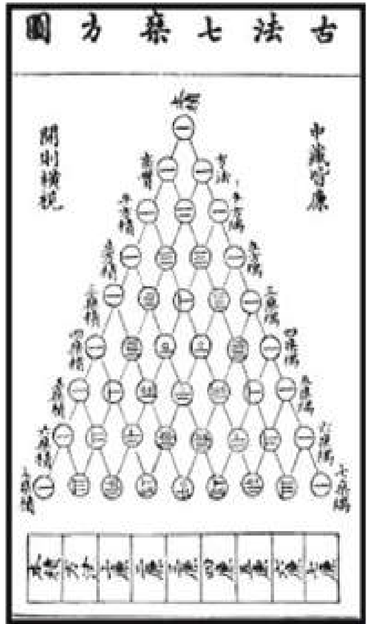
$$ax+by+cz=d\ (=100)$$

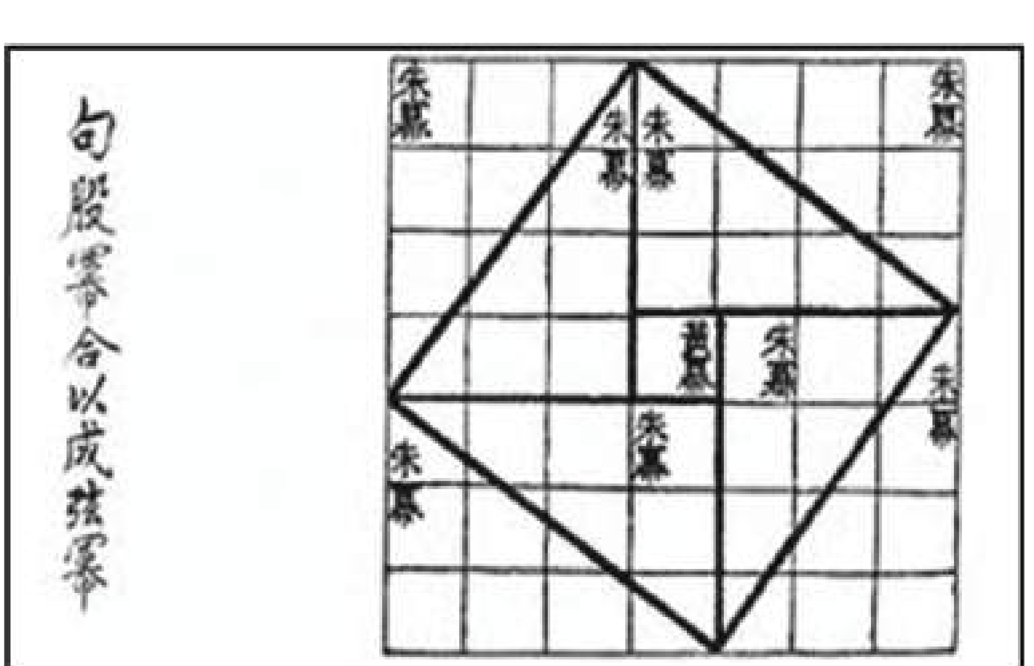
$$x+y+z=d\ (=100)$$

Brahmaguptra's – theorem نظرية

وحل الصينيون المسائل غير محدودة الحلول التي ترد إلى ثلاث معادلات خطية بأربعة مجاهيل، كذلك التي ترد إلى سبع معادلات خطية بثمانية مجاهيل.







مسائل في الرياضيات الصينية

ولكننا لا نجد عند أَيٍّ حضارة من تلك الحضارات القديمة قوانين عامة ورموزاً ومصطلحات خاصة بهذا العلم، فامتزج الجبر أحياناً بالحساب، ولم تتم قواعده على أساس علم مستقل عن بقية العلوم الرياضية كالحساب والهندسة والفلك... إلا مع العالم الجليل محمد بن موسى الخوارزمي.

ثانياً: علم الجبر في الحضارة العربية /الإسلامية:

أ- مؤسس علم الجبر والمقابلة:

محمد بن موسى الخوارزمي:

يُعد محمد بن موسى الخوارزمي، واضع أسس هذا العلم، وأول من أطلق كلمة الجبر في كتابه المعروف بـ «الجبر والمقابلة»[٣]، الذي وضعه في عصر الخليفة المأمون خلال الفترة (٨١٣- ٨٣٣ ميلادي)، فأضحى الجبر بفضله علماً مستقلاً عن الحساب والهندسة والفلك، ومفاهيمه منظمة ومحددة بعد أن كانت مبعثرة وغير واضحة.

استعمل الخوارزمي هذا المصطلح «الجبر والمقابلة» للدلالة على طريقتين مشهورتين من طرق تحويل المعادلات الجبرية إلى معادلات قانونية يعرف حلها، بحيث لا تتضمن المعادلة حدوداً سلبية، وأمثال مربع المجهول aX^2 يساوي «واحد».

إنّ **مصطلح الجبر** عند الخوارزمي، ومنْ تبعه من العلماء العرب، يعني إزالة الطرح من المعادلة، أي: إذا كانت لدينا المعادلة الآتية:

$$100 + 2X^2 - 20X = 58$$

فنجبر المئة والمالين بالعشرين الشيء الناقصة، ونردها على الثمانية والخمسين، فيكون لدينا:

$$100 + 2X^2 = 58 + 20X$$

ومصطلح المقابلة بين الكميات المتشابهة في طرفي المعادلة، بأن نلقي الكمية من شبيهتها فلا يبقى منهما إلا واحدة في أحد الطرفين، وذلك بعد عملية الرد، أي:

في عملية الرد، نرد أمثال X^2 إلى الواحد، أي تصبح المعادلة السابقة كما يأتي:

$$50 + X^2 = 29 + 10X$$

وبعملية المقابلة نلقي من الخمسين تسعة وعشرين، فتصبح المعادلة كما يأتي:

$$21 + X^2 = 10X$$

وهي معادلة قانونية، يعرف الخوارزمي خوارزمية حلها.

أوجد الجبر طريقة موحدة سهلة لحل العمليات الحسابية[٤]، ويظهر علم الجبر عند الخوارزمي علماً مستقلاً ذا شخصية خاصة، وهو علم حل المعادلات من الدرجة الأولى والثانية واستعمالها في حل القضايا الحسابية بوجه الخصوص، وقد بقي علم الجبر ضمن هذه الحدود حتى القرن السادس عشر.

فالخوارزمي أرسى قواعد علم جديد، في حقل بكر ليس فيه طرق مطروحة، وليس لكتابه نسق سابق يبني عليه. لذلك فكتاب الجبر والمقابلة يضع أصول علم جديد وطرائقه، والخوارزمي يقدم ذلك لا للمختص فحسب، بل

٣- الخوارزمي، محمد بن موسى، كتاب الجبر والمقابلة، تقديم وتعليق مصطفى مشرفة ومحمد موسى أحمد، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م. (مقدمة الكتاب).

-RASHED(R.), Entre Arithmétique et Algèbre, Les Belles Lettres, Paris,1984, PP.17-29.

-SMITH(D.E.), History of Mathematics, Dover Publications inc., New York, 1958, Vol.I, PP.170,168,203,329.

٤- أنبوبا، عادل، إحياء الجبر، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٨م. ص ص:٤-١١.

للمحاسب والتاجر والقاضي والموظف؛ إذ إنه خصص أكثر من نصف الكتاب للحساب العملي: المعاملات التجارية، والوصايا، والمواريث، فقد ساعد علم الجبر في حل القضايا الوراثية، وتأسس بذلك علم الفرائض.



صورة غلاف مخطوطة كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي

ب- مساهمات العلماء العرب الأوائل في تطوير علم الجبر:

استمر العلماء العرب الأوائل في متابعة عمل الخوارزمي في علم الجبر وتطويره، منهم:

١- أبو كامل، شجاع بن أسلم (القرن العاشر الميلادي):

وضع أبو كامل- شجاع بن أسلم- كتابه الجبر والمقابلة في ثلاثة أجزاء:

يدرس الجزء الأول من الكتاب المعادلات من الدرجتين الأولى والثانية[٥]، وهو يشابه في موضوعاته كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي، ولكن يعالج شجاع بن أسلم موضوعاته على نحوٍ أعمق وأوسع.

ويبرهن أبو كامل في الجزء الثاني من **كتابه الجبر والمقابلة** على إمكانية استعمال الطرق الجبرية لحل مسائل هندسية كانت صعبة أو حتى غير قابلة للحل، كمسائل التحديد العددي لضلع المخمس المنتظم والمعشر المنتظم والشكل ذي الزوايا الخمس عشرة المنتظم المرسومة في دائرة ذات قطر يتألف من عشر وحدات.

إن استخدام معادلات جبرية في حل مسائل هندسية أقليدية هو طريق جديد خطه أبو كامل، وبلغ ذروته العالم الفرنسي رينه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م، René DESCARTES).

٥- أبو كامل، شجاع بن أسلم، كتاب الجبر والمقابلة، (طبع بالتصوير عن مخطوطة قره مصطفى باشا ٣٧٩ مكتبة بايزيد في إستانبول)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، فرانكفورت، ألمانيا، ١٩٨٦م. مقدمة الكتاب التي أعدها يان بيتر هوخندايك.

خصص أبو كامل الجزء الثالث من كتابه للمعادلات السيالة – غير المحدودة– من الدرجة الثانية، وبأنظمة لتلك المعـادلات، وتكشـف دراسة تلك المعادلات عن أن شجـاع بن أسلم لم يكن متأثراً بكتـاب الحساب – الآرثماطيقي– لديوفانطس (عاش DIOPHANTOS خلال القرن الثالث الميلادي)، ومِنْ ثَمَّ أسس أبو كامل لمدرسة عربية مبكرة.

وأضاف أبو كامل في كتابه مسائل في رياضيات التسلية، ومناقشات لعملية جمع الأعداد المربعة المتسلسلة ابتداءً من عدد معين، وجمع القوى الأربع والستين الأولى – عدد خانات الشطرنج– للأساس ٢.

ولقـد كان لكتـاب أبـي كامـل تأثـيرٌ في كتـب الرياضيـين العرب، مثـل: كتـاب الفخـري للكرجـي (المتوفَّى بعد ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م)، وكتب رياضيي عصر النهضة الأوربية مثل:

(LIBER ABACI) و (PRACTICA GEOMETRIAE) ليونـاردو فيبوناتشـي (LEONARDO FIBONACCI) (١١٧٠– نحو ١٢٤٠م).

ولأهميـة كتـاب أبي كامل فقد تُرجـم بكامله إلى العبرية، كمـا تُرجم الجزآن الأول والثاني مـع أول بداية الجزء الثالـث إلى اللغـة اللاتينية، ويعـترف المؤرخون بأهمية محتوى كتـاب الجبر والمقابلة وتأثـيره العميق في تطور علم الجبر العربي وانتقاله إلى الغرب اللاتيني.



صورة غلاف مخطوطة كتاب الجبر والمقابلة لشجاع بن أسلم



اللقطة الأولى من مخطوطة كتاب الجبر والمقابلة لشجاع بن أسلم



اللقطة الأخيرة من مخطوطة كتاب الجبر والمقابلة لشجاع بن أسلم

٢- أبـو بكـر، محمد الحسن الكرجي (ازدهر خلال الربع الأول مـن القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي):

يقدم الكرجي في كتابه البديع في الحساب[٦] علاقات على وحيدات الحد (A وB)، حيث (n) عدد طبيعي موجب:

$$* \; A\sqrt[n]{B} = \sqrt[n]{A^n . B} \quad ، \quad \sqrt[n]{A}.\sqrt[n]{B} = \sqrt[n]{A.B} \quad ، \quad \frac{\sqrt[n]{A}}{\sqrt[n]{B}} = \sqrt[n]{\frac{A}{B}}$$

ويحسب المقدار التالي عندما تكون نسبة أحد المكعبين إلى الآخر كنسبة مكعب منطق إلى مكعب منطق: (حيث: $A \succ B$ في حالة الطرح)

$$\sqrt[3]{A} \mp \sqrt[3]{B} = \sqrt[3]{3\sqrt[3]{A.B^2} + A \mp (3\sqrt[3]{A^2.B} + B)}$$

وبشكل عام يحسب الكرجي العلاقة الآتية:

$$\sqrt[n]{A} \mp \sqrt[n]{B} = \sqrt[n]{B}\left(\sqrt[n]{\frac{A}{B}} \mp 1\right)$$

بحيث تكون نسبة $\sqrt[n]{B}$ إلى $\sqrt[n]{A}$ كنسبة مقدار منطق إلى مقدار منطق آخر.

وأجرى الكرجي العمليات الجبرية على كثيرات الحدود، فنجده يحسب المقدار الآتي:

$$\frac{C}{\sqrt[4]{A} \pm \sqrt[4]{B}} = \sqrt[4]{\frac{AC^{\;4}}{(A+B-2\sqrt{A.B})^2}} \mp \sqrt[4]{\frac{BC^{\;4}}{(A+B-2\sqrt{A.B})^2}}$$

ويعالج الكرجي لأول مرة في التاريخ استخراج الجذر التربيعي لكثير الحدود الجبري بمجهول واحد، ويعطي عدة أمثلة منها:

* يستخرج الجذر التربيعي للمقدار:

$$P(X) = 4X^8 + 12X^7 + 9X^6 + 20X^5 + 42X^4 + 18X^3 + 35X^2 + 30X + 9$$

ويكون الجذر هو: $(2X^4 + 3X^3 + 5X + 3)$

ركز الكرجي في كتابه الفخري في الجبر والمقابلة على الموضوعات المتعلقة بعلم الجبر والمقابلة، وافتتحه الكرجي بتعريف أجناس المجهولات أو مراتب المجهولات:

(جـذر = X) ، (مـال = X^2)، (كعـب = X^3) ، (مال مال = X^4) ، (مال كعـب = X^5) ، ....، وأجزائها، ثم اتبعها بمجموعة من القواعد منها:

$$\frac{1}{X} \Big/ \frac{1}{X^2} = \frac{1}{X^2} \Big/ \frac{1}{X^3} = \ldots \quad ، \quad \frac{1}{X^{n-1}} \Big/ \frac{1}{X^n} = \frac{X^n}{X^{n-1}} \quad ، \quad \frac{1}{X^n}.X^m = \frac{X^m}{X^n}$$

٦- الكرجي، أبو بكر محمد بن الحسن، البديع في الحساب، تحقيق عادل أنبوبا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٤م.

ثم عمم الكرجي مفهوم القوة الجبرية، وأعطى قاعدة مهمّة، وهي:

$(\frac{1}{X^n}).(\frac{1}{X^m}) = (\frac{1}{X^{n+m}})$ ، ثـم شـرح عمليات الضـرب والقسمة والنسبـة وإيجاد الجـذر التربيعي والجمع والطرح على المقادير الجبرية، ثم عدد القواعد والنظريات اللازمة للحساب الجبري، والمسائل الست والمعادلات من درجة أعلى، والتحليل غير المحدود، وقدم مسائل تطبيقية على الموضوعات السابقة.



صورة غلاف كتاب المخطوطة المحققة (البديع في الحساب) للكرجي

ويورد الكرجي بعض المسائل التي تعالج نظرية الأعداد مثل مسألة مجموع الأعداد الأولى الطبيعية(n)، وبرهن النظريات المتعلقة بإيجاد مجموع مربعات ومكعبات الأعداد الطبيعية التي عددها(n):

$$* \quad 1^2+2^2+3^2+\ldots+n^2=(1+2+3+\ldots+n)\frac{(2n+1)}{3}=\frac{n(n+1)(2n+1)}{6}$$

$$* \quad 1^3+2^3+3^3+\ldots+n^3=(1+2+3+\ldots+n)^2=\left[\frac{n(n+1)}{2}\right]^2$$

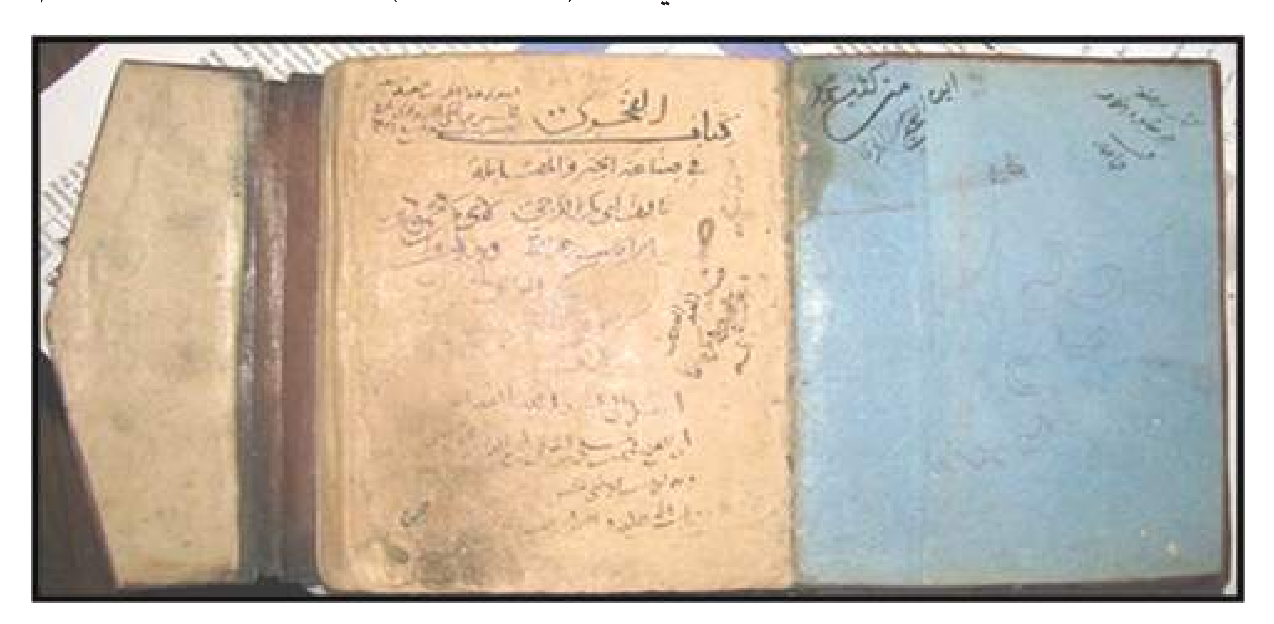
– وحل الكرجي معادلات من الدرجة الرابعة كالمعادلات:

($x^4=2x^2+8$) ، ($x^4+24=10x^2$) ، ($x^4+5x^2=126$)

بالإضافة إلى استعراضه للعمليات الرياضية على الجذور الصم، وحلوله للمعادلات غير المحدودة.

نُقلت بعض مسائل كتاب الفخري إلى مؤلفات رياضيي عصر النهضة الأوربية مثل: ليوناردو فيبوناتشي (Leonardo FIBONACCI 1170-1250)، ويعد مؤرخ الرياضيات سميث كتاب الفخري من أهم الكتب الجبرية العربية.

درس الكتاب دراسة مستفيضة المستشرق الفرنسي فوبكه (WOEPCKE)، ونشرها في باريس سنة ١٨٥٣م.



صورة غلاف مخطوطة كتاب الفخري في صناعة الجبر والمقابلة للكرجي



صورة اللقطة الأولى من مخطوطة كتاب الفخري في صناعة الجبر والمقابلة للكرجي



صورة اللقطة الأخيرة من مخطوطة كتاب الفخري في صناعة الجبر والمقابلة للكرجي

ومن إنجازات الكرجي الرياضية المتميزة: (مثلث معاملات ذات الحدين):

في نص للكرجي ذكره السَّمَوْءَل (القرن الثاني عشر الميلادي) في كتابه الباهر في الجبر، نجد صيغة ثنائية الحد وجدول معاملاتها، وقانون تشكلها: ($C_n^m = C_{n-1}^{m-1} + C_{n-1}^m$)، وأن قانون تحليل ثنائي الحد عند الكرجي هو:

$$(a+b)^n = \sum_{m=0}^{n} C_n^m . a^{n-m} . b^n$$

مهما كان العدد الطبيعي (n).

أي وضع الكرجي العلاقات اللازمة لتشكيل مثلث معاملات ذات الحدين، الذي يسمى الآن بمثلث باسكال (PASCAL، TRIANGLE)، – عاش باسكال بين عامي (١٦٢٣–١٦٦٢ م)–.

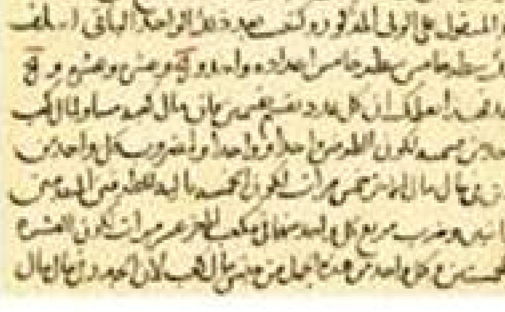
لقد وضع أبو بكر محمد بن الحسن الكرجي أسس مدرسة جبرية، تركت آثاراً واضحة في علماء النهضة الأوروبية.

٣– السَّمَوْءَل بن يحيى بن عباس المغربي (القرن الثاني عشر الميلادي):

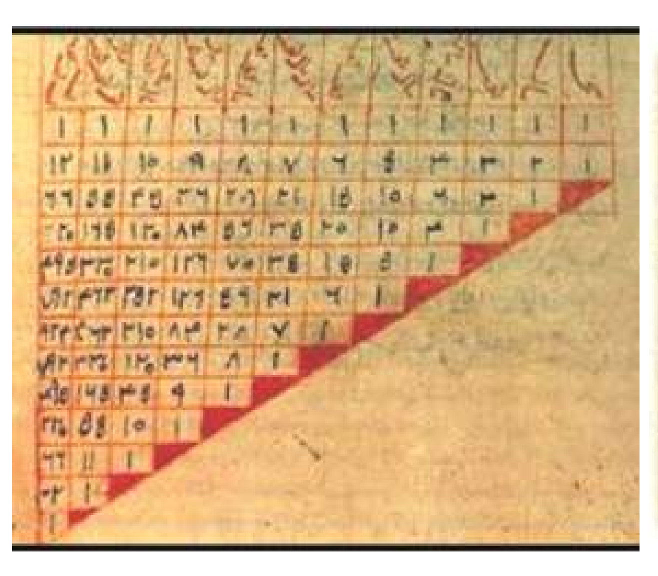
قدم السَّمَوْءَل شرحاً لأعمال الكرجي وإيضاحاً وتدقيقاً وتطويراً له، في كتابه الباهر في الجبر(٧)، فقد درس السَّمَوْءَل القوى الجبرية، وعرّف(X^2) بالعلاقة الآتية: لأجل:

$$(X^n = X^{n-1}.X \Leftarrow n = 1,2,3,...)$$

٧– السَّمَوْءَل، ابن يحيى بن عباس المغربي، الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل صلاح أحمد و رشدي راشد، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٧٢م.



صورة شرح السَّمَوْءَل لكيفية إنشاء مثلث الكرجي



صورة المثلث الحسابي للكرجي

ومن خلال دراسة السَّمَوْءَل نجد لأول مرة قانون ضرب القوى الجبرية وتقسيمها بشكلها العام، بعد تعريفه للقوة صفر ($X^0 = 1$ لأجل $X \neq 0$) يعطي الدستور الآتي:

$$X^m.X^n = X^{m+n} \quad (m,n \in Z : \text{حيث})$$

ويستخدم السَّمَوْءَل طريقة الجدول لشرح مفهوم القوى الجبرية الموجبة والسالبة.

ويقوم السَّمَوْءَل بتقسيم متعدد الحدود على متعدد الحدود، أما بالنسبة للموضوعات المتعلقة بنظرية الأعداد، فيعطي السَّمَوْءَل أول برهان جبري للنظرية الآتية:

$$\sum_{i=1}^{n} i^2 = (n+n^2)(\frac{1}{3}n+\frac{1}{6})$$

ويبرهن السَّمَوْءَل على مجموعة كبيرة من المتطابقات العددية، ويحل بعض المسائل بطريقة الخطأين، وبهذه الطريقة نستطيع حل معادلة من الدرجة الأولى من الشكل: $bX = c$



صورة غلاف المخطوطة المحققة (الباهر في الجبر) للسَّمَوْءَل

٤- عمر الخيام (القرن الثاني عشر الميلادي):

تُعد مؤلفات عمر الخيام الرياضية من أهم المؤلفات الرياضية في الحضارة العربية، ويمكن اعتبار الخيام «أول من صاغ نظرية هندسية للمعادلات الجبرية، وأسهم بصورة ما في إبداع الهندسة التحليلية بالمعنى الذي سنجد منه شيئاً في كتاب ديكارت الملقب بالهندسة»[٨].

لقد حل عمر الخيام المعادلات التكعيبية بتقاطع القطوع (المكافئة والزائدة)[٩]، في كتابه الجبر:



صورة غلاف المخطوطة المحققة (رسائل الخيام الجبرية) لعمر الخيام

* فيحل المعادلة التكعيبية من الشكل:

$$X^3 + aX = b \Rightarrow X^3 + P^2X = P^2q$$

٨- الخيام، عمر، رسائل الخيام الجبرية، حققها وترجمها وقدم لها رشدي راشد وأحمد جبار، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، حلب، ١٩٨١م. فاتحة الكتاب.

9 YOUSCHKEVITCH (A.), *Les Mathématiques Arabes*, Traduction par M. CAZENAZE et K. JAOUICHE, VRIN, Paris, 1976, PP.94-103.

بتقاطع(معادلة الدائرة $X^2+Y^2=qX$) مع (معادلة القطع المكافئ $X^2=pY$).

** ولإيجاد جذور المعادلة التكعيبية من الشكل:

$$X^3+a=bX$$

يحل الخيام المعادلة السابقة باستعمال القطع المكافئ $X^2=Y\sqrt{b}$ ،

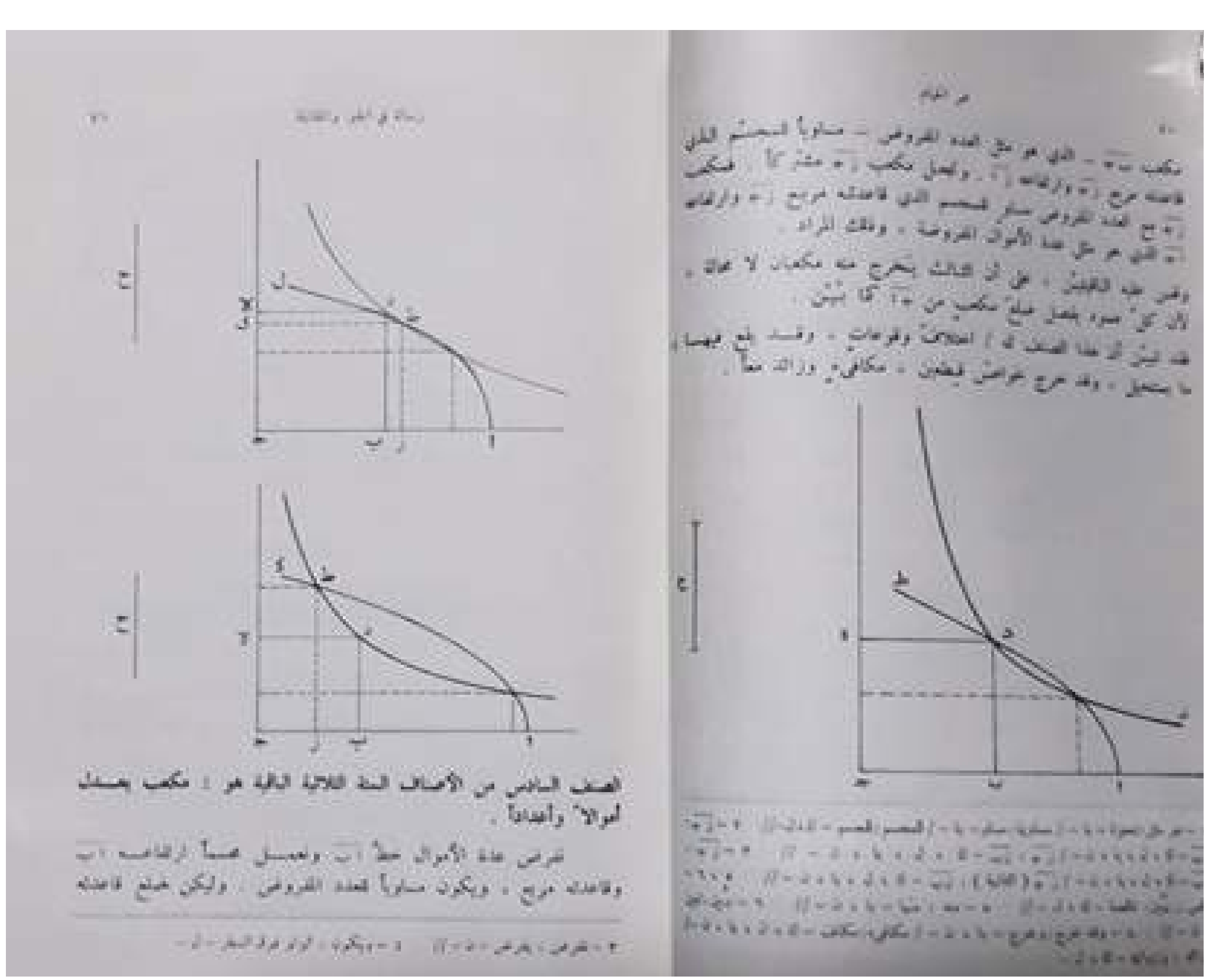
مع الفرع الأيسر من القطع الزائد $X^2-\frac{a}{b}X=Y^2$

*** ولإيجاد جذور المعادلة التكعيبية من الشكل:

$$X^3+a=cX^2$$

يحل الخيام المعادلة السابقة باستعمال القطع المكافئ $Y^2=\sqrt[3]{a}(c-X)$

مع استعمال القطع الزائد $X.Y=\sqrt[3]{a^2}$



حل إحدى المعادلات التكعيبية في مخطوطة الجبر والمقابلة المحققة لعمر الخيام

تـدل كل من هذه الإبداعات، في وضـع أسـس علم الجبر وتطويره، على أصالة الفكر الرياضي العربي، الذي قدم للإنسانية أنموذجاً حياً للتفكير العلمي الأصيل وفتح المجال واسعاً أمام العلماء الأوروبيين للبحث عن علوم جديدة، فتفرعت الرياضيات، ومنها علم الجبر، إلى فروع مختلفة. إن علماء الرياضيات العرب كانوا أساتذة الرياضيين في أوروبا حقبةً طويلة في الإبداعات الجديدة وفي تجريد الرياضيات وتعميمها.

المصادر والمراجع العربية

١- أبـو كامـل، شجـاع بـن أسلم، كتـاب الجـبر والمقابلة، (طبـع بالتصوير عـن مخطوطة قـره مصطفى باشا ٣٧٩ مكتبـة بايزيـد في إستانبول)، منشـورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلاميـة في إطار جامعة فرانكفورت، فرانكفورت، ألمانيا، ١٩٨٦م.

٢- أنبوبا، عادل، إحياء الجبر، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٨م.

٣- الخوارزمـي، محمد بن موسى، كتاب الجبر والمقابلة، تقديم وتعليق مصطفى مشرفة ومحمد موسى أحمد، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م.

٤- الخيام، عمر، رسائل الخيام الجبرية، حققها وترجمها وقدم لها رشدي راشد وأحمد جبار، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، حلب، ١٩٨١م.

٥- السَّمَوْءَل، ابن يحيى بن عباس المغربي، الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل صلاح أحمد ورشدي راشد، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٧٢م.

٦- الكرجـي، أبو بكر محمد بن الحسن، البديـع في الحساب، تحقيق عادل أنبوبا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٤م.

٧- موالـدي، مصطفـى، «تطور موقع الرياضيات عند مصنفي العلوم في الحضـارة العربية»، المؤتمر السنوي العشـرون لتاريخ العلوم عند العـرب، ٢٥-٢٧ أيلول ١٩٩٩م، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب -حلب-سورية، ٢٠٠٦م.

٨- نصـير، عبـد المجيد، «الرياضيـات في الحضارة الإسلامية»، ندوة التراث العلمـي العربي للعلوم الأساسية، طرابلس - ليبيا، ديسمبر ١٩٩٠م.

المراجع الأجنبية

1- RASHED(R.), Entre Arithmétique et Algèbre, Les Belles Lettres, Paris, 1984.

2- SMITH(D.E.), History of Mathematics, Dover Publications, inc., New York, 1958.

3- YOUSCHKEVITCH (A.), Les Mathématiques Arabes, Traduction par M. CAZENAZE et K. JAOUICHE, VRIN, Paris, 1976.

مُنتَقَياتٌ مِن نُقوشِ النّبلاء وأبنائهم ومَواليهم

د. محمد شفيق خالد البيطار*

إنّ بلادَ العرب حافلةٌ بآلافِ النّقوشِ (الكتابات على الصّخر) من عصورٍ مُوغِلةٍ في القِدَم، ترجعُ إلى أزمان ممالكهم المتوالية في بلادهم، من ثموديّة ولَحْيانيّةٍ وسبَئِيّة وقَتْبانيّة وحِمْيَريّة وبابليّة وآشوريّة وأوغاريتيّة وكنعانيّة وفينيقيّة ونَبْطيّةٍ وآراميّة وتدمريّة ولَخْميّةٍ وغسّانيّة وإسلاميّة، بل إنّ لهم نقوشًا ترجعُ إلى ما قبلَ الإسلامِ في اليونان وإفريقيّةَ وأمريكا؛ فَضْلًا عن آلافِ الرّسومِ والتّماثيل والآنيةِ والحُليّ وغيرِ ذلك.

وقد أُلِّفَت مئاتُ الكُتُبِ والرّسائلِ والأطاريحِ الجامعيّة المَبنيّة على ذلك، في تخصّص اللّغة والتّاريخ والآثار والقانون؛ وأُنْشِئَتْ على الشّابكة العالميّة مئاتٌ من المواقع المختصّة أو غير المختصّة وصفحاتٌ لعددٍ من المُهتَمّينَ الّتي تُدْرِجُ صُوَرًا ومقاطعَ مُسَجَّلةً لهذا الإرثِ العربيّ، وأُعِدَّتْ برامجُ مُتَلْفَزةٌ عن بعضِه وبعضِ ما يتعلّق به، وصارَ بعضُ المواضعِ الّتي تحتَوي هذا الإرْثَ العربيّ جُزءًا من التُّراثِ الإنسانيّ العالميّ.

وكانت لي مشاركاتٌ على عددٍ من مواقعِ الشّابكة ومنتدياتِها الّتي يقومُ عليها مُهتَمُّونَ وهُواةٌ للتَّرحال في الجزيرة العربيّة مثل موقع (فريق الصّحراء) و(مُنتَدى الرّحلات) في (مُنتديات مِكْشات)، جرّني إليها تخصُّصي في الأدبِ الجاهليّ واهتمامي بتاريخِ العربِ عامّةً ورغبتي في البحثِ للاطّلاعِ على المواضعِ الّتي يأتي ذكرُها في أخبارِ العربِ الجاهليّين وأشعارِهم؛ ووجدتُ أولئك المُهتمّين والهواة يصوّرونَ ما تقع عليه أعيُنُهم من نقوشٍ ورُسوم من مُختلفِ العُصور، ويقرؤون بعضَ النّقوش ويجتهدونَ في ذلك فيُصيبونَ أحيانًا، ويجانبُهم الصّوابُ أحيانًا، ويكونُ بعضُ النّقوشِ لأُناسٍ لهم ذِكرٌ وشأنٌ في مجتمعهم أو في حوادث التّاريخ أو العلم، فكنت أكتبُ تعليقًا هنا وتعليقًا

* أستاذ الأدب القديم في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها في جامعة دمشق.

هنالـك، حتّـى صارَ تتبُّعُ النّقوشِ وأصحابِها والاحتفاظ بها في مِلَفّاتٍ حُبًّا وشَغَفًا لِمـا أجدُ من مُتعةِ الاكتشاف؛ ثمّ صـاروا يرسلـون إليّ صورَ بعضِ النّقوشِ المُستَعْصِيَةِ للتّعاونِ على قراءتها، كما أرسـلَ إليّ بعضُ سكّانِ المناطق الّتي تَكْثُرُ فيها النّقوش صُوَرًا لقراءتها فوجدتُ فيها نوادرَ.

وحـينَ أردتُ المُشاركـةَ في إصدارِ هذا العدد مـن (المخطوط العربيّ) تشَعَّبَت أمامِي الطُّـرُقُ، ووجدتُني مثلَ خِداشٍ وقـد تكاثـرتِ الظّباءُ عليه (فَما يَـدْري خِداشٌ ما يَصيدُ)! ثـمّ استقرّ الرّأيُ على انتقاءِ بعضِ النّقوشِ الّتي ترجِـعُ إلى القـرون الأولى بعدَ الإسلام، والّتي كتبَهـا أعلامٌ من النُّبلاءِ من الصّحابةِ وأبنائهـم وأحفادِهم، والخلفاءِ وأحفادِهـم، والأعـلامِ الّذين لهم أو لآبائهم ذكرٌ في روايةِ العلم، ومَواليهم؛ ووجـدتُ ما لديّ من ذلكَ كثيرًا، فانتقيتُ بَعضَـه ورتّبتُـه ترتيبًـا تاريخيًّا مُقارِبًـا، ووضعت صُورته، وبيّنـت مصدرها، وقراءتها كما هـي في النّقش وكتبتُها بأقـربِ نمطٍ من خطـوطِ الحاسوبِ إلى خطّ أصحابها، وجعلته على بساطٍ أحمرَ ليظهر، ثمّ كتبْتُها بحسب ما انتهت إليه قواعد الإملاء، وعلّقتُ على كلّ نقشٍ بما يلائِمُه من ملحوظةٍ بدَتْ لي فيه، وتعريفٍ لصاحبه أو أهله أو مَن يُدانيه.

وقـد أخـذتُ صُـوَرَ معظمِ النّقوش مـن موقع (فريق الصّحـراء)، وبعضَـها ممّـا أرسلَهُ إليّ بعضُ سـكّانِ مناطقِ النّقوش، ولَـمْ يُنشَرْ بَعْد، وأكتفي بالإشارةِ إلى مصادرِها لئلّا أُثْقِلَ البحثَ بالحواشي، وليسَ على مَن يريدُ الرّجوعَ إلى المَنْشُورِ منها سوى أن يطلُبَ اسمَ صاحبِ النّقشِ في مُحرِّكِ البحث (غوغل) ليجدَه في بعضِ نتائجه؛ وهذا ما انتقَيْتُه:

١– نقشانِ لِطلحةَ بن عُبَيْد الله ولابنه إسحق.

٢– نقش لابنه عيسى بن طلحة.

٣– نقشٌ لِحفيدِه مُصْعَب بن إسحاق.

٤– نقشانِ لِعبدِ الرّحمن بن نضلة، وجُنادة بن مالكٍ الأزْدي.

٥– نقشان لِعبدِ الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِب ولصاحبِهِ الصَّلْت.

٦– نقشٌ لِحفيده سعيد بن علقمة بن عبد الرحمن.

٧– نقشان لِسعيد بن ذكوانَ مَوْلى معاويةَ ولصاحبه بكّار بن طالوت.

٨– نقشٌ آخَرُ لسعيد بن ذكوان مولى معاوية مع نقشَينِ آخرَيْن لصاحبه أبي بكر بن طالوت ولعبد الرّحمن بن المِسْوَر.

٩– نقش لِسلمة بن صالح مولى عبد الرّحمن بن عبد الله بن الأسود بن أبي البَخْتَرِيّ.

١٠– نقشٌ لِيحيى بن سعيد بن سَعْدِ بن عُبادَةَ الخزرجيّ الأنصاريّ.

١١– نقشٌ لِسَعْدِ بن مَعْنِ بن عبدِ الرّحمن بن عَوْف.

١٢– نقشٌ لِسَلَمَةَ بنِ مُحمّد بنِ عمّارِ بن ياسر.

١٣- نقشٌ لِعَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوان.

١٤- نقشٌ لِحفيدته أمّ سَلَمة بنتِ هِشام بن عبدِ المَلِك.

١٥- نقشٌ لِحفيده أبي الحارث العبّاس بن الوليد.

نقوشُ طلحةَ بنِ عُبَيْدِ الله وابنه إسحاقَ، وحفيدِهِ مُصْعَب بن إسحاق:

أمّا صورةُ نقشَيْ طلحةَ وابنه إسحقَ فقد أرسلَها إليّ (عِيد ساعد الدّبور) مع عددٍ من النّقوشِ الّتي اخترتُ بعضَها لهذا المقال، وكتَبَ في تحديدِ موضعِها –وقد هذّبتُ عباراته، لأنّ فيها أخطاءً تدلُّ على ضَعْفِ تَعْليمِه، ولكنّه رجلٌ واعٍ لِقيمَةِ هذه النّقوش–: «**عندي صور نقوش إسلاميّة جديدة اكتشفتها في جبل رمليّ يُقال له هضبة، وهو طُورٌ كبيرٌ يَستظلّ فيه المسافرون على طريقِ (حِسْمَى)، ويُسمَّى هذا الطُّور بـ(المِقْيال) إلى الآن، وسوف أرسل إليك صور النّقوش لكي تقرأها وتعرِّفَنا أصحابَها**»؛ وهذه هي صورة نقشَي طلحة وابنه:



قراءةُ النّقشَيْن:

انا طالحة بن عبيد الله

انا اسحق بن طالحة

أنا طلحة بن عبيد الله

أنا إسحاق بن طلحة

وطلحةُ بنُ عُبَيد الله التَّيْميّ القُرَشيّ أحدُ مشاهيرِ الصّحابَةِ السّابقين إلى الإسلام، وهو منَ الثّمانيةِ الأوائلِ إسلامًا، وأحدُ العَشَرةِ المُبَشَّرينَ بالجنّة؛ كانَ مِن تُجّارِ قُريشٍ قبلَ الإسلام، وغابَ عن وقعةِ بَدْرٍ لأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أرسلَهُ لتَفَقُّدِ عَيرِ قُريشٍ القافلةِ منَ الشّام، فضربَ له رسول الله بسَهمه من الغنائم كَمَن حضرَ المعركة، وأُصيبَت في معركةِ أُحُدٍ يدُهُ اليُمنى إصابةً بليغةً وهو يدافع عن النّبيّ، فشَلّت إصبعُه الّتي تَلي الإبهامَ، مع

جراحـاتٍ كثـيرة؛ وكان أحدَ أصحابِ الشُّورى السّتّة الّذين ماتَ رسولُ الله وهـو راضٍ عنهم فاختارَهم عُمَرُ رضي الله عنـه لِيختـاروا منهـم الخليفـةَ لَمّا طعنَه أبو لؤلـؤَةَ المجوسيّ؛ ثُمّ إنّه قُتِـلَ في وقعةِ الجَمَلِ بعد الفتنـةِ الّتي قُتِلَ فيهـا عُثمـان بن عفّان رضي الله عنـه، فلمّا رآه عليُّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه مقتولًا جعَلَ يمسَحُ التّرابَ عن وجهه ويقول: «عَزيزٌ عليّ –أَبا محمَّد!– أَن أَراك مُجَدّلًا تحتَ نجوم السّماءِ!»، وترحّمَ عليه وبكى؛ وأخبارُه في كُتُبِ تراجم الصّحابةِ والسّيرةِ والتّاريخ والأنساب.

ويُلْحَظُ أنّ في خطّ طلحةَ اضطرابًا إذا قِيسَ بخطوطِ المُعاصِرين له، ولا عَجَبَ في ذلك، لِما سبَقَ مِن إصابةِ يدِهِ اليُمْنى، ولعلّه كتبَ النّقشَ بِيَدِه اليُسرى.

وأمّـا **إسحَـاقُ بـن طَلْحَـة** فترجمتـه في (تاريـخ دمشـق ٨: ٢٢٨– ٢٣١) وغيره مـن كتب التّراجـم والتّاريخ والأنسـاب؛ وهـو أحـدُ أبناءِ طلحةَ وقد سمّاهم جميعًا بأسمـاءِ الأنبياء، وأمُّه أمُّ أبانَ بِنْـتُ عُتْبةَ بن ربيعة، وهو ابن خالةِ مُعاوية بن أبي سُفيان، وقد ولّاهُ خَراجَ خُراسانَ فمات هناك في سنة ستٍّ وخمسين؛ وزوّجَ أختَه أمَّ إسحقَ بنتَ طلحـةَ بالـحَسَـنِ بنِ عليٍّ فولَدَتْ له طَلْحةَ ولا عَقِبَ له، ثمّ خَلَفَ عليهـا الـحُسَيْنُ رضي الله عنه، فولدَت له فاطمةَ بنتَ الـحُسَيْـن، وكان معاويـةُ خطبَ أمّ إسحَاقَ منه وهو عنـده في الشّام على ابنِهِ يزيدَ، فطلبَ أن يُرسِلَ مَن يخطبُها حين يعودُ إلى المدينة، فلمّا عادَ خطبَها الـحَسَنُ فزوّجه بها.

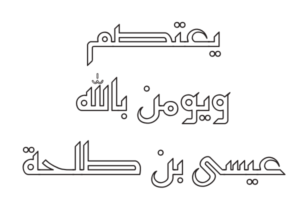
ويُلْحَظُ في خطّ إسحاقَ أنّه لم يكتُبِ الألفَ في (إسحق)، وحذفُها في النّقوش كثيرٌ، ولا سيّما في الأعلام، وسنرى ذلـك فيمـا يأتي من النّقوش في اسم (سُفيان) و(جُنادة) و(مالك) و(العالَمين) وغيرها، جاءت بغير ألف؛ كما يُلْحَظُ في النّقشِ أنّ القافَ جاءَ تحتَها ما يُشْبِهُ الياءِ، وهو شكلٌ مألوفٌ في كتابة القافِ في ذلك العصر.

نقش عيسى بن طلحة بن عُبَيْدِ الله:

هـو مـن منشورات (فريق الصّحراء) في مقال بعنوان «**رحلة عيـد الأضحى ١٤٣٤ (٢): ذكرياتُ التّابعين على صخور حِسْمَى**»؛ وهذه صُورتُه:



قراءة النّقش:



يعتصم ويُؤمنُ بالله عيسى بنُ طلحة

وصاحب النّقش عيسى بن طلحة بن عُبَيْدِ الله، أبو محمّدٍ القُرَشيّ التَّيْمِيّ المدنيّ، أحدُ أبناءِ طلحة الّذين سمّاهم بأسماءِ الأنبياء، حدّث عن عددٍ من الصّحابة، وحدّثَ عنه عددٌ من العلماء؛ وكان من العُلَماءِ الثّقات والحُلَماء الأشراف؛ وفد على معاويةَ، ثمّ وفد على عبد الملِك بن مروان مع عُمَر بن عبد الرّحمن بن عَوْفٍ، فكلّماهُ في عزلِ الحجّاجِ بن يوسُف عن الحجازِ فعزَلَه؛ وعاش إلى حدود سنةِ مئة، ومات في خلافة عمر بن عبد العزيز؛ وأمّه سُعْدى بنت عَوْفِ بنِ خارجةَ بنِ سِنانِ بن أبي حارثةَ، وعمُّ أبيها هَرِمُ بنُ سِنانٍ الّذي مدحَهُ زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمى، وكانت عندهُ عائشةُ بنتُ جَريرِ بنِ عبدِ الله البَجَليّ رضي الله عنه، فولَدَتْ له ابنَه يحيى، وتزوّج أبو جعفر المنصور حفيدتَه فاطمة بنت محمّد بن عيسى وأنجبَت لَه؛ وترجمته في تاريخ دمشقَ (٤٧: ٣١٢ – ٣٢١) وغيره من كتب التّاريخ والتّراجم والأنساب.

نقشُ مُصْعَب بن إسحق بن طلحة:

وهو ممّا أرسله إليّ (عيد ساعد الدّبور)، وقد كاد يختفي بسبب طبيعة الصّخرة الرّخوة، وتحتَهُ رسومٌ للوُعولِ لا تكادُ تَظْهَرُ لأنّها أقدمُ زَمَنًا؛ وهذه صورته كما أرسَلها إليّ، ثمّ بعد اقتطاعهِ وتحريرِ ألوانه:





قراءة النّقش:

امن مصعب ابن اسحق
بالله رب العلمين

آمَنَ مصعبُ بنُ إسحاقَ بالله ربِّ العالمين

ومصعب بن إسحاق أخباره قليلة، وجعله ابنُ حِبّانَ في الثّقاتِ (٧: ٤٧٨) من الرُّواة؛ وذكر الذّهبيّ في (سِيَر أعلام النّبلاء ١٧: ٤٤٩) أنّ مِن وَلَده: أبا بكر محمّد ابن عليّ بن إبراهيم بن مصعب بن عُبَيْدِ الله بن مصعب بن إسحاق بن طلحة بن عُبَيْدِ الله التّيْميّ الطّلْحيّ الأصبهانيّ، التّاجر، بقيّةُ المَشايخ، وُلِدَ سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة، وكان مِن كُبَراءِ أهل أصبهان، له أوقافٌ كثيرة، وهو عمُّ أمِّ الحافظِ إسماعيل بن محمّد التّيميّ مُصنِّفِ (التّرغيب والتّرهيب)، وتُوُفّيَ سنة خمس وعشرين وأربع مئة، وقد ناطح التّسعين، رحمه الله؛ وقال الحافظُ إسماعيل بن محمّد التّيميّ الأصفهانيّ في (سِيَر السّلَف الصّالحين: ٢٢٢) في آخر كلامه على طلحةَ رضي الله عنه: «هذا آخرُ ما اتّفقَ ذكْرُه في الوَقتِ في فَضْلِ طلحةَ وصفتِه وسيرَتِه، ولم أُطَوِّلْ مخافةَ الملالَة، مع وُلوعي بذكرِ فضْلِه، لأنَّ والدتي- رحمها الله- مِن أولادِ طلحة بن عُبَيْدِ الله، هي: بِنْتُ مُحمَّدِ بن مصعبِ بن عبد الواحدِ بن عليٍّ بن أحمدَ بنِ مُحمَّدِ بن مصعب بن عبد الله بن مُصْعَبِ بن إسْحاقَ بن طلحة بن عبيد الله رضيَ الله عنه».

نقشانِ لِجُنادة بن مالِك الأزْدي، وعبد الرّحمنِ بنِ نَضْلَةَ:

جاء هذان النّقشانِ وغَيرُهما ممّا سيأتي على صورةٍ لصخرةٍ حَوَتْ مجموعةً كبيرةً مِن النّقوش، والصّخرةُ على طريقِ (حِسْمى)، وقد صوّرها (عِيد دخيل الله الفندل العطويّ)، ونشرها في صفحته على الشّابكة، واستأذَنه (فريق الصّحراء) في أخذِها وقراءة نقوشِها، وكان بيني وبينهم تعاوُنٌ على ذلك، ونشرها الفريقُ على موقعه بعنوان «إضافة جديدة لنقوش حِسْمَى»؛ وهذه أوَّلًا صورةُ الصّخرة، ثُمّ صُورتا نقْشَيْهِما والتّعليق عليهما:



وهذه صورةُ نقشِ جُنادة بن مالك، وهي على يمينِ الصّورة (الأسطر ٧- ٩):



قراءة النّقش:

انا جنـدة
بن مـالك استهـدي
الله للهـدى

أنا جُنادةُ بنُ مالكٍ أستهدي اللهَ لِلْهُدى

وصاحبُ النّقشِ جُنادةُ بنُ مالكٍ مِنَ الصّحابةِ الكِرام، وترجمته في كتبِ تراجمهم وفي كتب التّاريخ؛ وفي الصّحابةِ رجُلان وقع الخلط بينهما: الأوّل جُنادةُ بنُ مالك صاحب النّقش، نزلَ في مِصْرَ، وعَقِبُهُ في الكُوفَة، والثّاني جُنادة بن أبي أُمَيّة، فبعضُهم يقول إنّ اسم أبي أميّة هو مالك ويعدُّهُما واحدًا، وبعضهم يقول اسم أبيه هو كبير أو كثير، وله ولأبيه صُحْبَة، ويفرّق بينهما، وبعضهم يعدُّه في التّابعين والصّحبة لأبيه أبي أميّة، وشَهِدَ فتحَ مِصْر، وأقام في الأردُنّ، وكان أميرًا يغزو بالبحرِ مِن أيّام عثمانَ رضي الله عنه حتّى أيّامِ يَزيدَ ما عدا أيّامَ الفِتْنَة، وهو الّذي فتح جزيرة رودُسَ وجزيرة طرسوسَ وجزيرة أرواد، وكانت وفاته نحو سنة ثمانين للهجرة.

وهذه صورة نقشِ عبد الرّحمن بن نَضلة، وهو بجانبِ نقشِ جُنادة على يَسارِه:





قراءة النّقش:

انا عبد الرحمن بن نضلة
استهدي الله للهدى واعو
ذ به من الضللة وا...

أنا عبد الرّحمن بن نضلةَ أستهدي اللهَ للهُدَى وأَعُوذُ بِهِ مِن الضَّلالَةِ وَأ...

وجاء في تعليق الدّكتور عبد الله بن عبد العزيز السّعيد من (فريق الصّحراء) على النّقش: «للأسف فإنّ صاحب البخّاخ –هداه الله– حرمَنا من تأكيدِ قراءة نقش هذا التّابعيّ، لكنْ رأيتُ طرَفَ حرف الحاء بعد تكبير الصّورة ومعالجتها بطريقة فنّيّة»، ثمّ ذكرَ أنّ (حنظلةَ) هو الصّحابيُّ غَسيلُ الملائكةِ وقد استُشهد يومَ أُحُد، وولَدَتْ زوجتُه جميلةُ عبدَ الله بنَ حنظلة سنةَ ثلاثٍ للهجرة، فولَدَ عبدُ الله بنُ حنظلةَ عبدَ الرحمن، وذكرَ أنّ عبدَ الرّحمن انتسَبَ إلى جَدِّه لِشُهْرَته كما هو معروف عند العرب.

وأقول: ما ذكرهُ مِن أنّ العرَب قد ينتسبُ أحدُهم إلى جدّه أو غَيره من آبائه لِشُهْرَتِه صحيحٌ، مثل الشّاعر عُمَر بن أبي ربيعة، وهو: عُمَر بن عبد الله بن أبي ربيعة؛ غيرَ أنّ الصّوابَ في قراءة الاسم هو (نضلة) وليسَ (حنظلة)، وهذا واضحٌ مِن رَسم الضّاد بلا ألف؛ وصاحبُ النّقش هو: عبد الرّحمن بن نَضْلَةَ بن صفوانَ بنِ أميّةَ بن مُحرِّث من بني مالك بن كِنانة، وكان جدُّه (صفوان بن أُميّة بن مُحرّث) مِن الحُكّامِ في الجاهليّة (المحبّر: ١٣٣)، وكان عمُّه علقمة بن صفوان بن أميّة بن مُحرّث حليفًا لبني عبد شمس بمكّة قبل الإسلام، وعلقمةُ هو جدُّ مروان بن الحكم أبو أمّه آمِنَة (الطّبقات الكبرى ٥: ٣٥)؛ وعمّتُه فاطمة بنت صفوان بن مُحرّث، أسلمت بمكة قديمًا، وبايعَتْ، وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرةَ الثّانية مع زوجها عمرو بن سعيد ابن العاص بن أميّة بن عبد شمس (الطّبقات الكبرى ٨: ٢٨٧)؛ وابنُ عمّه نافع بن علقمة بن صفوان كان واليًا لعبدِ الملك بن مروان على مكّة، فلمّا مات عبد الملك أقرَّهُ الوليدُ سنتَيْن ثمّ عزَلَه سنة تسعٍ وثمانين (تاريخ دمشق ١٦: ١٣٨)؛ ورجّحَ ابنُ حَجَر أن يكونَ علقمةُ بن صفوان ماتَ في الجاهليّة، وأن يكون نافعٌ من الصّحابة (الإصابة ٦: ٣٢٤)؛ فيكون عبد الرّحمن بن نَضلةَ مِن طَبقةِ نافعٍ ابن عمِّه، ولعلّه من الصّحابة ولو لم تذكرْه كتُبُ تراجمهم، ويؤكّد ذلك هذان النّقشان المُتَجاوران (نقشُه ونقشُ الصّحابيّ جُنادة بن مالك)، والظّاهر أنّهما كانا معًا في سَفَرِهما، فكتبا نقشَيْهما، وجاءَ دُعاؤُهما واحدًا: (أَسْتَهْدي اللهَ لِلْهُدى).

ومن ولد عبد الرّحمن بن نَضلَةَ ابنُه محمّدٌ كان مِن رواةِ أهلِ المدينة، يروي عن سعيد بن المسيّب وغيره، وممّا رواه كما في (التّاريخ الكبير ١: ١٥٣) «أنّ علقمة بن عبد الرّحمن بن أبي سفيانَ طلَّقَ، قال: فسألتُ ابنَ المُسيّب والقاسمَ وسالِمًا وخارجةَ ابن زيد وسُليمانَ فقالوا: تَقْعُدُ في بَيْتِها»؛ وعلقمةُ بن عبد الرّحمن المذكورُ هنا هو ابنُ صاحبِ النّقْش الآتي ووالدُ صاحب النّقش الّذي يليه.

نقش عبد الرّحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِب:

وهو ممّا أرسله إليّ (عِيد ساعد الدّبور)، وتحتَه نقشٌ لرجُلٍ آخرَ اسمُهُ الصَّلْت؛ وهذه الصُّورة:



قراءة النّقشَيْن:

امن عبد الر
حمن بن ابي
سفين بالله

آمَنَ عبد الرّحمن بن أبي سُفيانَ بالله

وتحتَهُ:

اسلم وجه ا
لصلت لله
العظيم

أَسْلَمَ وَجْهُ الصَّلْتِ لله العظيم

وظاهـرٌ أنّ صاحبَـيِ النّقشَيْنِ كانا معًا في السّفَر حـين كتباهما، ولم يتبيّنْ مَنْ (الصَّـلْـتُ) صاحبُ الأدنى؛ وأمّا صاحب الأعلى فهو: عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِبِ بنِ عَبْدِ العُزّى، مِن بَني عامرِ بنِ لُؤَيٍّ مِن قُرَيْش؛ وكان جدُّه حُوَيْطِبٌ مِن عُلماء قُريش، وأسلمَ عام الفتح رضي الله عنه، وكانَ سِلْفَ رسولِ الله صلّى الله عليهِ وسلّم، إذ تزوّجَ أمَّ حبيـبٍ أُمَيْمَـةَ بنـت أبي سفيان صَخْرِ بنِ حرب، وهي أخت أمّ حبيبة بنت أبـي سفيان أمّ المؤمنين زوجِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وتزوّج أمَّ كلثوم بنت زمعة وهي أُختُ سَوْدَةَ بنت زمعة زوج النّبيّ، ومات سنة أربع وخمسين وهـو ابـن مئة وعشرين سنة (الطّبقـات الكبرى ٥: ٤٥٤، و أنســاب الأشراف ١: ٤٠٩)؛ وإذَنْ فقـد سَمّى حُوَيطِبٌ

ابنَـه والِـدَ صاحِبِ النّقشِ بـ (أبي سفيان) وهي كُنْيَـةُ جَـدِّه أبي سُفيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ، ويكونُ يزيدُ بن أبي سُفيانَ ومعاويةُ وسائرُ بني أبي سُفيان وبناتُه أخوالَه وخالاتِه.

ومِن أحفادِ حُوَيْطِب عدَدٌ مِن المشاهير، في الإمكانِ البحثُ عنهم في المصادر، ومنهم: صاحبُ النّقش عبد الرّحمن ابـن أبـي سُفيانَ، وترجمتـه في (تاريخ دمشق ٣٤: ٣٨٩)، وأمّـه بنت سعيد بن زيد بن عمرو بـن نُفَيْلٍ أحدِ العشرة المبشَّرين بالجنّة، وقد استعمله عُمَرُ بنُ عبد العزيز على الصّدقة، ومِن أولاده أبو بكرٍ رباحُ بن عبد الرّحمن بن أبي سُفيان وَلِـيَ قضاء المدينة (تاريخ دمشق ١٨: ٢٥ –٢٨)، ومِن أحفادِه سعيدُ بنُ علقمةَ بن عبد الرّحمن بن أبي سُفيان صاحبُ النّقشِ الآتي.

نقشُ سعيدِ بنِ علقمةَ بن عبد الرّحمن بن أبي سُفيان:

وهـو ممّا نشره (فريق الصّحـراء) في مقال كتبتُه على موقعهم بعنوان «عودةٌ إلى نقوش حِسْمى»، وعلّقتُ عليه وعلى نقوشٍ كثيرةٍ، وفي المقالِ نقوشٌ لعدد من العلماء والمشاهير؛ وهذه صورة نقش سعيد:



قراءة النّقش:

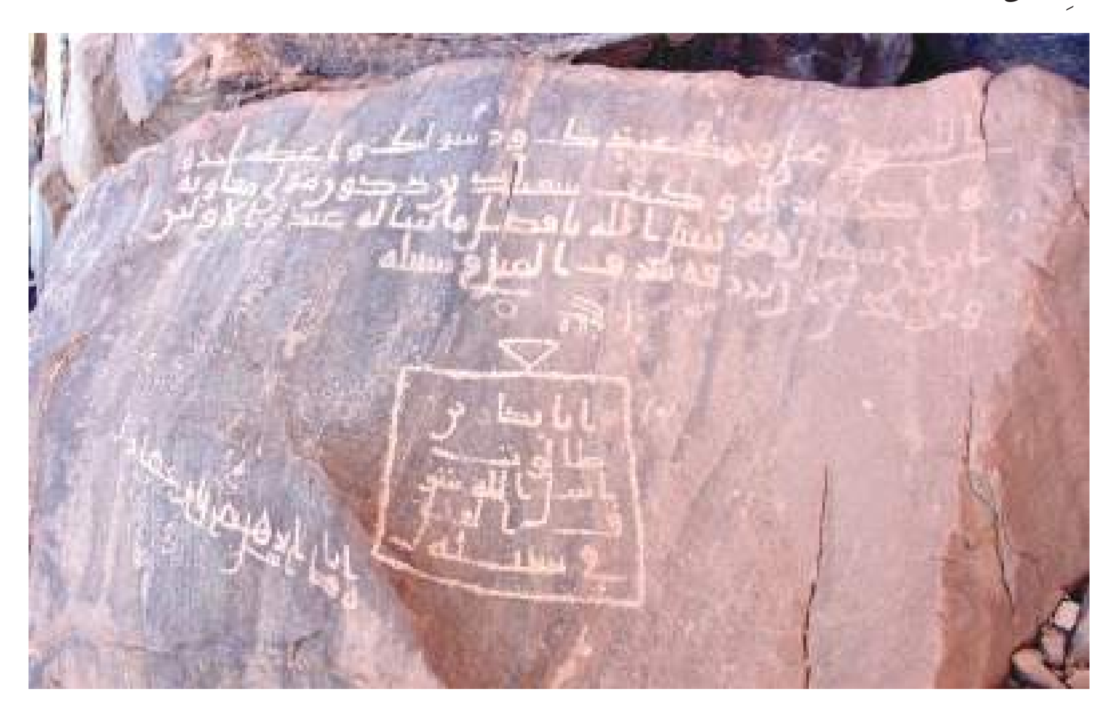
امن سعيد بن علقمة
ابن عبد الرحمن
ابن ابو سفين ابن
حويطب
بالله العظيم

آمَنَ سعيدُ بن علقمة بن عبد الرّحمن بن أبو سُفيانَ بن حُوَيْطِب بالله العظيم

وقلت في التّعليق عليه: «ويُلحَظ أنّ الواوَ مِن (أبو سفيان) هكذا جاءت على الحِكاية، وهو من الفصيح، وأنّه أَلْحَقَ بها ما يُوحي بتصحيحها لتصيرَ (أبي سفيان) على الأفصح».

نقشان لسعيدِ بن ذكوانَ مَوْلى معاويةَ ولصاحبه:

نشر (فريق الصّحراء) هذا النّقش في مقاله المذكور آنِفًا «رحلة عيد الأضحى ١٤٣٤ (٢): ذكريات التّابعين على صخور حِسْمَى»، وتحتَه نقشٌ آخر؛ وهذه صورتُه:



قراءة النّقش:

اللهم صلي على محمد عبدك ورسولك واعظم اجره
واكرم نزله وكتب سعيد بن ذكون مولى معاوية
ابن ابي سفيان هو يسل الله بافضل ما ساله عبد من الاولين
والاخرين ان يرزقه شرف القتل في سبيله

اللّهـمّ صلّـي على محمّدٍ عبدِك ورسولِك وأعْظِمْ أَجْرَهُ وأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وكتَبَ سعيدُ بنُ ذَكْوانَ مَوْلـى مُعاوية بن أبي سُفيان، هُو يَسْـأَلُ الله بِأَفْضَلِ ما سَأَلَهُ عبدٌ مِنَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ أنْ يَرْزُقَهُ شَرَفَ القَتْلِ في سَبِيلِه

وجـاء في التّعليـقِ أنّ صاحـبَ النّقش سعيدَ بن ذكوان وصـفَ نفسَه بأنّه «مَوْلـى معاوية بـن أبي سفيان»، ولم يصـف معاويةَ بـ (أمير المؤمـنين)، وهذا يعني أنّه كتبه قبلَ سنة إحدى وأربعين للهجرة حينَ تولّى معاوية الخلافة، وربّما كتبه زمنَ الفتوح أيّامَ عُمَرَ أو عُثمان رضي الله عنهما، لأنّ الفتوح توقّفت وقتَ الفتنةِ، وكان معاوية تولّى إمارةَ

الشّـام في عهـد عمر، فـكان هو وأهله ومواليه يمرّون على هـذه الطّريق؛ ويُحتَمَلُ أن تكون (مَوْلـى معاوية) صفةً لـ (ذكوان) لا لابْنِه (سعيدٍ) كاتبِ النقش، فيكون تاريخُ كتابته بعدَ خلافة معاوية.

ويُلحَظُ أنّه لم يحذفِ الياءَ من فعلَ الرّجاءِ في قولِه: «اللّهمّ صلّي على محمّد»، وهذا كثيرٌ في النّقوشِ، وأنّ همزةَ (يسـأل) لم تُكتَـبْ، ويكاد هذا يكون عامًّـا في النّقوش؛ وكلمة (القتل) تحتملُ قراءةَ (القِتـال)، فهو يسـأل الله شرفَ الاستشهاد، أو شرفَ المشاركة في القتال.

وتحته نقشٌ آخرُ مؤَطَّرٌ يقول صاحبُه:

انا بكار بن
طالوت
اسل الله شر
ف القتل في سبيله

أنا بَكّارُ بنُ طالوتَ أسْأَلُ اللهَ شَرَفَ القَتْلِ في سَبيله

وظاهـرٌ هنـا أيضًـا أنّ سعيدَ بنَ ذكوانَ وبَـكّارَ بنَ طالوتَ كانا مَعًـا في سَفَرِهما، ولعلّهما كانـا مُتّجِهَيْنِ إلى أحَدِ الفتوحِ فدَعَوَا اللهَ تعالى بهذا الدُّعاء الواحد.

نقشٌ آخَرُ لسعيد ين ذكوان مولى معاوية مع نقشَينِ آخرَيْن:

وكتب سعيدٌ نقشًا آخرَ جاء مع نقشَينِ آخرَيْنِ نشرَها (فريق الصّحراء) في المقالِ المذكورِ آنِفًا؛ وهذه صورتُها:



قراءة النّقش الأوّل:

اللهم ان عبدك عبد الرحمن بن
المسور لا يشرك بك احدا

اللّهمّ إنّ عبدَكَ عبدَ الرّحمن بن المِسْوَرِ لا يُشْرِكُ بك أحدًا

وصاحب النّقش عبد الرّحمن بن المِسْوَرِ بن مَخْرِمةَ الزُّهْريّ القُرَشيّ، وأبوه مِن صِغارِ الصّحابة، وأمُّه ابنةُ شُرَحْبِيلِ بنِ حَسَنَة رضي الله عنه، وشُرَحبيلُ صحابيّ مشهور، وهو أحدُ قادةِ الجيوشِ الّتي وجّهها أبو بكرٍ رضي الله عنه لتحرير الشّام مِن الرّوم؛ وترجمةُ عبد الرّحمن في (تاريخ دمشق ٣٥: ٤٢٩- ٤٣٧)؛ وجاء في (الطّبقات الكبرى ٥: ٣٣٠- ٣٣١): «عبد الرحمن بن المسور بن مَخْرَمة بن نَوْفَل بن أُهَيْبِ بن عبد مَناف بن زهرة؛ وأُمُّهُ أَمَةُ الله بنت شُرَحْبِيلَ بنِ حَسَنة الكِنْديّ؛ فولَدَ عبدُ الرّحمن بن المِسْوَر: عبدَ الله، وميمونة -وأُمُّهما بِنْتُ زياد بن عبدِ الله ابن مالك بن بُجَير بن الهزم بن رُؤَيْبة من بني هلال بن عامر- وأبا بكر بنَ عبد الرّحمن وكان شاعرًا، وشُرَحْبِيلَ، وربيعةَ، وجَعفراً، لأمهات أولاد؛ ويُكْنى عبدُ الرحمن أبا المِسْوَر؛ وتُوُفِّي بالمدينة سنة تسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك، وكان قليلَ الحديث».

ومِن شِعْرِ ابنه أبي بكر بن عبد الرّحمن بن المِسْوَر أبياتٌ مشهورةٌ في كتب الأدب وغيرها، أنشدها لَهُ البلاذريُّ في (أنساب الأشراف ١٠: ١٠) وابنُ حزم في (جمهرة أنساب العرب: ١٢٩)، ونسبها أبو تمّامٍ في (شرح ديوان الحماسة ٢: ٧٣) لبعضِ القُرَشيّين وبيّنه التّبريزيّ:

بينما نحنُ سائرونَ على القا ... عِ سِراعًا والعِيسُ تَهوي هُوِيّا
خطرَتْ خَطْرَةٌ على القلبِ مِن ذِكْـ ... ـراكِ وَهْنًا فما استطعْتُ مُضِيّا
قلتُ: لَبَّيْك، إذْ دعاني لكِ الشَّوْ ... قُ، ولِلحادِيَيْنِ: كُرّا المَطِيّا

ولعبد الرّحمن أبناء وأحفاد من أهلِ العلْمِ ورُواته.

النّقشُ الثّاني:

انا ابو بكر بن طا
لوت اسل
الله الجنة نز
لا امين رب العلمين

أنا أبو بكر بن طالُوتَ أَسْأَلُ اللهَ الجَنَّةَ نُزُلًا آمِينَ ربَّ العالَمين

وصاحبُ النّقشِ كما يَظهَرُ أخو (بكّار بن طالوت) صاحب النّقشِ في الصّورةِ السّابقة، أو هو نفسُهُ، اسمُهُ بَكّارٌ وكُنْيَتُـهُ أبـو بَكر، والظّاهر أنّهما كانـا (أو كان) مع سعيد بن ذكوان مَوْلى مُعاويةَ الّذي كتب نقشَه بجانب نقشِ أبي بكرٍ هنا، فقال -وهو النّقشُ الثّالث-:

انا سعيد بن ذكون
اسل الله الجنة

أنا سعيد بن ذَكْوانَ أسْـأَلُ اللهَ الـجَنَّة

نقش سلمة بن صالح مولى عبد الرّحمن بن عبد الله بن الأسود بن أبي البَخْتَرِيّ:

وهو من نقوش (فريق الصّحراء) في المقالِ آنِفِ الذِّكْر؛ وهذه صُورتُه:



قراءة النّقش:

انا سلمة بن صالح مولى
عبد الرحمن بن عبد
الله بن الاسود بن ابي البختري

أنا سَلَمَةُ بنُ صالحٍ مَوْلى عبدِ الرّحمن بنِ عبد الله بنِ الأسوَدِ بنِ أبي البَخْتَرِيّ

صاحبُ هذا النّقش كما وصف نفسَه مَوْلًى لِعبد الرّحمن بن عبد الله بن الأسود بن أبي البَخْتَرِيّ؛ و(الأسودُ) جدُّ عبدِ الرّحمن صحابيٌّ اسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ الأسديّ القرشيّ، أسلم يوم الفتح، وترجمتُه في كتُبِ تراجم الصّحابة؛ وجاء في الطّبقات الكبرى (الجزء المتمّم لطبقات ابن سعد: ٢٤٠): «فولَدَ الأسودُ بن أبي البَخْتَرِيّ: عبدَ الرّحمن...، وسعيدًا لِأُمّ وَلَدٍ، وعبدَ الله لأمّ وَلَدٍ»؛ ونقل الخطيب البغداديّ في (تاريخ بغداد ٩: ٣٥٢) بسنده عن الزّبيرِ بن بكّارٍ قال: «ومن ولد أبي البختريّ بن هشام: طلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود بن أبي البختري، وأمُّه وأمُّ أخوَيْه عليٍّ وحَسَنٍ ابنَيْ عبدِ الرّحمن: بَرَّةُ بنت سعيد بن الأسود، وأمُّها فاطمة بنت عليّ بن أبي طالب، وأمُّ عبدِ الرحمن بن عبد الله بن الأسود: حَميدَةُ بنةُ طلحة بن عُبَيْدِ الله بنِ مُسافِع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة، وأمُّها أمُّ كلثوم بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر الصّدّيق؛ ولذلك يقول طلحة بن عبد الرّحمن:

جَدِّي عَلِيٌّ وأبو البَخْتَرِي ... وطَلْحَةُ التَّيْمِيُّ والأَسْوَدُ
وَجَدِّيَ الصِّدِّيقُ أَكْرِمْ بِهِ ... جَدًّا وخالِي المُصْطَفى أَحْمَدُ»

وذكرَ الخطيبُ البغداديّ أنّ طلحةَ هذا صَحِبَ أبا العبّاس السّفّاح والمنصورَ والمَهديّ من خلفاء بني العبّاس.

نقش يحيى بن سعيد بن سَعْدٍ:

جاء هذا النّقشُ في أوسط صورة (الصّخرة الكبيرة السّابقة الّتي عليها مجموعة كبيرة مِن النّقوش) من جهة الأعلى؛ وهذا هو:





قراءة النّقش:

انا يحيى ابن سعيد ابن سعد اشهد الا اله الا الله وحده

أنا يحيى بن سعيد بن سعد أشهَدُ ألّا إله إلّا الله وحده

وصاحـب النّقش: يحيى بن سعيد بن سَعْدِ بن عُبـادَةَ الخزرجيّ الأنصاريّ، أبوه سَعيدٌ وعمّه قَيْسٌ وجدُّه سَعدٌ مِـن الصّحابـة، وتراجمهم وأخبارُهم في كتُبِ تراجم الصّحابة والتّاريخ؛ فجـدُّه سَعْدُ بنُ عُبادةَ الّذي كان مِن وجوه الأنصار يحملُ رايةَ قومِه بني ساعدة، وكان يحملُ لِواءَ رسول الله يومَ فتح مكّة، ولمّا تُوفّيَ رسول الله اجتمع الأنصار في سقيفةِ بني ساعدةَ يريدونَ تَولِيَته، إلى أن بُويعَ أبو بكرٍ رضي الله عنه، فاستنكفَ سعدٌ؛ وكان والدُ يحيى (سعيدُ بـنُ سعـدٍ) واليًا على الجَنَدِ ومخاليفِها مِن اليمن لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وعمّهُ قيسُ بنُ سَعْدٍ من مشاهيرِ الصّحابـة كان للنّبـيّ صلّـى الله عليه وسلّم كصاحبِ الشُّرْطة، وهو مِن دُهاةِ العـربِ وكُرمائهم، ولّاه عليٌّ رضي الله عنه على مِصْر قبلَ محمّد بن أبي بكرٍ الصِّدّيق.

أمّـا يحيـى صاحـبُ النّقش فقد كان له ابـنٌ اسمُه الحسينُ كان زعيـمَ سَرَقُسطةَ في الأندلس، فائْتَمَرَ مع وَالِـي برشلونـةَ علـى صَقْـرِ قُرَيْشٍ عبـدِ الرّحمـن (الدّاخل) بـن معاوية بن هشـام بن عبد الملـك، وراسَلا ملـك الفرنجةِ لمساعدتهمـا، فطمِـعَ فيهم، ولم يتمّ لهم ما أرادوا، إلى أن حاصر الدّاخـلُ سرَقُسطةَ وقتلَه في عام ١٦٦ هـ (الكامل في التّاريخ، وتاريخ ابن خلدون= حوادث سنوات ١٦٣- ١٦٥ هـ).

نقش سَلَمة بن محمّد بن عمّار بن ياسر:

جـاء هـذا النّقـش في موضـعٍ آخر من الصّخرة الكبـيرة نشره (فريق الصّحراء) في المقـال المذكور آنفًا نقلًا عن (عيد دخيل الله الفندل العطويّ)؛ وهذا جزءٌ منها، ثمّ صورة نقشِ سلَمَةَ بعد اقتطاعه:



وهذا نقشُ سلمة:



قراءة النّقش:

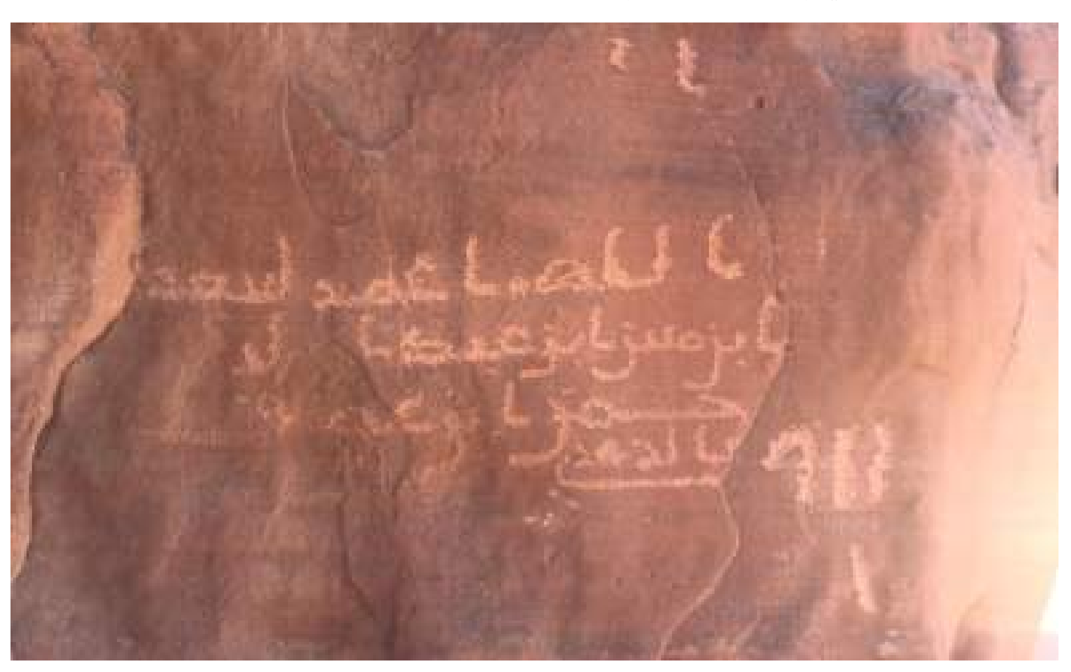
اللهم اغفر لسلمة بن محمد بن عمار بن ياسر

اللّهمّ اغفِرْ لِسَلَمَةَ بنِ محمّد بن عمّارِ بنِ ياسِر

وصاحب النّقشِ سَلَمةُ بنُ محمّد بن عمّار بن ياسر حفيدُ الصّحابيّ المعروف عمّار بن ياسر العَنْسِيّ رضي الله عنه، وترجمة عمّار في كتب تراجم الصّحابة والسِّيرة؛ وأمّا سَلَمةُ وأبوهُ محمّدٌ فإنّهما من رُواةِ الحديث، وكان المُختار بن أبي عُبَيْدٍ سأَلَ محمّدًا أن يُحَدِّثَ عن أبيه بحديثٍ كَذِبٍ فلَمْ يفعَلْ فقتلَه! ولِسلَمَةَ أخٌ يُقال له أبو عُبَيْدة من رواة الحديث، وقيلَ: هُما واحدٌ، وترجم لهما أصحاب كُتُبِ رُواة الحديث؛ وذكر محمّد بن حبيبٍ في (المُحبَّر: ٤٧٧) خبرًا نادرًا لم أجده إلّا عندَه، وهو أنّ أبا عُبَيْدَةَ بنَ محمّد بن عمّار بن ياسر كان مؤدِّبًا لعبدِ العزيز بن الوليد بن عبد الملك بعدَ مؤدّبه صالحِ بنِ كَيْسان.

نقش سعد بن مَعْنِ بن عبد الرّحمن بن عَوْف:

هذا النّقش ممّا أرسله إليّ (عيد ساعد الدّور)؛ وهذه صورته:



قراءة النّقش:

اللهم اغفر لسعد
بن معن بن عبد الر
حمن ابن عوف
الزهري

اللّهمّ اغفرْ لِسَعْدِ بنِ مَعْنِ بن عبد الرّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيّ

صاحبُ النّقْشِ سَعْدُ بنُ مَغْن بن عبد الرّحمنِ بن عَوْفٍ الزُّهْريّ حَفيدُ الصّحابيّ عبدِ الرّحمن بن عَوفٍ، وله نقوشٌ أُخرى في أماكن عدّة رصدها (فريق الصّحراء) ونشرَها؛ ولم أجد له ذكرًا في كتب التّراجم والأنساب، ولكنْ وجدتُ أنّه كان له أخٌ اسمه كَثيرٌ كان من رواة الحديث، ومِن أبناءِ إخوتِه أبي بكرٍ وعُمَر ومُعاذ مُحدِّثون، وأمّا هوَ فلا، وكأنّه لم يكن لهُ ولدٌ، أو كان هو وبنوهُ خامِلِي الذِّكْرِ، فهل كانت تكرارُه كتابةَ النّقوشِ رغبةً في تخليدِ اسمهِ الّذي أهملتهُ كُتُبُ التّراجم؟!

وكان عمّه أبو سَلَمة بن عبد الرّحمن محدِّثًا فقيهًا مُفْتيًا، وله حديثٌ كثيرٌ، ووَلِي قضاء المدينة المنوّرة، وكذلك عمّه مُصْعَبُ بنُ عبد الرّحمن (أخبار القُضاة: ١١٦-١٢٠) وكذا ابنُ عمّه سعد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عوف أمُّه أمُّ كُلثوم بنت سعد بن أبي وقّاص، وكان مُحدِّثًا (التّاريخ الكبير ٤: ٥١، وأخبار القضاة: ١٥٠-١٦٧).

نقشُ عَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوان:

وهو ممّا نشره (فريق الصّحراءِ) في مقالهم «رحلة عيد الأضحى ١٤٣٤ (٢): ذكريات التّابعين على صخور حِسْمَى»؛ وهذه صُورتُه:



قراءة النّقش:

انا عبد الملك بن مرون

أنا عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوان

صاحبه: الخليفة الأُمويّ عبدالملك بن مروان (٢٦ هـ – ٨٦ هـ) أبو الوليد، وأبو الخلفاء: الوليدِ ويزيدَ وسُليمانَ وهشام، وجَدُّ الخلفاء: الوليدِ بنِ يزيدَ ويزيدَ النّاقصِ بنِ الوليد ومروانَ بنِ محمّد آخِرِ الخلفاء من بني أُميّة.

ووصَفَ الدّكتور عبد الله بن عبد العزيز السّعيد كاتبُ المقالِ هذا النّقشَ وصفًا مُلَخَّصُهُ أنّ عبد الملك اختار لنقْشه مكانًا مميَّزًا على صفحةٍ ليس فيها أيُّ نقش، ولم يميّزْ نفسَه بالانتساب إلى قبيلة أو مدينة، بل اكتفى باسمه مجرَّدًا، لأنّ مثْلَهُ لا يُعَرَّف، ذلك أنّ الاسمَ نادرٌ، فقد جاء في (تاريخ دمشق ٥٣: ٢٢٨) –وأخبارُهُ فيه ٥٣: ٢٢٢ وما بعدها– أنّ أوّلَ مَـنْ سُمِّـيَ في الإسلام (عبد المَلك) عبدُ المَلِكِ بنِ مَرْوان؛ ورجّح الدّكتور السّعيد أنّه كتب نقشَه أيّامَ شبابِه قبلَ تولّيهِ الخلافةَ حين كان يَفِد إلى الشّام أيّام ولايته على المدينة المنوّرة لمعاوية ويمرُّ بِطَريقِ حِسْمَى.

وقـد كانَ عبـد الملك واحدًا مِن فُقهاء المدينة المنوَّرة وعلمائها ونُسّاكِها، ومن رواة الشّعر ونقّاده، ثمّ صار واليًا على المدينة أيّام خلافة معاوية، وشارك في السّياسةِ إلى أن تولّى الخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وستّين، واستطاع بعقلِه وعلمِه ودهائه وحزمه إعادة توحيد الأمّة بعدما تشتّت أمرُها وصارَت دُوَلًا عَقِبَ مؤامرةِ قتلِ عثمان رضي الله عنـه، وبلغـت الدّولة العربيّة الإسلاميّة في عصره أَوْجَها؛ وأخبارُهُ في تاريخ دمشقَ وغيره من كتب التّراجم والتّاريخ وكتب الأدب وغيرِها.

نقشُ أمّ سَلَمة بنتِ هِشامِ بنِ عبدِ المَلِك:

نشـر (فريـق الصّحـراء) هـذا النّقش في مقال له بعنـوان «نقوش نسائيّـة على طرق القوافـل»؛ وهذه صورته مرّتَيْن، أُولاهما كما تظهر بالتّصوير أوّلًا، والثّانية بعد المعالجة الفنّيّة:





وكان الدّكتور عبد الله السّعيد أرسلهُ إليّ لقراءته مع التّنبيه على أهمّيّته، فقرأتُ: «اللهمّ أصلح [أو اصحَب] أمّ سلمـة ابنـت هارون أمير المؤمنين...»، لأنّني لاحظتُ الهاءَ بعد كلمـةِ (ابنت)، فأوّل ما خطرَ ببالي أنّه (هرون) وهي تُكتَبُ قديمًا بلا ألف، ولأنّي وجدْتُ في بناتِ هارون الرّشيد (أمّ سلَمة)؛ ثمّ راجَعَني الدّكتور السّعيد بعد مُدّة، وأرسل هـذه الصّـورة المُقرَّبَةَ، وقال: إنّه يميلُ إلى أن تكون قراءة الاسم (هشام) لأنّه يرى أنّ هنالك ألفًا فيه، فدفعني ذلك إلى البحـث عـن أسمـاء بناتِ هشام بـن عبد الملك، فوجدْتُ فيهـنّ أمّ سلَمة ووجدْتُ لها خَـبرًا، فوافقتُه على قراءته، ووافَيْتُـه بمـا انتهيت إليه وبخَبَرِها، ولكنْ بقيَتْ تتمّة النّقش غير واضحة، فنشره في المقال المذكور؛ وقال في وصفه: «هذا النّقش المُهمّ كُتِبَ بخطّ صغيرٍ على صخرةٍ لا تحتوي صِبْغَةً صحراويّةً كافية، ولهذا لم تتّضح حروف النقّش، وكذلـك بسبب أنّ الكاتبة لم تَنْحِتْهُ بقوّة كافية؛ ثُمّ إنّ هناك أثرَ رصاصةٍ لأحدِ العابثِينَ أصابَتْ حرفَ الحاء في كلمة (أصحب)؛ وقد ساعد في قراءة هذا النّقش الأستاذ محمد شفيق بن خالد البيطار:

(اللهمّ اصحب أُمَّ

سَلَمَةَ ابنت هشام

أمير المؤمنين... صحبة

دائمة... سهل؟... الله...

؟؟).

نلاحـظ أنّ السّطـر الأخير تصعب قراءتـه لتأثّره بعوامل التّعْرِيـة...، وقد تُقْرَأ (أصلِحْ) لكـنْ نرجّح القراءةَ الأولى، وكلمـة (هشـام) شبه مطموسةٌ، ومن الواضح أنّ العَبَثَ بها كان مُتَعَمَّدًا، ولم نتبيّنْ أسنانَ الشّين إلّا بالنّظر مِن زاويةٍ مائلة، وكذلك عصا الألف.

والكتابـةُ ليسـت محفـورةً بوضوح، خاصّة السّطر الأخير، ولعـلّ هذا يعود لضعفِ يدِ المـرأة مقارَنةً بالرّجل؛ وزادَ مِـن المشكلـة تداخُـلُ الكتابة معَ نقشٍ نَبَطِيٍّ قديم؛ لكـنْ –والحَقُّ يُقال– مكانُ النّقشِ مُمَيَّـزٌ مرتفِعٌ يليق بِبِنْتِ الخليفةِ رحمه الله.

كما أنّ السّطر الثّالث كُتِبَ على صخرةٍ صَلْدةٍ ولم نصل إلى قراءته.

وفي (نسب قريش: ١٦٨) للمصعب الزّبيريّ، وعنه في (تاريخ دمشق ٧٠: ٢٤١) لابن عساكر، و(البداية والنّهاية ١٣: ١٣١) ما يؤكّد صحّة الاسم؛ فقد ترجم ابنُ كَثيرٍ لأمّ سَلَمَة بنت هشام بن عبد الملك بن مروان، وذكر أنّها وُلِدَت لأمٍّ وَلَدٍ، وأنّها تزوّجَت ابنَ عمِّها عبدَ العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك بن مروان.

ولدينـا دليـل قويٌّ على تاريخ هذا النّقش فقد ذكر ابنُ كَثيرٍ رحمه الله في أحداث سنة (١٢٤ هـ): (قال أبو جعفر بن جرير [الطَّبَريّ]: حجّ بالنّاس فيها عبدُ العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك ومعه امرأتُه أمُّ سَلَمة بنتُ هشامِ بنِ عبد الملك).

لهذا فنحن نؤرّخ لهذا النّقش بعام ١٢٤هـ، أو ١٢٥هـ حالَ عَوْدَتهم من الحجّ.

ويذكر ابنُ عساكر أنّ زوجَ أمّ سَلَمَةَ كان أخًا لِأبي العبّاسِ السّفّاحِ الخليفةِ العبّاسيّ لِأُمِّه، فقد جاء في مختصره: (عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس، أبو الأَصْبَغ القُرَشيّ الأمويّ، كان وجيهًا عند يزيدَ بنِ الوليد النّاقصِ لقيامِه معه في مُحارَبَةِ الوليد بن يزيد، وهو الّذي تولّى قتالَ الوليدِ حتّى قُتِلَ؛ وجعله يزيدُ بن الوليد وَلِيَّ عهدِهِ بعدَ أخيه إبراهيم بن الوليد؛ وتزوّجَ عبدُ العزيز هذا أمَّ سلمة بنتَ هشام بن عبد الملك)».

وكان هذا النّقش ممّا اخترتُه لهذا المقال، فدقّقتُ فيه، فإذا آخر كلمةٍ هي (مرون) أي (مروان)، فلم يَبْقَ لدَيّ شكٌّ في أنّ الكلمات الغامضة هي (بن عبد الملك بن)، فكتبتُ على موقع فريق الصّحراء ما وصلَتْ إليه، وأنّه لفت نظري اسمُ جدِّ أبيها (مرون) أي (مروان)، «فدقّقت فيما قبلَه وإذا هو اسم جَدّها (عبد الملك)، وقد كُتب بخطّ أصغر لأنّ الصّخرة فيما يبدو لم تُعِنْها إلّا على ذلك؛ فتكون قراءة النّقش:

اللهم اصحب ام
سلمة ابنت هشام
امير المومنين
ابن عبد الملك ابن
مرون

اللّهمَّ اصْحَبْ أُمَّ سَلَمَةَ بنتَ هِشامٍ أميرِ المُؤْمِنينَ بنِ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ

ويُلْحَظُ أنّ كلمة (ابن) قبلَ (عبد الملك) وبعدَه جاءت سنُّ الباء فيها عاليةً، وأنّ نونَ كلمة (المومنين) التصقَتْ بآخرِ كافِ كلمة (المَلِك)، وكذلك ألف كلمة (ابن) بعده؛ وأنّ فوق كلمة (اللهم) دائرتين، وبعد كلمة (ام) دائرة، وقبل (مرون) -أي (مروان)- دائرتين، وكأنّها زخارفُ أو شيءٌ من هذا القَبيل».

وبَقِيَ مِمّا يخصُّ زَوجَها ما ذكره ابنُ عساكر (مختصر تاريخ دمشق ١٥: ١٢٣) من أنّه كانَ من القَدَريّة (المُعتَزلة)، وأنّ أُمَّهُ وأمّ أخيه لِأمّه أبي العبّاس السّفّاح هي رَيْطَةُ بنتُ عُبَيد الله بن عبد الله الحارثيّ، وأنّ نهايتَهُ كانت وَخيمَةً؛ قال ابن عساكر: «وحين غلَبَ مروانُ بنُ محمّد على دمشق -وذلك في سنة سبعٍ وعشرين [ومئة]- توجّه عبدُ العزيز بن الحجّاج إلى دارِهِ لِيُخْرِجَ عِيالَه، فثارَ بِهِ أهلُ دمشقَ فقتلوه، فأَتَوْا به أبا محمّد بنَ عبد الله بن يزيد بن معاوية -وكان محبوسًا مع يوسف بن عُمَرَ [الثّقَفِيّ] وأصحابه- فأخرجوه، فوضعوه على المِنْبَرِ في قُيودِه، ورأسُ عبدِ العزيز بين يدَيْه، وحَلُّوا قُيودَه وهو على المِنْبَر، فخطَبَهم، وبايَعَ لمروان، وشتَمَ يزيدَ [النّاقِصَ] وإبراهيمَ ابنَي الوليدِ وأشياعَهم، وأمرَ بجسدِ عبدِ العزيز، فصُلِبَ على بابِ الجابِيَةِ مَنْكُوسًا».

نقشُ أبي الحارث العبّاس بن الوليد، حفيدِ عبد الملك:

وهو ممّا أرسله إليّ (عيد ساعد الدّبور) لقراءته وتعريف صاحبه، وذكر في رسالته أنّه اكتشفها في جبل رمليّ يُقال له هَضبة، وهو طُورٌ كبير يستظلّ فيه المسافرون على طريق (حِسْمَى)، ويُسَمَّى هذا الطُّور بـ (المِقْيال)؛ وهذه صورته مع ما حولَه كما أرسلَها إليّ أوّلًا، ثُمَّ صورتُه مُقْتَطَعًا مُكبَّرًا:





قراءة النّقش:

غفر الله
لابي الحارث
العباس بن الوليد

غفَرَ اللهُ لِأَبي الحارِثِ العبّاسِ بنِ الوليد

وهذا نقشٌ مهمٌّ جدًّا، فصاحبه هو الأميرُ الأُمويّ: أبو الحارث العبّاسُ بنُ الوليدِ ابنِ عبدِ الملكِ بن مروان بن الحكَم؛ وأخبارُهُ كثيرةٌ في كُتُبِ التّاريخ والأدب والأنساب والتّراجم، مثل: (تاريخ دمشق ٢٦: ٤٣٨– ٤٤٨)، وتاريخ الطّبريّ، ومجالس ثعلب، وأمالي القاليّ، والعقد الفريد، والأغاني، ومعجم الشّعراء، ونُور القَبَس، وجمهرة أنساب العرب، وسِيَر السّلَف الصّالح، ومجمع الآداب في معجم الألقاب، ووفيات الأعيان، والوافي بالوفَيات، وتاريخ الإسلام، ونهاية الأرب في فنون الأدب؛ وبِهِ يُكْنَى والدُه أبو العبّاس الوَليدُ بنُ عبد المَلك، لأنّ العبّاسَ أكبرُ وَلَده، ولكنّهُ كانَ لأُمِّ وَلَد، وكان خُلفاءُ بني أميّة لا يُوَلُّون الخِلافةَ ابنَ الجارية، وكان الوليدُ يُحبّه حبًّا شديدًا فأدّبَه بجميعِ الآداب، وكان عليُّ بنُ عبد الله بن العبّاس وعليُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ وعليُّ بنُ عبد الله بن جعفر يُقَدِّمونه على أبيهِ الوليد بن عبد الملك؛ وتزوّج العبّاسُ بعدد من النّساء، منهنّ الفُجاءَةُ بنت قَطَرِيٍّ بنِ الفُجاءَةِ زعيم الخوارِج، فأنجَبَتْ له الحارِثَ –وبه كان يُكْنَى– والمُؤَمَّلَ الّذي يُقالُ له: ابنُ الخلائِفِ الأربعة؛ وتزوّجَ رَبيحةَ بنت عبد الله بن عثمان بن عفّان، أُمُّها سُكَينةُ بنتُ الحُسَيْنِ بن عليّ، وأمّ سعيد سَعْدَةَ بنتَ سعيد بن عثمان بن عفان، وكان له ثلاثون ابنا ذكورًا، سماهم ابن حزم؛ ولّاه أبوه على حِمْصَ، وكان من فرسان بني أميّة، وكان يُشْبِهُ عمَّهُ مَسْلَمَةَ في الشّجاعة والبَصَرِ في الحرب وقيادةِ الجيوش، وكان يُقال له (فارسُ بَنِي مروان)، وقد غزا العبّاسُ بلادَ الرّوم في عهد أبيه وعَهْدِ مَن أتى بعدَهُ منَ الخلفاء، وفتَحَ مَعاقلَ وحُصونًا كثيرةً في بلاد الرُّوم، وشارك في حِصارِ القُسطنطينيّةِ معَ عمِّه مَسْلَمَةَ في خلافة سُلَيْمانَ بنِ عبدِ الملك؛ وكان في مقدّمةِ جيشِ عمِّه مَسْلَمةَ في معركة العَقْر.

وكان شاعرًا، ومن شِعْره ما قاله في زوجته أمّ سعيد لَمّا طلَّقها فندِم:

أَسَعْدَةُ هلْ إلَيْكِ لَنا سَبيلٌ؟ ... وهَلْ حتّى القِيامَةِ مِنْ تَلاقِ؟
بَلى ولَعَلَّ ذلكِ أنْ يُؤَاتِي ... بِمَوْتٍ مِنْ حَليلِكِ أَوْ فِراقِ
فأَرْجِعَ شامِتًا وتَقَرَّ عَيْنِي ... ويُشْعَبَ صَدْعُنا بَعْدَ افْتِراقِ

وقولُه لِعَمّه مَسْلَمَةَ وكانت بينهما جَفْوَةٌ:

أَلا تَقْنَى الحَياءَ أبا سَعيدٍ ... وتُقْصِرُ عَن مُلاحاتِي وعَذْلِي؟
فَلَوْلا أنَّ أَصْلَكَ حِينَ تُنْمَى ... وَفَرْعَكَ مُنْتَمَى فَرْعِي وَأَصْلِي
وَأَنِّي إنْ رَمَيْتُكَ هِضْتُ عَظمِي ... وَنالَتْنِي إذا نالَتْكَ نَبْلِي
لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي إنْكارَ خَوْفٍ ... يَضُمُّ حَشاكَ عَن شَمِّي وَأَكْلِي
كَقَوْلِ المَرْءِ عَمْرٍو في القَوافِي ... لِقَيْسٍ حِينَ خالَفَ كُلَّ عَدْلِ:
(عَذِيرِي مِنْ خَلِيلِي مِنْ مُرادٍ ... أُرِيدُ حَياتَهُ ويُرِيدُ قَتْلِي!)

يريد: عمرو بنَ مَعْدِ يكَرِب الزَّبيدي، وابن أُختِه قَيْسَ بنَ مكشوحٍ المُراديّ.

وتُوَفِّــيَ عــام (١٢٩ أو ١٣٠هــ) في سجن مروانَ بنِ محمّــد في حَرَّانَ بعدما أصابَهُ وبــاءٌ في السِّجن، ومات معهُ إبراهيمُ الإمامُ بنُ محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المُطّلب وعبدُ الله بنُ عُمرَ بن عبد العزيز.

هــذا؛ وقــد أحبَبْتُ أن أجعلَ نَقْشَ صاحِبِ حماةَ المَلِكِ المُؤَيَّد الأَيُّوبيّ أبي الفِداءِ عمادِ الدِّين (إسماعيل بن عليّ بــن محمــود بن عُمَرَ بنِ شاهنشاه بن أيّــوب بنِ شاذي) آخِرَ هذه النّقوش المُنتَقاة، غـيرَ أنّ المقامَ يَضيقُ عن ذلك؛ فإنْ تيسّر لي كتابةُ غيرِ هذا المقال كان له فيه نصيبٌ إن شاء الله.

وبَعْدُ: إنّ لِتُراث الأُمّة من هذه النّقوشِ فوائدَ لا تَخفى على ذَوي العِلْم، من دراسة تاريخ الخطّ العربيّ وإملائه وجمالِه، وترجمةِ أعلامِ الصّحابة والملوك والأُمراء والعلماء وأبنائهم ومواليهم والعامّةِ الّذين لا ذِكْرَ لهم، والوقوفِ على خطوطِهم، وما كان يعتلجُ في نفوسِهم في أسفارِهم، ومَن كان يَصْحَبُهم فيها، والمواضعِ الّتي مرُّوا بها، وتاريخِ تلـك النّقوش، وغير ذلك؛ والنّقوشُ السّابقةُ المُنتَقـاةُ أمثلةٌ قليلة، والحديث عنها ذو شُجُونٍ، له أطرافٌ كالمَطارِفِ المُحَبَّرةِ لو تدبّرَها النّاظرُ لَوَجدَ فيها مِن العَجَبِ ما لا يَنقَضِي، أو كالسّحائبِ المُنهمِرة لو تعرّض لها المرءُ لَجَرى به السَّيْلُ إلى أَمَدٍ لا ينتهي.

مصدرَا النّقوش:

- موقع (فريق الصّحراء) على الشّابكة، وفيه المقالات المذكورة في البحث.
- مراسلات بيني وبين عيد ساعد الدّبور.

سائر المصادر والمراجع:

-أخبــار القُضــاة: وكيع، محمد بن خَلَف بــن حيّان (٣٠٦ هـ)، صحّحه: عبد العزيــز مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٦ هـ= ١٩٤٧ م.

-الإصابــة في تمييــز الصحابة: أحمد بن عليّ بــن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلانيّ (٨٥٢ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٥ هـ.

-الأغاني: أبو الفرَج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ (٣٥٦هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ (مصوَّرة عن نسخة دار الكتب المصريّة، ١٩٢٧م وما بعدها)، بيروت، بلا تاريخ.

-أمالي القاليّ: أبو عليّ إسماعيل بن القاسم القاليّ (٣٥٦ هـ)، اعتنى به: محمّد عبد الجواد الأصمعيّ، دار الكتب المصريّة، ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦م.

-أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البَلاذُريّ (٢٧٩ هـ)، تحقيق: د.سهيل زكار ورياض الزركليّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م.

–البدايــة والنّهايــة: أبو الفــداء إسماعيل بن عمر بن كَثير القرشيّ (٧٧٤ هـ)، تحقيــق: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، دار هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الرّياض، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

–تاريخ الإسلام: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السّلام تدمريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

–تاريــخ بغــداد: أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغــداديّ (٤٦٣ هـ)، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢ م.

–تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر...): أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد، ابن خلدون الحضرميّ الإشبيليّ (٨٠٨ هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطّبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

–تاريــخ دمشــق: أبو القاسم عليّ بــن الحسن بن هبة الله المعــروف بابن عساكر (٥٧١ هــ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرويّ، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.

–تاريــخ الطّــبريّ (تاريخ الرُّسُل والملوك): أبو جعفر محمّد بــن جَريرٍ الطّبريّ (٣١٠ هـ)، دار التّراث، بيروت، الطّبعة الثّانية، ١٣٨٧ هـ.

–التّاريــخ الكبير: أبــو عبد الله محمّد بن إسماعيلَ البُخاريّ (٢٥٦ هـ)، تحقيــق: هاشِم النَّدْويّ وآخَرين، دائرة المعارف العثمانيّة، الهند.

–الثّقــات: الحافــظ أبو حاتم محمد بن حبّان التميمي البستــي (٣٥٤ هـ)، طُبِع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.

–الجــزء المتمّــم لطبقات ابن سعد (الطّبقة الرّابعة مِن الصّحابة مِمَّن أسلم عند فتح مكّة وما بعد ذلك): أبو عبد الله محمّد بن سعد الهاشميّ ولاءً، المعروف بابن سعد (٢٣٠ هـ)، تحقيق ودراسة: د. عبد العزيز عبد الله السّلوميّ، مكتبة الصدّيق، الطّائف، ١٤١٦ هـ.

–جمهــرة أنســاب العرب: أبو محمّــد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلســيّ (٤٥٦هـ) تحقيق: عبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢هـ= ١٩٦٢م.

–سِــيَرَ أعــلام النّبــلاء: أبو عبد الله محمّــد بن أحمد بن عثمــان الذّهبــيّ (٧٤٨ هـ)، تحقيق: عدد مــن المحقّقين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

–سِيَر السّلَف الصّالحين: أبو القاسم إسماعيل بن محمّد بن الفضل بن عليّ القرشيّ التّيْميّ الأصبهانيّ (٥٣٥ هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، الرّياض.

–شرح ديوان الحماسة: أبو زكريّا يحيى بن عليّ بن محمّد الشّيبانيّ التّبريزيّ (٥٠٢ هـ)، تحقيق: غريد الشّيخ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢١ هـ= ٢٠٠٠ م.

-الطّبقـات الكـبرى: أبـو عبد الله محمّـد بن سعد الـهاشمـيّ وَلاءً، المعـروف بابن سعد (٢٣٠ هـ)، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.

-العقـد الفريـد: أبو عمر أحمد بن محمّد بـن عبد ربّه الأندلسيّ (٣٢٨ هـ)، تحقيـق: أحمد أمين وأحمد الزّين وإبراهيم الأبياريّ، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة.

-الكامل في التّاريخ: أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشّيبانيّ الـجَزَريّ، عزّ الدّين ابن الأَثير (٦٣٠ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السّلام تدمريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

-مجالس ثعلب: أبو العبّاس أحمد بن يحيى الشّيبانيّ، المعروف بثعلب (٢٩١ هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩م.

-مجمع الآداب في معجم الألقاب: أبو الفضل عبد الرّزّاق بن أحمد المعروف بابن الفوطيّ الشّيبانيّ (٧٢٣ هـ)، تحقيق: محمّد الكاظم، وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلاميّ، إيران، ١٤١٦ هـ.

-المُحـبَّر: أبـو جعفـر محمّد بـن حَبيب الـهاشمـيّ ولاءً (٢٤٥ هـ)، تحقيق: إيلـزة ليختن شتيـتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

-معجم الشّعراء: أبو عُبَيد الله محمّد بن عمران الـمَرْزُبانيّ (٣٨٤ هـ)، تحقيق: عبد السّتّار فرّاج، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٠م.

-نسـب قريـش: أبو عبد الله مصـعـب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بـن الزبير (٢٣٦ هـ)، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثّالثة.

-نهايـة الأرب في فنـون الأدب: أحمد بن عبد الوهّـاب القرشيّ التَّيميّ البكريّ النُّويـريّ (٧٣٣ هـ)، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

-نُـور القَبَـس الـمُختَصَـر من القبَـس: تأليف أبي عُبَيْد الله محمّد بـن عمران الـمَرْزُبـانيّ (٣٨٤ هـ)، اختصـار: الحافـظ أبـي الـمَحاسِنِ يوسـف بن أحمد بن محمـود الأسديّ الدّمشقـيّ اليغموريّ (٦٧٣ هـ)، تحقيق: رودولف زلهايم، دار النّشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، ١٣٨٤ هـ= ١٩٦٤ م.

-الوافي بالوفَيَات: صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفَديّ (٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركيّ مصطفى، دار إحياء التّراث، بيروت، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.

-وفَيَات الأعيان: أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر، المعروف بابن خَلِّكان (٦٨١ هـ)، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت.

نظرات في تحقيق بعض الرسائل من كتاب (أضاميم من التراث)

د. عبد الناصر إسماعيل عسّاف *

من وجوه خدمة التراث العربيّ التصدّي لتحقيق المناسبِ والمفيد من مخطوطاته تحقيقاً جيّداً محكماً على الوجه الذي تقتضيه أصول التحقيق العلميّ، وطباعته ونشره. وممّا يساعد في ذلك ويؤازره: يسدّد ذلك ويضبطه ويصحّح مساره التعريفُ بما حُقِّق من تلك المخطوطات وطُبِع، ونقده، والتنبيه على ما شابه من أوهام وأخطاء، وتصحيحه، في المجلات والصُّحف والنشرات التي تُعنى بالتراث والمخطوطات والمطبوعات. وفي ذلك فوائد مؤكّدة لتحقيق المخطوط وللمحقّق وللقارئ.

وقد رأيت أن أسهم في هذا العدد الأوّل من مجلة (المخطوط العربيّ) بكلمة من هذا القبيل، أعرِّف فيها بكتاب (أضاميم من التراث: رسائل تراثية محقّقة)**، وأنبّه على بعض ما ندّ عن المحقّق فيه، ولا سيّما ما كان في الرسالة الثانية.

حقّق الدكتور وليد محمّد السراقبي– وهو أستاذ جامعي وباحث عُني بخدمة التراث العربيّ من غير وجه، وقد كان ممّا خدمه به تحقيقُ بعض مخطوطاته، وعرْضُ بعض ما حُقّق من ذلك ونقدُه والنظر فيه– بعضَ النصوص التراثية التي كانت من قبيل الرسائل أو أقرب إليها؛ إذ تناولت موضوعاً واحداً، وكانت دون الكتاب في الحجم؛ ونشرها في سنوات خلت (بين ١٩٨٩و٢٠١٢م) في بعض المجلات والدوريات العربيّة.

وقد رأى المحقّق أن يجمع هذه النصوص التراثيّة المحقّقة التي قرأها وعلّق عليها في كتاب، فكان كتاب (أضاميم من التراث: رسائل تراثية محقّقة قرأها وعلّق عليها د. وليد محمد السراقبي)، الذي عرّف به، وبيَّن غرضه ممّا اصطنعه فيه بقوله في مقدمة الكتاب

* عضو عامل في مَجْمَع اللُّغة العربيَّة، ومدرِّس النَّحْو والصَّرْف في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها في جامعة دمشق.

** صدر الكتاب في منشورات الهيئة العامّة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ـ دمشق، ٢٠١٦م. وقد رأيت الإحالة على ما في هذا الكتاب في المتن بالصفحة، أو بالصفحة والسطر؛ لئلّا تكثر الحواشي كثرة قد يكون وراءها لهذه الكلمة وللقارئ ما وراءها.



[ص ٥]: «وهذه (الأضاميم التراثية) التي سلكتها في عقد هذا الكتاب، جملة من الرسائل اللغوية والأدبية التي نشرتها في يوم من الأيام منجّمة في مجلّات الوطن العربي ودورياته، أحاول أن أنتشلها من وَهْدة النسيان، ومن غيابات التفرّق والاغتراب، وأُلُمَّ شملها بعد تشتّت، لتكون موضع ارتياد الدارسين، ينتجعون ما فيها من عطاء، ويقبسون ما فيها من قدح زناد الفكر اللغوي والأدبي عبر عصور متباعدة.».

و«الأضاميم» جمع «إضمامة». والأصل في الإضمامة كما يدلّ كلام بعض اللغويّين الحجارة تكون مختلفة، ثمّ شبّه بها العرب الجماعة من النّاس ليس أصلهم واحداً، ولكنّهم لفيفٌ اتّفقوا؛ كأنّ بعضَهم ضُمَّ إلى بعض؛ ثمّ كانت الإضمامة من الكتب؛ أيِ: الحزمة، وهو ما ضُمّ بعضُه إلى بعض.

قال ابن منظور[1]: «والإضمامة: جماعةٌ منَ الناس ليس أصلهم واحداً ولكنّهم لَفيفٌ، والجمع الأضاميمُ؛ وأنشد:

حَيٌّ أضاميمُ وأكْوارُ نَعَمْ

ويقال للفرس: سَبَّاقُ الأضاميمِ؛ أيِ: الجماعاتُ؛ قال ابن بَرِّيٍّ: ومنه قول ذي الرُّمّة:

والحُقْبُ تَرْفَضُّ منهنّ الأضاميمُ

وفي كتابه لوائل بن حُجْر: (ومن زنى من ثَيِّب فضَرِّجُوه بالأضاميم)؛ يريد الرَّجْمَ. والأضاميمُ: الحجارةُ، واحدتها إضْمامةٌ. قال: وقد يُشَبَّه بها الجماعاتُ المختلفةُ منَ النّاس. وفي حديث يحيى بن خالد: لنا أضاميمُ من هاهنا وهاهنا؛ أي: جماعاتٌ ليس أصلهم واحداً، كأنّ بعضَهم ضُمَّ إلى بعض. والإضْمامة منَ الكتب: ما ضُمَّ بعضُه إلى بعض. الجَوهريُّ: الإضْمامةُ منَ الكتب: الإضْبارة، والجمع الأضاميم. يقال: جاء فلان بإضمامة من كتب. وفي حديث أبي اليَسَرِ: (ضِمامةٌ من صُحُف)؛ أي: حُزمةٌ، وهي لُغَةٌ في الإضمامة.».

وتأمّل هذه الألفاظ يدلّ على اجتماع صفتين: التنوّع أو الاختلاف (الأفقي)، والاتّفاق (العمودي) في العمق والصميم. وهذا ما لحظه المحقّق في تلك النصوص التي ضمّها في هذا الكتاب، ونبّه عليه، فقال[ص ٥-٦]: «وهذه الرسائل لا تضمّ نوعاً معرفيّاً واحداً، ولا تستقلّ بفنٍّ دون فنّ، ولا تبحث في علم واحد، وهي كذلك لا تتفيّأ ظلال عصر واحد من العصور، وتخصّ علماً واحداً من أعلام الفكر اللغويّ والأدبيّ.

إنّها رسائل تعرض لموضوعات شتّى، ولكنّها كلّها في صميم العربيّة وعمقها، وتناقش كذلك قضايا متعدّدة هي في صلب فقه اللغة، والتأثيل اللغويّ. وتمثّل رسالة ابن السِّيْد هذا الاتجاه خيرَ تمثيل.

١- لسان العرب، ابن منظور، (ضمم).

ويعرض بعضُ هذه الرسائل لقضايا شتى في اللغة، والنحو، وعلم العروض، والأدب، ولذلك جاءت أشبه بأوراد ضمّتها طاقة واحدة، ومنها جاءت تسميتي بـ (أضاميم من التراث).».

وقد عرّف المحقّق بموضوع تلك الرسائل الثماني التي سلكها في عقد هذا الكتاب رسالة رسالة، أو بشيء من منهج المصنّف، تعريفاً موجزاً. ثمّ نبّه على مراعاة الجانب التاريخي في ترتيب هذه الرسائل، وملاحظة سني وفيَات المصنّفين في ذلك: الأقدم فالأحدث؛ وقال [ص ٩]: «وحرصت – إلى جانب ذلك – على الإبقاء على الرسائل وفق ما كنت قد نشرتها عليه، فلم أقم بزيادة أو تعديل، وذلك قصداً إلى جعلها مرحلة من مراحل مسيرتي العلمية في تحقيق النصوص.».

وأعلن المحقق بعدئذ [ص ٩] بدافع الوفاء، واستيلاء النقص على البشر، شكرَه الغامرَ واعترافه بالفضل لأهله، «لكلّ من قدّم لي عوناً في الحصول على المخطوطات، أو أبدى أيّ ملحوظة جلّت أو دقّت في سبيل الارتقاء بالعمل، أو رفَدني بتعليق صحّح خطأً، أو قوّم منآداً، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، وفوق كلّ ذي علم عليم.».

وإذا صحّ في التقدير أنّ المحقّق يدعو كلّ منِ استطاع من الباحثين والقرّاء أن يرفده بما يصحِّح خطأً صدر عنه في هذا الكتاب، أو يقوّم منآداً كان منه؛ فهذه الكلمة منّي من ذلك، فيها تنبيه وتصحيح ونُصح. وقد رأيت أن أسوق بعض ما بدا لي في المقدّمة، فما كان في بعض الرسائل، ولا سيّما ما بدا لي في الرسالة الثانية التي أفصّل القول فيما كان فيها تفصيلاً.

نظرات في المقدّمة:

ورد في المقدّمة التي قدّم بها المحقّق لكتابه ما يُعوِزه عند التحقيق والنظر الصحّة أو الدقّة. ومن ذلك:

١– أنّه نصّ على أنّ الرسائل التي حقّقها وجمعها في هذا الكتاب «تعرض لموضوعات شتّى، ولكنّها كلّها في صميم العربيّة وعمقها،... ويعرض بعضُ هذه الرسائل لقضايا شتى في اللغة، والنحو، وعلم العروض، والأدب،...».

وفي هذا ما يحتاج إلى تعقّب وتنبيه من وجوه:

أ. ليست كلّ رسائل الكتاب ممّا يصبّ في صميم العربيّة وعمقها؛ فرسالة ابن كمال باشا الأولى التي كانت (**في بيان أنّ أسماء الله تعالى توقيفيّة**) ليست من ذلك القبيل، بل هي «في مسألة عقديّة خاصّة بأسماء الله تعالى: أهي توقيفيّة أم لا »كما قال المحقّق نفسه في تلك المقدّمة [ص ٨].

ب. ليس في تلك الرسائل ما يعرض لقضايا في علم العروض. والرسالة التي كان يشير إليها المحقّق بهذا، وهي رسالة حسين بن سليم الدّجاني(ت ١٢٧٤هـ): (**القول المختار في شرح منظومة الأشعار**) = لها صلة بضرورة الشعر، وهي من موضوعات علم النحو والصرف، لا من صميم علم العروض. وليس تعلّق ذلك بما يكون في الشعر خاصّة من تجاوز لقواعد العربيّة وضوابطها مدعاة إلى تصنيفها في علم العروض. وكيف يكون ذلك، وليس فيها شيء منه؟!

جـ. التصريح بأنّ بعض رسائل الكتاب يعرض لقضايا في الأدب يفتقر إلى الدّقة؛ لأنّ حضور الأدب في هذه الرسائل لم يكن معلناً من خلال قضية أو أكثر من قضاياه، ولم يكن له حيّزه المستقلّ، بل بدت له تجلّيات عمليّة هنا وهناك، ولا سيّما في رسالة ابن هشام (ت ٨٦١هـ): (موقد الأذهان وموقظ الوسنان).

٢– قال المحقّق في المقدّمة حين عرّف بإيجاز برسالتي ابن كمال باشا اللتين حقّقهما رسالة (أنّ أسماء الله توقيفيّة) ورسالة (في نسبة الجمع)[ص ٨]:

«وهما رسالتان لطيفتان نادرتا ن لمؤلفهما ابن كمال باشا، لم أُسبَق إلى تحقيقهما،...».

وفي هذا نظر من وجهين:

أ. ليست هاتان الرسالتان نادرتين؛ لأنّ لهما غير نسخة مخطوطة. فمن نسخ الرسالة الأولى التي ذكرها بعض الباحثين[٢]:

- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٣٨٩) مجاميع - علم الكلام.

- نسخة مكتبة برتونيال بإستانبول رقم (٩٨٠ / ٨٩٣).

- ووقفت عن طريق الشابكة على نسخة أخرى محفوظة في معهد الثقافة والدراسات الشرقية بجامعة طوكيو - اليابان.

- وممّا ذكره بعض الباحثين من نسخ الرسالة الثانية[٣]:

- نسخة دار الكتب المصرية (٣٨٩) مجاميع.

- نسخة الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية رقم (٧) مجاميع تيمور.

- نسختا مكتبة الحرم المكي الشريف رقم(١٥٠) و(١٥١) مجاميع.

- نسخة الأوقاف العامة بالموصل (الأحمدية) مجموع رقم (٦٨ / ٢٤).

- نسخة الأوقاف العامّة بالموصل (الرضوانية) مجموع رقم (١٤ / ١٨).

- نسخة الأوقاف العامة بالموصل (يوسف ذنون) مجموع رقم (٢٠).

- نسخة مكتبة يكي جامع رقم (١١٨٠) بإستانبول.

ب. ما قاله المحقّق من أنّه لم يُسبَق إلى تحقيق هاتين الرسالتين فيه نظر؛ أمّا أنّه لم يُسبَق إلى تحقيق الرسالة الأولى من هاتين الرسالتين فذلك ما لا علم لي به؛ وأمّا أنّه أوّل من حقّق الرسالة الثانية، ولم يسبقه إليه أحد، فذلك ما لا يصحّ؛ لأنّ هذه الرسالة حقّقها قبل الدكتور السراقبي غيرُ واحد؛ فقد حقّقها الدكتور محمود فجّال، ونشرها في مجلة عالم الكتب السعودية (مج ١٢، ع٦، ١٤١٣هـ) معتمداً على تينك النسختين اللتين تحتفظ بهما مكتبة الحرم المكي الشريف؛ وحقّقها أيضاً الدكتور رافع إبراهيم محمد، ونشرها في مجلة آداب الرافدين (ع ٥٢، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، معتمداً كما ذكر على نسخة في مكتبة أوقاف الموصل، وهي في أصلها - كما نصّ الباحث - من مقتنيات مدرسة الحجيات، في مجموع رقمه (٤٠ / ٢٢)، ورد في آخرها: «تمّت الرسالة الشريفة في نسبة الجمع المنسوبة إلى المولى ابن كمال باشا..».

٣- ذكر المحقّق في مقدّمة الكتاب كما ذكرتُ من قبل حرصَه على إبقاء الرسائل التي حقّقها على ما كانت عليه إذ نشرها أوّلاً، وأنّه لم يقم بزيادة أو تعديل في تحقيقها، يريد بذلك أن تكون تلك الرسائل على حالها الأولى ممثّلة لمرحلة من مراحل مسيرته العلميّة في تحقيق النصوص. فهل بقيت تلك النصوص على ما نصّ عليه تحقيقاً وتعليقاً؟.

قُيّض لي أن أعارض بعض النصوص المحقَّقة الواردة في الكتاب بصورتها الأولى التي كانت عليها في المجلات التي نُشِرت فيها قبل أن تُضَمّ في هذه الأضاميم؛ فبدا لي أنّ ما ذكره المحقّق لم يبلغ الغاية في الدقّة. ويكفيني هنا الاستدلال بما كان في رسالة ابن هشام (مُوقِد الأذهان ومُوقِظ الوسنان) الواردة في هذه الأضاميم، التي لم تكن مطابقة لما كانت عليه

٢ ابن كمال باشا حياته ومؤلفاته، د. محمود فجال، مجلة عالم الكتب. الرياض، مج ١، ع ٣، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص٣٤٤.

٣ أسرار النحو، ابن كمال باشا، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر. ط٢، ص١٧. ١٨. وابن كمال باشا حياته ومؤلفاته، ص٣٤٧.

حين نشرها الدكتور السراقبي أوّل مرّة في مجلة عالم الكتب. الرياض (مج ١٣، ع٣، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)؛ فقد أصابها ما أصابها من زيادة وتعديل في المتن والحواشي. ولو وازنت ما كانت عليه الرسالة في تلك المجلة وما صارت إليه في هذا الكتاب لرأيت من ذلك:

– زيادة المقطع التالي في المتن [ص ٩٠ سطر١ ـ ٣]: «ولمّا جاور الأبُ (مَنْ) الاستفهامية اكتسى منها المصدريّة، بل أبلغ من هذا أنّ زيداً لمّا كان نفس الأب المضاف لما له الصدر أجازوا رفعه.».

– زيادة العناوين الفرعية التالية في مواضعها من المتن [ص ٩١، ٩٧، ١٠١، على التوالي]: «في الألغاز اللفظية»، «في الإشارات الخفيّة»، «في التصحيفات اللوذعيّة».

– زيادة البيت التالي في المتن [ص٨٩]:

فكونوا أنتم وبني أبيكم

مكان الكليتين من الطحال

– زيادة الكلمات التالية في المتن: «لك» [ص٨٩ سطر١٢]، «وبالله التوفيق» [ص٩١ سطر٣].

– تغيير الكلمات التالية في المتن: «يراد ← يريد» [ص٨٥ سطر٢]، «واعلم أنّ ← واعلم بأنّ» [ص٨٦ سطر١]، «المكثر ← المتكثّر» [ص٨٨ سطر٤]، «جا ←جاء» [ص٩١ سطر٦] «بنياك نم← بنيا كنم» [ص١٠١سطر٤].

– تغيير بعض الكلمات في أبيات الجزّار [ص٩٠] على النحو التالي:

البيت الأوّل ـ العجز:

...وإن كان متقناً في البناء←...وإن كان مثله في البناء.

البيت الثاني:

علم مفرد، ومذ وضعوه رفعوه عمداً لأجل البناء↓

علم مفرد، وقد رفعوه كلُّم عامدٌ لأجل البناء

البيت الثالث:

أنّثوه ومنه قد سُمِع التذكيـ ـر فانظر تناقض الأشياء↓

ومنه قد سُمِع التذكيـ ـر فانظر تناقض الأشياء

البيت الرابع ـ الصدر:

وهو ظرف لا فاتني منه ظرف← وهو ظرف فأين من فيه ظرف

– تغيير مواضع الأرقام الدالّة على بداية صفحة من المخطوط ونهاية أخرى أحياناً في المتن [ص٩٤ سطر١٤، ص٩٩ سطر٨، ص١٠٢ سطر١١].

– زيادة الحواشي التالية التي لم تكن في الحالة الأولى من التحقيق: ح١ / ص٨٣، ح٤ / ص٨٦، ح١ / ص٨٩، ح٤ / ص٩٠، ح٦ / ص٩٣، ح٣ / ص٩٤ـ ٩٥.

– إحداث تعديل في الحواشي التالية بزيادة أو حذف، أو بهما معاً، أو بتغيير، أو بغير ذلك: ح١و٢و٣ / ص٨٥، ح٦ / ص٨٦، ح٥ / ص٨٧، ح٣و٤و٦ / ص٨٨، ح٢ / ص٩٢، ح٣ / ص٩٣، ح٢ / ص٩٤، ح٥ / ص٩٦، ح١ / ص٩٧، ح٢و٣ / ٩٨، ح١ / ص٩٩، ح٣ / ص١٠٠، ح٣ / ١٠٢، ح٤ / ١٠٣.

ومن وجوه التعديل الظاهرة ما تراه في تخريج الآيات الواردة في الرسالة؛ فقد كان ذلك في حواشي الرسالة إذ نُشِرت في المجلّة، حتى إذا جعلها المحقّق في هذه الأضاميم لجأ إلى تخريجها في المتن بين [ ]، إلّا ما شذّ عن ذلك سهواً وغفلة [ح٤ / ص٨٧، ح١ / ص ٩٨]، على أنّه قد جرّ ذلك إلى أن يكون للآية في أوّل هذين الموضعين تخريجان أحدهما في المتن والآخر في الحاشية!.

ولو شئت لسقت لك شيئاً من ذلك قليلاً أو كثيراً كان في الرسالة الثالثة والرابعة والسادسة والسابعة والثامنة. على أنّي أرى أنّ غياب مقطع من رسالة ابن كمال باشا (في أنّ أسماء الله توقيفية) التي نشرها المحقّق أوّلاً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وهو

مقطع ضمّ ثلاثة أبيات باللغة الفارسية، وما بين يديها ممّا تعلّق بها[٤] = كان نتيجة خطأ فنّيٍّ؛ ولذلك عاد برمّته إلى موضعه من هذه الرسالة [ص٢١٨ - ٢١٩] حين جعلها المحقّق في هذه الأضاميم.

وكذلك كان خلوّ هذه الرسالة هنا في هذه الأضاميم من الحواشي والتعليقات من هذا القبيل في تقديري؛ أي: ثمرة خطأ فنّيٍّ؛ فقد خلت من سبع عشرة حاشية كانت في حواشي الرسالة إذ نُشِرت في مجلّة المجمع، عُني المحقّق فيها بتعريف بعض المصطلحات، وشرح بعض الألفاظ، والتعريف ببعض الأعلام والجماعات، أو بعض الكتب، وتخريج بعض الأحاديث.

ولعلّ ما يؤكّد ذلك قول المحقّق حين بيّن عمله في تحقيق رسالتي ابن كمال باشا [ص٢١٤]: «وقد بذلت قصارى جهدي في تحرير الأقوال وتأصيل المصطلحات، ونسبة الآراء إلى أصحابها، وتخريجها من مظانّها ما أمكنني ذلك، وترجمت للأعلام الواردة فيها، وعرّفت بمؤلفاتهم مطبوعها ومخطوطها، وعلّقت على مواضع من الرسالتين بما يجلو غامضها ويوضّح مبهمها،...».

بين يدي (مسألة عن اسم الله عزّ وجلّ):

كان النصّ الأوّل من النصوص المحقَّقة التي جمعها الدكتور السراقبي في هذا الكتاب، وساقها مرتّبة ترتيباً تاريخيّاً؛ لابن السِّيْد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، وهو المسألة الأولى من مسائل كتابه (المسائل والأجوبة). وقد عُنونت هذه المسألة في مخطوطتي الكتاب اللتين اعتمد عليهما المحقّق بـ (مسألة عن اسم الله عزّ وجلّ). ومن ثمّ كان من الواجب التنبيهُ على أنّ وصف المحقّق لهذا النصّ في غير موضع من الكتاب بالرسالة نصّاً أو اقتضاءً هو من قبيل التسمّح في العبارة؛ لأنّ النصّ مسألة منتزعة من كتاب بعينه، وهو قطعة منه. فهو إذن ليس برسالة على الحقيقة، ولذلك لم يُصنَّف كذلك في مصنّفات ابن السِّيْد.

ثمّ كان من المناسب أن يكون العنوان منتزعاً ممّا ورد في المخطوطتين؛ أي: (**مسألة عن اسم الله عزّ وجلّ**)، لا كما عنونها المحقّق (**رسالة في لفظ الجلالة (الله)**).

و قد لحظ المحقّق ذلك بأخرة، فعزف عمّا بدر عنه في هذين الجانبين؛ ذلك أنّي وقفت في أثناء إعداد هذه الكلمة على مجلة (الخزانة) التي تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة في كربلاء، فصادفتُ المحقّقَ ينشر هذه المسألة محقّقة مرّة أخرى بعنوان (**مسألة عن اسم الله عزّ وجلّ**)[٥] منقّحة مصحّحة خلواً من بعض ما شابها في نشرتها الأولى.

ومن فوات المحقّق في التقديم لهذه المسألة في هذا الكتاب هذان الأمران:

١– ذكر المجلة التي نُشَرت فيها هذه المسألة، وما تعلّق بها من معلومات توثيقيّة. وتركُ ذلك مخالفة للغالب على أمره في هذا الكتاب؛ إذ كان يورد النص من هذه النصوص المحقّقة في هذا الكتاب، ويذكر المجلّة التي نُشِر فيها، وما يتعلّق بها من معلومات توثيقية، لكنّه ترك ذلك حيث ذكر هذه المسألة، ولم يذكر منه شيئاً. ومن المستحسن، وربّما كان ذلك من الواجب، اطّرادُ المنهج ومراعاة إجراءاته فيما كان من الأشباه والنظائر.

٤–رسالتان نادرتان لابن كمال باشا: رسالة في أنّ أسماء الله توقيفيّة، ورسالة في نسبة الجمع، د. وليد السراقبي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م ٨٧، ج١، ص ١٤٠.

٥–مجلة (الخزانة). كربلاء، ع١، رمضان ١٤٣٨هـ. ٢٠١٧م، ص١٩٧ وما بعدها.

ومثل ذلك ما كان حيث أورد رسالة (كحل العيون النجل في حلّ مسألة الكحل) لرضي الدين التاذفي (ت٩٧١هـ =١٥٦٣م) [ص١٠٥]؛ فقد أهمل ذلك .

والذي أعرفه ممّا وقفت عليه أنّ هذه الرسالة المحقّقة (كحل العيون النجل) نُشِرت في مجلة عالم المخطوطات والنوادر. الرياض [م٣، ع٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩م].

٢- التنبيه على أنّ الدكتور إبراهيم السامرائي (ت ٢٠٠١م) حقّق مقدمة الكتاب (**المسائل والأجوبة**)، وقسمين من هذه المسألة، هما: القول في اشتقاق اسم الله تعالى، وذكر الخلاف فيه، وذكر الخواصّ التي خصّ بها اسم الله تعالى ممّا ليس موجوداً في سائر أسمائه ولا غيرها. وقد اعتمد في ذلك كما نصّ على مخطوطة من مخطوطات العلّامة الجليل السيّد حسن حسني الصمادحي (ت١٩٦٨م) من علماء تونس الأعلام، وهي كما وصفها بخطّ تونسيّ جيّد، حديثة الخطّ، تاريخ نسخها ١٢٩٩هـ، وهي بخطّ محمد الطيّب إبراهيم الرياحي التونسي.

وقد جمع الدكتور السامرائي إلى المقدمة، والقسمين اللذين حقّقهما من هذه المسألة، مسائل أخرى اختارها من ذلك الكتاب (**المسائل والأجوبة**) وحقّقها؛ وذكرها جميعاً في غير كتاب من كتبه[٦].

وإنّ من تمام صنيع المحقّق أن يجتهد في الاطّلاع على جهود الآخرين في تحقيق ما نهض لتحقيقه إثباتاً أو نفياً، وأن يبيّن ذلك بين يدي تحقيقه، فإذا كان ثمّة من نهض لذلك قبله بيّن المسوّغات التي تدعوه إلى إعادة تحقيق تلك المخطوطة. وذلك بعض ما يمنح التحقيق قيمته ومكانته، ويلقي في نفس القارئ التقدير والقبول.

وعلى أنّ المحقّق قد استدرك ذلك فيما قدّم به بين يدي النشرة الأخيرة لهذه المسألة في مجلة (**الخزانة**)، حين ردّ على من[٧] «وهم فظنّ أنّ هذه المسألة هي الرسالة التي قد حقّقها المرحوم الدكتور إبراهيم السامرائي ونشرها ومجموعة من النصوص المتعدّدة الموضوعات في كتابه (**نصوص في اللغة والتاريخ والأدب**)».

قال: «وليس هذا صحيحاً، فنشرته لا تساوي عُشْرَ الفقرات التي نحقّقها وننشرها الآن. ثمّ إنّ النسخة الخطّيّة التي اعتمد عليها نسخة حديثة جدّاً، ويبدو لي أنّها تلخيص لبعض فقرات النسخة الأصلية، فهو لم يقف على نسختينا اللتين حقّقنا عنهما هذه المسألة، ولم يعرفهما، ولو ظنّاً، ولم أعرض لما وقع فيه رحمه الله من وهم في قراءة بعض المواضع، فهذا ليس وقته ولا مكانه، وهو ليس من وكدي أيضاً.».

وهذا الكلام يرتقي بتحقيق الدكتور السراقبي لهذه المسألة في سلّم التقويم والاستحسان درجات، إذ يدلّنا على أنّ هذه المسألة بهذا التحقيق كاملة غير منقوصة، ويوحي إلينا بأنّ المحقّق اجتنب ما بدا له من أوهام في صنيع الدكتور السامرّائيّ.

ثمّ إنّ هذا التحقيق قد يرتقي درجة فوق درجة إذا كان محكماً خلواً من أخطاء التحقيق والتعليق. وهو ما يحتاج اختباره إلى وقفة مستقلّة، ومقالة أخرى ليس ها هنا موضعها.

على أنّ في كلام الدكتور السراقبيّ الذي تعقّب

٦- انظر كتبه: رسائل في اللغة، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة الإرشاد. بغداد، ١٩٦٤،ص ١١٣ ـ ١٥٨؛ ورسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ، مكتبة المنار. الزرقاء. الأردن، ط١، ١٩٨٨، ص ٢٠٣ ـ ٢٥٥، ونصوص ودراسات عربية وأفريقية في اللغة والتاريخ والأدب، بغداد. وزارة الإعلام، ص ١٤٢ ـ ١٨٩.

٧- مسألة عن اسم الله عزّ وجلّ، لابن السيد البطليوسي، حقّقها وعلّق عليها د. وليد محمد السراقبي، مجلة (الخزانة). كربلاء، ع١، رمضان ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

بـه تحقيـق الدكتـور السامرّائـي مـا يفتقـر إلى الدقّة مـن وجهـين: الأوّل أنّ النسخـة التـي اعتمـد عليهـا السامرائـي كما يدلّ النصّ المتعلّـقُ بهذه المسألة الذي حقّقـه = ليست تلخيصاً للنسخة الأصلية، بل الأمر في ذلـك لا يعدو حدّ الاختيار. وقد صرّح د. السامرّائي في مقدمـة التحقيق أنّ أمره مبني على نشر مختارات من مخطوطة كتاب (**المسائل والأجوبة**)[8]. ومن هنا كان القسمان اللذان نشرهما السامرّائي من المسألة تامّين موافقـين لـما ورد في النسختـين اللتـين اعتمـد عليهما السراقبي في تحقيقها. ولك أن تدرك ذلك إذا ما وازنت هذيـن القسمين الواردين في أحد كتب السامرائي التي أحلـت عليها بنصّ هذه المسألـة التي حقّقها السراقبي في كتابـه (**أضاميم من التراث**)[9]. فهل كانت المسألة تامّـة في المخطوطـة التـي اعتمـد عليهـا السامرّائـي، واختـار منها ذينـك القسمين دون سائـر الأقسام، أم كان الاختيـار من صنيعة ناسخ هذه المخطوطة، اختار من المسألة هذين القسمين، واكتفى بهما؟. هذا ما يبتّ القولَ فيه النظرُ في تلك المخطوطة.

الوجـه الثـاني أنّ الدكتـور السامرائـيّ كان علـى علـم بإحدى النسختـين اللتين اعتمد عليهمـا الدكتور السراقبـي، وهي نسخـة الإسكوريال. قـال في مقدمة التحقيـق[10]: «ولهـذه المخطوطـة نسختـان أخريان: الأولى نسخـة الإسكوريـال، ورقمهـا ١٥١٨. والثانية نسخة القرويين في فاس كمـا أفاد بروكلمان.... ولـمّا كانـت نسختـي التونسيّة جيـدة واضحة، فلـم أرَ بي حاجة كبيرة للتوفر على إحدى النسختين الأخريين.».

ومـن ثمّ لم تـؤتَ كلمة الدكتـور السراقبي في جنب السامرائي :«فهـو لم يقف على نسختينا اللتين حقّقنا عنهمـا هذه المسألـة، ولم يعرفهمـا، ولو ظنّـاً.» الحظّ الأوفى من الدقّة.

رسالة (مُوقِد الأذهان وموقِظ الوسنان):

كان النصّ المحقّق الثاني في هـذه الأضاميم رسالة ابن هشام (**مُوقِد الأذهـان ومُوقِظ الوسنان**)، التي حقّقهـا الدكتـور السراقبـي، ونشرها سنـة ١٤١٣هـ =١٩٩٣م في مجلـة عالم الكتـب. الرياض [م١٤، ع ٣، ص ٢٧٧ ـ ٢٨٥]. وهذه الرسالـة في الألغاز، ولا سيّما النحويّـة. وقد عرّف المحقّق بين يـدي الرسالة باللغز، ثـمّ بابن هشـام، ثمّ بمخطوطة الرسالـة وموضوعها. وقـد قال في كلامه على المخطوطة [ص٨٠]: «ورسالتنا هـذه أثر من آثار ابن هشـام التي لم تمتدّ إليها – فيما نعلم – يد بالتحقيق والنشر.».

وليـس لنـا أن نثرّب علـى المحقّـق فيما ذهـب إليه مـن نفي تحقيق هـذه الرسالة ونشرها قبلـه، فهذا ما كان يعلمــه مـن ذلك؛ لكن مـن الواجب أن نبـيّن له أنّ البحـث يدلّنـا على أنّ هذه الرسالة قـد حُقِّقت ونُشِرت غـير مرّة قبـل أن تمتـد إليها يـد الدكتـور السراقبي بالتحقيق والنشـر. وقد ذُكِر خبرُ بعض تلك النشرات في بعـض مـا أحال عليـه هو نفسه من مصـادر ترجمة ابـن هشـام [حاشية١ صـ٧٩]؛ ذلـك أنّ الدكتور علي نيـل فـودة ذكـر في كتابـه (**ابـن هشـام الأنصاري: آثـاره ومذهبـه النحوي**)، وهـو من المصـادر التي أحـال عليها السراقبي في مصـادر تلك الترجمة، حين تكلّم على رسالة (**موقـد الأذهان وموقظ الوسنان**) مخطوطـات هـذه الرسالـة ومطبوعاتها التـي ذكرتـها المصـادر أو وقـف عليهـا، ومنهـا طبعـة بـولاق سنة ١٢٥٣هــ =١٨٣٧م، وطبعـة القاهـرة سنـة ١٢٧٩هـ،

٨– رسائل في اللغة، د. إبراهيم السامرائي، ص ١١٢.

٩– انظـر ذلك مثلاً في كتاب السامرائي: رسائل في اللغة، ص١١٤ ـ ١١٩، ووازن بما في كتاب السراقبي: أضاميم من التراث، ص ٢٩ـ ٣٩، وص٥٩ ـ ٦٢.

١٠– رسائل في اللغة، د. إبراهيم السامرائي، ص١١٢.

وطبعة مطبعة الحرمين سنة ١٣٢٢هـ؛ وهي ـ كما قال ـ طبعات نادرة لم يستطع الحصول على أيّ منها.

ثمّ قال[١١]: «وقد قمت بتحقيق هذه الرسالة ونشرها في مجلة كلية الآداب – جامعة الرياض – المجلد السابع ـ ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م»؛ أي: إنّه حقّق هذه الرسالة قبل الدكتور السراقبي بثلاثة عشر عاماً.

وكان ممّن حقّق هذه الرسالة أيضاً الأستاذ حسن إسماعيل مروة (ت٢٠٢٠م) سنة ١٤٠٩هـ ضمن (**من رسائل ابن هشام**)[١٢]، والدكتور نسيب نشاوي (ت١٩٨٧م) ضمن (**مقالات هامّة لابن هشام**)[١٣].

ومن المفيد أن يعلم المحقّق أنّ هذه الرسالة أُلّفت في زمن مبكّر من حياة ابن هشام؛ فقد وقفت عن طريق الشابكة على نسخة خطّيّة منها تحتفظ بها مكتبة جامعة الملك سعود ـ الرياض، تاريخ نسخها ١٠٧٠هـ، أوراقها ٥، قياسها ٢٢ × ١٥,٥ سم، رقمها ٥٠٦، وقع في آخرها: «تمّ ولله الحمد ونجز جمعه في التاسع والعشرين من جمادى الأولى عام **سبع** [كذا] وثلاثين وسبعمائة».

ثمّ وجدت الدكتور علي نيل فودة بعد أن راجعت كتابه يلحظ ذلك وينبّه عليه. قال[١٤]: «فهذه العبارة تدلّ على أنّه قد تمّ تأليف رسالة (**موقد الأذهان وموقظ الوسنان**)، وابن هشام لم يبلغ الثلاثين من عمره؛ والرسالة ليست فيها أبحاث أصيلة ممّا نعهده في مؤلفات ابن هشام التي صنّفها في الفترة الأخيرة من حياته، وإنّما هي مجرد جمع لطائفة من الطرائف الأدبية والنحوية كما تدلّ على ذلك عبارته السابقة، وما جاء أيضاً في مقدمتها... وما ذكرناه من نصوص.».

ومن المهمّ معرفة أنّ من نسخ هذه الرسالة المخطوطة – وقد ذكر الدكتور علي فودة كثيراً منها[١٥]– نسخاً كانت فيها زيادة لم تكن في نسخة الظاهرية التي اعتمد عليها الدكتور السراقبي في تحقيقه، وقعت في الفصل الثاني منها؛ إذ ورد فيها اثنان وعشرون مثالاً من الأبيات الملغّزة، بخلاف نسخة الظاهرية وما كان مثلها التي اقتصرت على اثني عشر مثالاً من تلك الأبيات. وقد وقع بين يدي عن طريق الشابكة أربع نسخ من هذا القبيل الذي كانت فيه زيادة:

١– نسخة تحتفظ بها مكتبة جامعة الملك سعود، رقمها ١٣٢٠، أوراقها ٧، قياسها ٢٤×١٧سم، نسخها عائض بن عبدالله الحنبلي سنة١٢٧٨هـ.

٢– نسخة تحتفظ بها مكتبة جامعة الملك سعود، رقمها ٦٢٧٠، أوراقها ٧، قياسها ١٦×٢٢سم، عنوانها خلافاً لما نصّ عليه ابن هشام في المقدّمة (**ألغاز النحو لجمال الدين ابن هشام**)، وقد نسخها محمد ابن الحاج عبد القادر الزنجي، سنة ١٣٥٩هـ، في مدرسة المقدّمية[١٦] بحلب.

١١–ابن هشام الأنصاري: آثاره ومذهبه النحوي، د. علي فودة نيل، ص٣٢١.

١٢–ذكر ذلك الدكتور جابر سريع السريع في دراسته: آثار ابن هشام: تصنيف واستدراك، وتحقيق نسبة، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية ـ مكة المكرمة، ع ٢٣، ٢٠٢٠م، ص٥٩؛ ولم يتيسّر لي الوقوف على هذا التحقيق.

١٣–نصّ على ذلك الدكتور أيمن الشوّا في كتابه: الإمام ابن هشام الأنصاري ومنهجه في التأليف النحوي، ص١٢٨.

١٤–ابن هشام الأنصاري: آثاره ومذهبه النحوي، د. علي نيل فودة، ص٣٢١. وانظر: آثار ابن هشام: تصنيف واستدراك، وتحقيق نسبة، د. جابر سريع السريع، ص٥٩.

١٥ انظر: ابن هشام الأنصاري: آثاره ومذهبه النحوي، د. علي نيل فودة، ص٣٢١.

١٦ قال سبط ابن العجمي (ت٨٨٤هـ) في كتابه كنوز الذهب في تاريخ حلب، ١/ ٣٥٣: «هذه المدرسة بدرب كان يُسمَّى قديماً بدرب الحطّابين. والآن يُسمَّى بدرب ابن سلار. أنشأها عز الدين عبد الملك المقدّم. وكانت إحدى الكنائس الأربع التي صيرها القاضي أبو الحسن بن الخشّاب مساجد في سنة ثمان عشرة وخمسمئة. وأضاف إليها داراً كانت إلى جانبها...». .

وهذه المدرسة كما ذكر الأستاذ خير الدين الأسدي (ت١٩٧١م) في الجلوم: من أحياء حلب القديمة. قال: «وهي أقدم مدارس حلب الشهباء، وثاني مدرسة شُيّدت في سورية بعد مدرسة جامع المبرك (مبرك الناقة) في بصرى الشام سنة ٥٣٠هـ». أحياء حلب وأسواقها، خير الدين الأسدي،

٣– نسخة تحتفظ بها مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية في جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، وهي ضمن مجموع، أوراقها ٦ (٣٠٠ـ٣٠٦). وقد سقط منها الورقة الخامسة التي تحتوي على قطعة من الفصل الرابع من الرسالة.

٤– نسخة من مجاميع التيمورية، أوراقها ١٣، اختار الناسخ فيها من الرسالة الفصولَ الثلاثة الأولى دون الفصل الرابع. وقد ورد فيها بعد الحمد والصلاة على النبيّ وآله وصحبه: «وبعد فهذا تذييل لطيف بذكر مسائل حسان• من رسالة موقد الأذهان• وموقظ الوسنان• للمؤلف ابن هشام• أسكنه الله مع البررة الكرام• فهو مرتّب على ثلاثة فصول: الأول:...».

وآخرها: «تمّ وكمل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد كاتبه محمد أحمد ووافق تمامه يوم الثلاثاء لأحد عشر يوماً خلت من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٧٠من الهجرة النبوية وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم».

ووقوع هذه الزيادة في موقعها من الفصل الثاني على وجه محكم لم يورث النصّ خللاً أو اضطراباً دالٌّ على أنّ هذه الزيادة كانت من صنع المصنّف، لا من عبث الآخرين. وكأنّي بابن هشام أبرز رسالته هذه سنة ٧٣٧هـ الإبرازة الأولى (النسخة الأولى) مقتصراً في أمثلة الفصل الأول من الأحاجي اللفظية الشعرية على اثني عشر مثالاً، ثمّ أخرجها مزيدة في نسخة ثانية زاد فيها عشرة أمثلة بعد الفراغ من الكلام على البيت الملغز الثاني العاشر؛ وغيّر لذلك العدد المحدّد الدالّ عليها في صدر الفصل: كان «اثني عشر مثالاً»، فأصبح »اثنين وعشرين مثالاً».

ص ١٦٤، ١٦٩. ١٧١.

والظاهر أنّ الدكتور علي فودة قد حقّق هذه الرسالة معتمداً على نسخة خطية كانت فيها الزيادة. ولذلك يمكن القول: إنّ تحقيق الدكتور علي فودة لهذه الرسالة يمتاز من تحقيق الدكتور السراقبي من حيث السبق وهذه الزيادة. لكن هل يتميّز أحد هذين التحقيقين من الآخر في قراءة النص وإقامته، وضبطه، وتفقيره، وتخريج مادّته، والتعليق عليه؟.

هذا ما لا أستطيع البتّ فيه؛ لأنّ هذه الرسالة بتحقيق الدكتور فودة ليست بين يديّ، ولم أقف عليها؛ لكنّي أترك للقارئ أن يرى رأيه في تحقيق الدكتور السراقبي الذي وقع في كتابه (**أضاميم من التراث**) في ضوء الملاحظات التالية التي هُديت إليها بقراءة النص المحقّق، ومعارضة مادّته بصورة الورقة الأولى من النسخة الخطّيّة التي اعتمد عليها المحقق، التي أرفقها بالنص؛ وبما اطّلعت عليه من نسخ مخطوطة للرسالة، وبعض المصادر، وأن يستفيد المحقّق ممّا فيها لخدمة النصّ المحقّق:

– نصّصَ المحقّق أوّل قول ابن هشام من الرسالة [ص٨٢ سطر٤] بعلامة التنصيص الأول («)، هكذا: قال الشيخ الإمام الأوحد حجّة العرب وترجمان الأدب جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام النحويّ، رحمه الله، ونفعنا به: « أما بعد حمد الله... .

وهذا شيء لا حاجة إليه. ثمّ إنّ المحقّق اقتصر على ذلك، ولم يأت بمتمّمة هذه العلامة (») في آخر كلام ابن هشام.

– ورد في ص٨٢ سطر٨: «قد جمعت في هذه الأوراق **النيّرة** شذرة...».

وكلمة «النيّرة» في هذه العبارة تحريف من الناسخ تابعه عليه المحقّق، والصحيح: اليسيرة. وهذا ما تؤكّده النسخ الخطّيّة الأخرى التي اطّلعت عليها.

– ورد في ص٨٢ سطر٩: «لاستخراج **الأخابي عِوَناً**، وعلى حلّ ما لم أذكره من ذلك ميزاناً،...».

هكذا ورد، والصحيح: لاستخراج الأحاجي عِواناً،... . وكلمة «الأخابي» بالخاء والباء تصحيف من الناسخ قلّده فيه المحقّق. وهذا ما يؤكّده أنّ الوارد في النسخ الأخرى «الأحاجي». ولا أعرف في العربية مجيء «الأخابي» بمعنى الأحاجي.

و«عوَناً» في النصّ سهو من المحقّق، أو خطأ طباعيّ، لا شكّ في ذلك؛ لأنّ المحقّق ذكر في الحاشية الثانية ثمّة ما يبيّن أن الكلمة في المتن هي «عِوَاناً» بالألف، إذ قال: «(٢) العِوان: العَون.». ويؤكّد ذلك فاصلة العبارة التالية: «ميزاناً».

– ورد في ص ٨٢ سطر١٢: « وأن **يرزقه** من النظر الكريم لحظاً،...».

كلمة «يرزقه» تحريف من المحقّق؛ لأنّ الثابت في النسخة المخطوطة كما تدلّ صورة الورقة الأولى منها هو «يرمقه». وهذا ما تؤكّده النسخ الخطية الأخرى. ورمَقَه يرمُقُه رمْقاً: أطال النظر إليه.

– ورد في ص ٨٣ سطر١و٢: «الأول: في **الأخابي** المعنويّة. الثاني: في **الأخابي** اللفظية.».

و«الأخابي» في الموضعين تصحيف من الناسخ، قلّده فيه المحقّق، والصحيح كما ذكرتُ من قبل «الأحاجي».

– ورد ص ٨٣ سطر٧: «اعلم أنّ **الفنّ** النحويّ...».

والصحيح هنا كما تدلّ معظم نسخ الرسالة الخطيّة وأقدمها، وكما يقتضي موضوعُ الرسالة «اللغز النحويّ»؛ ومن ثمّ لك أن تقول: إنّ كلمة «الفنّ» هنا تحريف من الناسخ رضي عنه المحقّق.

وفي ضوء ما أنبهت عليه في هذين الموضعين من التصحيف والتحريف يبدو لك أثر ذلك في كلام المحقق على موضوع الرسالة [ص٨١]؛ إذ ردّد الألفاظ نفسها «**الفنّ** النحويّ» و«**الأخابي** المعنوية» و«**الأخابي** اللفظية».

– ورد في ص ٨٥: «**الفصل الأول فيما يريد به تفسير المعنى**»

والصحيح «يُراد» بالبناء للمجهول، لا «يريد» بالبناء للمعلوم. والظاهر في ضوء ما ورد في نشرة هذا التحقيق الأولى في مجلة عالم الكتب أنّ ورود «يريد» هنا في الأضاميم هو من قبيل الخطأ الطباعيّ.

– ورد في ص ٨٥ سطر٥: «وتفسيره **(ياء)** النداء،...».

والصحيح الذي تؤيّده النسخ الخطّيّة (يا) النداء.

– ورد في ص ٨٥ سطر٩: ألم تسمعي أيْ – عبد – في رونق الضحى .....

والصحيح أن تكون علامة الاعتراض الأولى هنا قبل أداة النداء، لا بعدها كما ورد، هكذا:

ألم تسمعي – أي عبد – في رونق الضحى .....

– ورد في ص ٨٦ سطر١: «واعلم بأنّ تسمية (يا) و(أيْ) عاملين تجوّزٌ وارتكابٌ (١) لمذهب ضعيف، وإلّا فالحقّ أنّ العامل الفعل المقدّر.». وعلّق المحقّق ثمّة في الحاشية الأولى بقوله: «في المخطوط (تجوّزاً وارتكاباً)».

وهنا ترك المحقّق ما لا يُعدّ تركُه واجباً؛ إذ كان يمكن أن يبقي «تجوّزاً وارتكاباً» منصوبتين على حالهما التي كانتا عليها في المخطوطة، بحيث تكونان اسماً مؤخّراً للحرف المشبّه بالفعل «أنّ»، ويقدّرَ حرف جرّ محذوفاً قبل كلمة «تسمية»، أي: بأنّ في تسمية (يا) و(أيْ) عاملين تجوّزاً وارتكاباً....

وهذا ما تؤكّده النسخ التي اطّلعت عليها.

وإلى هذا ترك المحقّق ما يُعدّ من واجب المحقّق،

وهو تخريج المذهبين اللذين وردا في النصّ. والعامل في المنادى من مسائل الخلاف، وللعلماء فيه مذاهب، والمذهب الذي ضعّفه ابن هشام هنا وغيره من العلماء هو مذهب بعض النحويّين، ومنهم ابن جني، وأبو عليّ الفارسي في بعض رأيه، ويُرَدّ عمل الحرف في ذلك إلى أنّه ناب مناب الفعل، أو أنّه اسم فعل بمعنى أدعو، وما في معناه. والمذهب الذي اختاره ابن هشام ووصفه بالحقّ هو مذهب جمهور البصريّين. انظر في بيان المسألة وتفصيل القول فيها: التذييل والتكميل، لأبي حيان الأندلسي، ١٣ / ٢١٩-٢٢٢، وتعليقات المحقّق ثمّة وإحالاته.

– ورد في ص ٨٦ سطر٣: « وكقوله - أي: قول الحريري - : « وما منصوب أبداً على الظرف لا يخفضه سوى حرف». ساق المحقّق ذلك دون أن يذيّل ذلك بعلامة الترقيم المناسبة: (؟)؛ وعلّق على ذلك بحاشية قال فيها: «في المخطوط: (وما منصوب أبداً على الظرفيّة، لا يخفضه سوى حرف واحد؟) وما أثبتّه من المقامات ٢٠٦، وهو كذلك في الأشباه والنظائر ٢ / ٥٨٨.».

وقد لجأ المحقّق هنا إلى ما ليس بواجب في إقامة النصّ، وترَكَ الأولى؛ فقد كان المناسب أن يحفظ للنصّ حرمته هنا، وألّا يلجأ إلى تغييره دون موجب يدعو إلى ذلك؛ لأنّ عبارة النصّ صحيحة لفظاً ومعنًى، وتعبّر عن المقصود وتدلّ عليه. ويؤيّد ذلك عند النظر ثبوتُ العبارة بهذا اللفظ في غير نسخة خطّيّة اطّلعت عليها من الرسالة.

– ورد في ص ٨٧ سطر٣: «وقال سبحانه وتعالى(٤): ﴿**آيتك ألّا تكلّم الناس ثلاث ليالٍ سويّاً**﴾ [مريم / ١٠]،...». ثمّ خرّج الآية في الحاشية الرابعة قائلاً: «الآية ١٠ من سورة مريم».

وهذا فيه ما لا يخفى من السهو، وكان يكفيه تخريجُ الآية في المتن بين [ ]، على ما جرى عليه.

– ورد في ص ٨٧ سطر٦: « ﴿**سبع ليالٍ وثمانية أيّام**﴾ [الحاقّة / ٧]. ومن ذلك قول ابن عُنَين:

يا علماء القريض إنّي أعجزني للقريض كشف
فعبِّروني عن اسم طير النصف ظرف والنصف حرف

وجوابه: الطيرُ المسمّى بـ (الوراشين)».

وهنا لم يفَقِّرِ الكلام على وجهه؛ وتفقيره المناسب يقتضي أن يكون قوله: «ومن ذلك قول ابن عُنَيْن:» في بداية الصدر في صدر فقرة جديدة.

ثمّ إنّ المحقّق لم يسمّ البحر الذي بُني عليه هذان البيتان، وهو من مخلّع البسيط. ومن المناسب هنا التنبيه على أنّ المحقّق سمّى في تحقيقه لهذه الرسالة البحر العروضيّ الذي بُني عليه الشعر في سبعة مواضع، وغفَل عنه في عشرين موضعاً. والواجب طردُ ذلك؛ إمّا أن يعيّن البحر، وإمّا أن يتركه.

وإلى ذلك ترجم المحقّق الشاعر ابن عُنين في الحاشية الخامسة ثمّة، دون أن يذكر مصدره في تلك الترجمة، وهو كتاب الأعلام للزركلي، ٧ / ١٢٥-١٢٦.

زد على ذلك أنّ المحقّق خرّج البيتين من ديوان ابن عنين [ص١٥١]، ونبّه في الحاشية السادسة ثمّة على ما اختلفت فيه رواية الديوان، فقال: «وفيه: يا أدباء الزمان... فخبّروني....».

قال ذلك، ولم يستوف بيان الاختلاف، وفي رواية الديوان خلافان آخران يدلّ عليهما البيتان فيه:

يا أدباء القريض إنّي أعجزني للعويص كشف
فخبِّروني عن اسم جمع النصف ظرف والنصف حرف

– ورد في ص ٨٨ فيما كان من الأحاجي التي يُطلَب بيان معناها قول ابن حزم الظاهري:

تجنّب صديقاً مثل ما واحذر الذي
يكون كعمرو بين عرب وأعجم

فإن صديق السوء يزري وشاهدي

كما شرقت صدر القناة من الدم

ولم يلتفت المحقّق إلى تخريجهما، ولا سمّى بحرهما خلافاً لما كان عليه في بعض الأحيان. والبيتان في بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية،٣ / ٨٨٠، وإنباء الأمراء بأنباء الوزراء، لابن طولون، ص٨٩، ومغني اللبيب، لابن هشام، ٢ / ٦٦٧، وشرح أبيات المغني، للبغدادي، ٧ / ١٠٨، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٥ / ١٠٥. وهما من الطويل. والأوّل منهما في رواية ابن قيم: تراه كعمرو، والثاني برواية: صديق السوء يردي. وبهذه الرواية ورد البيت الثاني في إنباء الأمراء.

– كان ممّا ورد في الكلام على هذين البيتين ثمّة [ص٨٨]: «وجوابه بأنه يريد بالصديق الذي كعمرو المتكثّر بما ليس له، فإنّ عمراً قد أخذ الواو في الخطّ في الرّفع والجر وليست داخلة في هجائه، ومن ثمّ نسب الشاعر إلحاقها له إلى الظُّلم فقال:

أيّها المدّعي سليمى سفاهاً

لست منها ولا قلامة ظفر

إنّما أنت من سليمى كواو

أُلحقتْ في الهجاء ظلماً بعَمْرو».

وكان من أمر المحقّق أن علّق ثمة في الحاشية على هذين البيتين اللذين لم يسمّ بحرهما، فقال: «لم أقف على قائلهما، وهما في تحفة الطالب / ١١٥.».

قلت: البيتان – وهما من الخفيف – لأبي نواس في هجاء أشجع السلمي، في ديوانه : ٢ / ٧٦ (ط الألمانية). وفيه: «تحدّث المبرّد عن الجاحظ أنّه كان لأبي نواس خاصّة بالبرامكة، وكان أشجع السلمي شاعرهم والمنقطع إليهم، فأخذ يقع فيه عند جعفر بن يحيى حتى تغيّر له، فهجاه وهجا جعفراً، فقال يهجوه:

قل لمن يدّعي سليماً سفاهاً

لست منها ولا قلامة ظفر

إنّما أنت ملصق مثل واو

أُلصِقتْ في الهجاء ظلماً بعَمْرو

ويروى: أيّها المدّعي ولاء سليم

لست منها ولا قلامة ظفر

ويروى: إنّما أنت من سُليم كواو

ألحقوها في الهجاء ظلماً بعمرو».

وإلى أبي نواس نُسِب البيتان في: العقد الفريد، لابن عبد ربه، ٧ / ١٥٠، وطبائع النساء، لابن عبد ربه، ص ١١١، والتشبيهات، لابن أبي عون، ص٢٤٦، وثمار القلوب، للثعالبي، ١ / ٢٦٥-٢٦٦، والبديع في نقد الشعر، لابن منقذ، ص٢٠٦، والمثل السائر، لابن الأثير، ٣ / ٢٥١.

وإليه نُسِب البيت الثاني في: التمثيل والمحاضرة، للثعالبي، ١٦٢. وورد البيتان دون نسبة في كتاب الزهرة، لابن داود الأصبهاني، باب ما هُجي بأصله: ٢ / ٦٣٨، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٥ / ١٠٥، نقلاً من رسالة ابن هشام (موقد الأذهان وموقظ الوسنان). وفي بعض المصادر اختلاف عمّا كان في الديوان، أو عمّا ورد في الرسالة في بعض الألفاظ. والصحيح الذي يدلّ عليه الديوان، والمصادر التي نسبت هذين البيتين إلى أبي نواس، وذكرت مناسبتهما، أو موضوعهما = أنّ العلم المقصود في الموضعين هو قبيلة الشاعر المهجوّ أشجع بن عمرو السلمي؛ أي: سُلَيم، لا «سُليمى» كما ورد في هذا النصّ الذي حقّقه الدكتور السراقبي، وهو ما ورد في بعض نسخ الرسالة الخطّيّة الأخرى التي اطّلعت عليها، وكثير من المظانّ التي ذكرت البيتين؛ بل إنّ بعض محقّقي تلك الكتب أو ناشريها كان يلجأ إلى تغيير الكلمة من صورتها الصحيحة إلى لفظ «سُليمى» وهماً وخطأً.

علـى أنّ هذا اللفـظ «سُليمى» قد يصـحّ في الرواية التـي وردت في كلام القشـيري في تفسيره، ١ / ٢٣؛ إذ ورد فيـه: «وكذلك من أظهر مـن نفسه ما لم يتحقق به افتضح عند أرباب التحقيق في الحال، وقيل:

أيهـا المدّعــي سـليمى هواهـا

لسـت منهـا ولا قلامـة ظفـر

إنمـا أنـت في هواهـا كـــواو

أُلصِقت في الهجاء ظلماً بعمرو».

وأظهـرُ الروايات مخالفةً لكلّ ذلـك ما ساقه سلمة العوتبي الصحاري في كتابه الإبانة في اللغة، ٤ / ٤٨٠، في سيـاق كلامه على زيـادة الواو في «عمرو» للفرق عن كلمة «عُمَر»، «قال:

أيهـا المدّعـي قريشـاً سـفاهاً

لسـت منهـا ولا قلامـة ظفـر

إنمـا أنـت في قريـش كـواو

أُلحِقت في الهجاء ظلماً بعمرو».

ومثـل ذلك ما وقـع في كلام ابن عبد البـر، في كتابه الإنباه على قبائل الرواة، ص ٥٥، في سياق الكلام على تميم: «وقال آخر: أيّها المدّعي تميم بن مُرٍّ لستَ منها ولا قُلامة ظُفْرِ

أنت منهـا إذ تَدّعيها كواو

ألصقوها ظُلْماً بآخر عَمْرو

وفي هذين البيتـين وقائلهما اختلاف.». ولا أعلمُ في قائله اختلافاً.

فهـل هـذه المرويّـات الثـلاث الأخـيرة مـن وجوه تحريف قول أبـي نواس، بحيث كان مطيّة لكلّ راغب؛ يمتطيه على النحو الذي يهوى ويشاء، أم هي مرويّات صحيحة؟.

– كان ممّـا بيّنـه ابن هشام في الكلام على بيتي ابن حزم [ص٨٨ ـ ٨٩] الشاهد الشعري الـذي أشار إليه ابـنُ حزم، فقـال: «وأمّا الشاهد الذي أشـار إليه فهو قوله:

وتشـرق بالقول الذي قد أذعته

كما شرقت صدر القناة من الدم

وهـو مـن أبيات كتـاب سيبويـه، وتقريـر الشاهد منـه أنّ الفعل يلحقه التاء إذا كان فاعلـه مؤنّثاً، نحو: (قامـت هند)، ولا يجوز ذلك إذا كان مذكّراً، ولكنّه لـمّا أضافه إلى «القناة» سرى منها التأنيث إليه....».

وعلّـق المحقّـق ثمّة في الحاشيـة الأولى على الشاهد بقولـه: «الشاهـد فيـه تأنيـث الفعل (شرقـت) مع أنّ الفاعـل (صـدر) مذكّر، وذلك لأنّ (صـدر) أضيف إلى القنـاة، فهـو بعضهـا فاكتسـب التأنيث لذلـك. انظر الكتاب:١ / ٥٢....».

وبيـان المحقّق للشاهـد في الحاشيـة لا حاجة إليه؛ لأنّ ابن هشام قرّر ذلك، وبيّن ما فيه؛ ولذلك كان تعليق المحقّق ضرباً من التكرار الذي لا ينبغي.

وإلى ذلـك يبـدو لي أنّ في المـتن بعد قولـه: «إذا كان مذكّراً» سقطاً مصدره انتقال النظر، وهو ما تدلّ عليه جميع النسخ الخطّيّة التي اطّلعتُ عليها. وتمام الكلام كمـا ورد فيهـا: «ولا يجوز ذلـك إذا كان مذكّراً، **نحو: «قـال زيـد»، فـكان ينبغـي ألّا يجوز: كمـا شرقت صـدر القناة؛ لأنّ الصدر مذكّـر**؛ ولكنّه لـمّا أضافه إلى «القناة» سرى منها التأنيث إليه.».

– ورد في ص ٨٩ الأسطر ٤ ـ ٩: «ولكنّه لـمّا أضافه إلى «القنـاة» سرى منها التأنيـث إليه. وقريب من هذا المعنى والاستشهاد قولهم(٢):

عليـك بأرباب الصدور، فمن غدا

مضافاً لأرباب الصدور تصـدّرا

وإياك أن ترضى بصحبة ساقط

فتنحـط قدراً من عـلاك وتحقـرا

فرفع (أبو من) ثم خفض (مزمّل)

يحقّق قــولي مغريــاً ومحــذِّرا

فكونــوا أنتــم وبنــي أبيكــم

مكــان الكُلْيَتين مــن الطحــال».

وفي صنيع المحقّق في ذلك، وما يتعلّق به في الحاشية الثانية أشياء تدعو للتعقيب:

١- من حقّ تفقير النصّ على وجهه أن يكون قوله: «وقريب من هذا المعنى والاستشهاد قولهم:» في بداية سطر جديد يؤذن ببداية فقرة جديدة.

٢- اكتفى المحقّق في الحاشية التي أشار إليها في المتن بالرّقْم (٢) بقوله: «الأبيات لأمين الدين المحلّي، وقد شرحها عبد الفتاح بن مصطفى الأديب المحمودي اللاذقي الخلوتي (ت١٩٠٣). والرسالة مخطوطة في المكتبة الظاهرية برقم ٤٣٣٥، وعنوانها (تحبير السطور بأرباب الصدور).».

ويدلّك النظر على أنّه كان من حقّ التحقيق هنا أن يسمّي المحقّق البحر العروضي الذي كانت عليه الأبيات الثلاثة الأولى؛ لأنّها هي المقصودة بالقرب في المعنى والاستشهاد ممّا كان في قول ابن حزم.

وهذه الأبيات من البحر الطويل، أمّا البيت الرابع فهو من الوافر.

وكان من الواجب أن يذكر المحقّق مظانّ أبيات المحلّي الثلاثة أو بعضها؛ فإليه عُزيت هذه الأبيات في: إنباء الأمراء، ص٨٨، والوافي بالوفيات، ٤ / ١٣٤، وخزانة الأدب ٥ / ١٠٤، واقتصر شارح التصريح ٢ / ٩٩ على الأول منها معزوّاً إليه، وقال: «في المفتاح»؛ ووردت دون عزو في: مغني اللبيب،٢ / ٦٦٩، والإفادات والإنشادات، للشاطبي، ص١٠٢، ونفح الطيب، للمقّريّ، ٥ / ١٩٠ـ ١٩١.

وفي بعض ألفاظها اختلاف، فالبيت الأول في الوافي بلفظ:

عليك بأربــاب الصُّدُور فإن من

يجالس أرباب الصُّدُور تصدّرا

وورد صدر البيت الثاني في الوافي برواية:

وإيّاك أن ترضى صحابة ساقط

وفي إنباء الأمراء والمغني والخزانة برواية:

وإيّاك أن ترضى صحابة ناقص

وكانت الكلمة الأخيرة منه في نفح الطيب والإفادات بلفظ «ساقط». ووردت الكلمة الأولى من عجز البيت الثالث في نفح الطيب والإفادات والمغني والخزانة بلفظ «يبيّن».

ثمّ كان من المناسب أن يشرح المحقّق بعض ما فيها كقوله: «مغرياً ومحذِّراً» اللذين قال فيهما البغدادي في خزانته ٥ / ١٠٤: «وقوله: «مغرياً» راجع إلى قوله أولاً «عليك بأرباب الصّدور»؛ وقوله: «ومحذراً» راجع إلى قوله ثانياً: «وإيّاك أن ترضي صحابة ناقص».». يريد بذلك ما كان في هاتين العبارتين من أسلوب إغراء وتحذير.

وإلى ذلك كان من المستحسن أن يعرّف بأمين الدين المحلّي قائل هذه الأبيات باختصار. وهو محمد بن علي بن موسى، أبو بكر، أمين الدين، الأنصاري المحلي: نحوي، من أهل المحلة (بمصر) درّس النحو وتوفي بالقاهرة. له شعر حسن وكتب، منها (أرجوزة في العروض) سماها (الجوهرة الفريدة)، و(مختصر طبقات النحاة للزبيدي)، توفي سنة ٦٧٣هـ = ١٢٧٥م. الأعلام للزركلي، ٦ / ٢٨٢.

٣- البيت الرابع كما لا يخفى ليس من تمام الأبيات، ولا هو قطعة من قول المحلّي، وذكره لذلك يدعو إلى التأمل والتعليق، وهو ما لم يلتفت إليه المحقّق البتّة. وهذا البيت خلت منه معظم النسخ الخطّيّة التي اطّلعت عليها من نسخ الرسالة، ولم أره إلّا في تلك النسخة

التي تحتفظ بها مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية في جامعة أم القرى. مكة المكرمة، ٣٠٢ / أ. والبيت من أبيات الكتاب ١ / ٢٩٨، ولا يُعرَف له قائل، وليست له فيما أرى صلة مؤكّدة نحوية أو معنويّة بما أُريد في أبيات أمين الدين المحلّي. ومن هنا لنا أن نعدّ هذا البيت زيادة من الناسخ، ومحلّها عند التحقيق أن تُوضَع في الحاشية، مع التنبيه على موضعها من المتن. والله تعالى أعلم.

– ذكر ابن هشام ص٨٩ بعد أبيات أمين الدين المحلّي أنّ المشار إليه في البيت الثالث: «فرفع (أبو من)» «هو قولهم: (علمت أبو زيد من هو) برفع «الأب» مع أنّ أفعال القلوب والظنّ يمتنع عملها فيما بعدها إذا كان يستوجب صدر الكلام، تقول: (علمت زيداً قائماً)، **فلا يجوز لك الرفع** ﴿لنعلم أيُّ الحزبين أحصى﴾ [الكهف / ١٨] لا يجوز فيه إلّا الرفع...».

والذي أراه أنّ من واجب المحقّق الفصلَ بعلامة الترقيم (؛) بين قوله: «لا يجوز لك الرفع» وبين الشاهد القرآني: (لنعلم أيُّ الحزبين أحصى)؛ لأنّ الحكم بمنع الرفع متعلّق بالمثال السابق: «علمت زيداً قائماً»، وتركُه دون فصل بعلامة الترقيم المناسبة قد يوهم بأنّ هذا الحكم ممتدّ إلى ما في تلك الآية، وبذلك قد ينشأ الخطأ في ذهن بعض الناس.

– ورد في ص ٩٠ سطر ١ و٢: «ولمّا جاوز **الأب** الأبُ (مَنْ) الاستفهامية **اكتسى** منها الصدرية...».

وهذا فيه شيئان لا ينبغيان: زيادة كلمة «الأب» الأولى، وهي زيادة ربّما كانت من خطأ الطباعة؛ وما في كلمة «اكتسى» من تصحيف، والصحيح «اكتسب». وهذا ما تؤكّده كلّ النسخ الخطّيّة التي اطّلعت عليها من نسخ الرسالة.

– بيّن ابن هشام في ص٩٠ ما ورد في قول أمين الدين المحلّي: «ثمّ خفض مزمّل» من إشارة إلى قول امرئ القيس:

كأنّ ثبيراً في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمّل

فقال: «[٤ / و] فإنّ «مزمّل» صفة لـ (كبيرُ أناس) وهو مرفوع، ولكنّه لمّا جاور المخفوض خُفِض على الجوار، **كقول** أبي **الطيّب** الجزّار (٣):

ما اسم شيء يُعرَب بالرفع والنّصـ
ـب، وإن كان مثله في البناء
علم، مفردٌ، وقد رفعو
ه كلُّهم عامدٌ لأجل البناء
ومنه قد سُمع التذكيـ
رُ فانظر تناقض الأشياء
وهو ظرف فأين من فيه ظُرف
ليُجلِّي عن هذه العمياء

وجوابه (المَأْزَقَة).».

وهذا النصّ كما ورد على يد المحقّق فيه أشياء:

١– الوارد هنا أوّل النص [٤ / و] – وهو رمز اصطلاحيّ يُستعمَل للدلالة على تعيين الحدود بين أوراق المخطوطة بداية ونهاية – يدعوني إلى التنبيه على أنّ المحقّق لم يلتزم هذا الإجراء حيث ينبغي؛ لذلك لا تجد أثراً لـ [٢ / ظ] و [٣ / و] و[٣ / ظ].

٢– سقط من عبارة «كقول أبي الطيّب الجزّار» واو عطف تعطف ما بعدها على ما في [ص ٨٩]: «وكقول أبي محمد عليّ بن حزم». وهذا شيء كان يجب أن يُنبّه عليه المحقّق. ولذلك كان من الواجب أن يُختَم الكلام على ما في قول امرئ القيس قبل «وكقوله..» بعلامة الترقيم المناسبة (.)، ثمّ يُجعَل «وكقوله...» بداية السطر صدراً لفقرة جديدة.

٣– ما ورد في كنية الشاعر الذي نُسِبت إليه هذه الأبيات الملغّزة هنا: «أبي الطيب الجزّار» = وهم غريب

لا أعلم مصدره، لا تؤيّده أيُّ نسخة من النُّسخ الخطّيّة للرسالة؛ لأنّ الثابت في بعضها «أبي الحسين»، وهو الصحيح، وفي بعضها «أبي الحسن». ثمّ هل يناسب ذلك ما قاله المحقّق ثمّة في الحاشية الثالثة في ترجمة الشاعر، إذ قال: «هو يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد، أبو الحسين الجزار، شاعر مصري ظريف. كان جزاراً بالفسطاط، أقبل على الأدب، فأوصله شعره إلى السلاطين، مولده عام ٦٠١هـ، ووفاته عام ٦٧٩هـ.»؟. على أنّ لك هنا أن تنبّه على أنّ المحقّق لم يعيّن مصدر هذه الترجمة، وهو كتاب الأعلام للزركلي، ٨ / ١٥٣.

٤- لم يسمّ المحقّق البحر العروضيّ الذي جرت عليه هذه الأبيات، وهو الخفيف؛ ولا خرّج الأبيات من مظانّها. ولو اجتهد في ذلك لعرف أنّ في نسبة هذه الأبيات إلى الجزّار نظراً؛ لأنّ هذه الأبيات كما نصّ الصفدي (ت٧٦٤هـ) في كتابه الوافي بالوفيات، ٧ / ٢٠٧ للسراج الوراق كتب بها إلى ابن خلّكان ملغزاً في مِئذنة، وهي:

يا إماماً له ضياء ذكاء
يتلاشى له ضياء ذُكاء
ما مسمًّى بالرّفع يعرب والنّصـ
ـب وإن كان مستقرّ البناء
علمٌ مفردٌ فإن رفعوه
رفعوه عمداً لأجل النداء
أنّثوه ومنه قد عرف التّذكيـ
ـر فانظر تناقُض الأشياء
وهو ظرف فأين من فيه ظُرفٌ
ليجلّي من هذه العمياء

وذكر البيتين الأولين من الأبيات الأربعة التي وردت في الرسالة دون عزو في موضع آخر من كتابه: ١٢ / ٢٣١، ومنه نقلهما السيوطي في المحاضرات والمحاورات، ص٢٢٦.

ولو بحث المحقّق وتدبّر لصحّح بعض ما كان في هذه الأبيات، ولنبّه على الاختلاف في بعض ألفاظها. وممّا يجب أن يكون على وجهه في هذه الأبيات في النصّ المحقّق صدر البيت الثاني بحيث يصبح:

.........................رفعو
ه كلّهم عمْداً لأجل النداء

وربّما كان بعض ما فيه من خطأ الطباعة؛ وزيادة «أنّثوه» في صدر البيت الثالث، التي قد يكون حذفها من خطأ الطباعة أيضاً.

٥- كلمة «المأزفة» الواردة في هذا النص المحقّق التي شرحها المحقّق في الحاشية بقوله: «المأزفة: وجمعها مآزف، وهي العَذِرة والقَذَر. القاموس المحيط (أزف).» = تصحيف غريب، ليس في النسخ الخطّيّة ما يزكّيه أو يشجّع عليه، ثمّ ليس في الأبيات ما يشي به البتّة. والصحيح في جواب اللُّغز الذي تضمّنته هذه الأبيات هو «المِئْذَنة» بكسر الميم كما نصّت المعاجم، والوجهُ الذي جاءت عليه الكلمة في النسخ الخطّيّة التي اطّلعت عليها «المَأذنة» لغة عامّية كما في التاج [(أذن) ٣٤ / ١٦٨].

والجواب الصحيح، وهو «المِئذَنة»، يزكّيه من الأبيات غير شيء لمن تدبّرها: البناء، رفعوه لأجل النداء، منه سُمِع التذكير.

وتصحيف الجواب بين يدي المحقّق - ولا أدري هل كان منه ذلك عن تقليد لخطأ وقع في النسخة الخطّية التي اعتمد عليها، أم لم يتدبّر هذه الأبيات الملغزة، وصحّف الجواب - ممّا يؤيّد قول ابن هشام بعد ما نصّ [ص٩٠] على جواب اللغز، من أنّ «هذا اللغز ممّا لا يعاب على النحويّ عدمُ حلّه بخلاف ما قبله، ما عدا شعر ابن عُنَيْن، فإنّه مثل شعر الجزّار.».

– ورد في ص ٩١ سطر٣: العنوان الفرعيّ التالي: «في الألغاز اللفظية»، وهو زيادة بالنسبة إلى النسخ الخطيّة التي اطّلعت عليها، لم ترد في أيّ نسخة منها. وهو إن كان زيادة أو كان من أصل النسخة المخطوطة التي اعتمد عليها المحقّق من الرسالة ليس ممّا يُحتاج إليه. والانتقال من العنوان الأصليّ «**الفصل الثاني**: في الألغاز اللفظيّة» إلى بيان ابن هشام لذلك وشرحه بقوله: «وهي التي يراد بها تفسير الإعراب وتوجيهه لا بيان المعنى....» = مؤذن بوجوب حذفه على أيّ وجه كان.

ثمّ إذا كان ذلك زيادةً من المحقّق لأمر قدّره فقد كان من الواجب أن يدلّ عليه بوضعه بين القوسين الدالّين على الزيادات: [ ].

وهذا ما ندّ عن المحقّق في العنوانين الفرعيين الآخرين: «في الإشارات اللفظيّة» [ص٩٧ سطر٣]، و«في التصحيفات اللوذعيّة» [ص١٠١ سطر٣].

– ورد في ص ٩١ في الكلام على البيت الأول من أمثلة الفصل الثاني من الرسالة:

« **جاك سلمانَ أبو هاشماً**

فقد غدا سيّدها الحارثُ

جاء: فعل ماض، كسلمان جارٌّ ومجرور **متعلّق به** وعلامة الجرّ الفتحة [٤ / ظ] لأنّه لا ينصرف، وإنّما أُفرِدت (الكاف) في الخطّ ليتأتى الإلغاز. ...

شماً: فعل أمر، من شامَ البرقَ يَشيمهُ، ونونه للتوكيد، كُتبت ألفاً على القياس.».

وفي هذا النص أشياء يحسن التنبيه عليها:

١– لم يسمّ المحقّق البحر العروضي الذي بُنيَ عليه البيت، وهو السريع.

٢– الفعل في صدر البيت على التحقيق لا على التخفيف، ومن ثمّ كان ينبغي أن يكون: «جاءك». وربّما كان حذف الهمزة من أثر الطباعة.

٣– العبارة الواردة في إعراب «كسلمان»، أعني: «متعلّق به»، والضمير فيها عائد على الفعل = فيها نظر؛ فهي لم ترد في أيّ نسخة أخرى اطّلعت عليها، والجار والمجرور «كسلمان» متعلّقان بحال مقدّرة، لا بالفعل، والتقدير فيه: جاءك أبوها كائناً كسليمان.

٤– كان من المناسب أن يبيّن المحقّق معنى «شام البرق يشيمه»، وهو: رآه ونظر إليه.

٥– الأمر من الفعل «شام» مؤكّداً بالنون أصلُه أن يكون بإثبات الياء «شيماً» فأين ذهبت الياء؟. هذا ما كان ينبغي بيانه والتنبيه عليه، وقد نبّه عليه ابن عدلان، في كتابه: الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، ص٢٦، فقال: « والواجب فيه: شيماً، فحذف الياء للضرورة.».

– ورد في ص ٩٢ في الكلام البيت الثاني من أمثلة الفصل الثاني من الرسالة:

« **لقد قال عبدَ الله شرَّ مقالة**

كفى بك يا عبدَ العزيزُ حسيبُها

عبدَ الله: تثنية (عبد) مضافين إلى اسمه تعالى وحقّه أن يكتب (عبدا الله)، و(**عبدُ**) **رُخِّم** (عبدةَ)، قال الشاعر:... وقوله: (العزيزُ حسيبها) مبتدأ **أو** خبر.».

وفي هذا ما يحتاج إلى تنبيه:

١– لم يسمّ المحقّق البحر العروضي الذي عليه البيت، وهو الطويل.

٢– قوله: «(**عبدُ**) **رُخِّم** (عبدة)،» فيه ضبط «عبد» بالضمّ، والمناسب الفتح؛ للإيهام بأنّ المنادى بعد أداة النداء مضاف، وأنّ كلمة «العزيز» هي المضاف إليه؛ وللتنبيه على الحرف المحذوف التاء. وكلمة «رُخّمَ» تحريف لكلمة «مُرخّم» الواردة في جميع النسخ الخطيّة التي اطّلعت عليها؛ على أنّ هذا التحريف ربّما كان من أثر الطباعة.

وإلى هذا وذاك يبدو لي معارضةً بالنسخ المخطوطة أنّ بعد «عبدة» سقطاً، وأنّ تمام الكلام: «عبدَ مرخَّم «عبدة»، وأصله: يا عبدة، قال الشاعر:...».

٣- قوله: «(العزيزُ حسيبها) مبتدأ **أو** خبر.» فيه تحريف لحرف العطف، والصحيح: مبتدأ وخبر.

- ورد البيت الثالث من أمثلة الفصل الثاني من رسالة ابن هشام - وهو ممّا لم يسمّ المحقّق بحره العروضيّ، وهو الخفيف - بلفظ:

لم يَزُدني عن الصلاة ضلالاً

في حياتي ولا اتّبعتُ الغواةُ

والفعل «يزدني» الوارد في أوّل البيت تردّد بالزاي ثلاثاً في معرض تبيين ابن هشام لما في هذا البيت الملغّز. والصحيح فيها جميعاً «يَذُدني» بالذال، وبها ورد في الإفصاح، ص١٢١، والانتخاب، ص٢٥. وورود الفعل كذلك في بعض النسخ الخطيّة ليس مدعاة إلى الإصرار عليه؛ لأنّ المعنى المقصود من البيت، وهو الافتخار، لا يناسبه الفعل «يزيد»، وإلّا نَسَبت إلى واضع هذا اللغز ما لا يريده، وهو الضلال. والمعنى المراد: لم يذدني - أي: يدفعني - الغواة عن الصلاة في حياتي لأجل الضلال، ولا اتّبعتهم.

وإلى هذا كان من المناسب أن ينبّه المحقّق في حاشية على وجه ثالث في توجيه نصب «ضلالاً»، إضافة إلى ما ذكره ابن هشام هنا وغيره من نصبه على الحال، والمفعول لأجله، وهو كونه مفعولاً به للفعل «اتّبعت»، على معنى: لم يذدني الغواة عن الصلاة، ولا اتّبعت ضلالاً. وقد أجازه الفارقي في الإفصاح، وعدّه بالغاً، واقتصر عليه ابن عدلان في كتابه الانتخاب.

- كان البيت الرابع من أبيات الفصل الثاني، وهو بيت لم يسمّ المحقّق بحره، وهو الطويل، قول الشاعر:

ولستُ بطاوٍ خشيةَ الفقر مُسغِباً

[أضنّ] بما تحويه منّي الأضالعا

وقد خرّجه المحقّق من كتاب الإفصاح، ٢٧٨، وأقام ما فيه من سقط وتحريف، مستفيداً ممّا فيه. وهذا حسن؛ لكنّ صنيعه لم يبلغ الغاية في ذلك، فقد كان من الواجب التنبيه على اختلاف الرواية فيما بين الرسالة والإفصاح، فقد ورد في الإفصاح، والانتخاب، ص ٥٧، بلفظه التالي الدالّ على ذلك:

ولستُ بطاوٍ خشيةَ الفقر ساغِباً

أضنّ بما تحويه منّي الأصابعا

- البيت السادس من أبيات الفصل الثالث الذي لم يسمِّ المحقّق بحره، وهو الخفيف، هو قول الشاعر:

إنّما أُمَّ خالدٌ يومَ جاءت

خالةَ الرهبنى من عمرٍو زيدا

ضبط المحقّق كلمة «عمرو» فيه بكسر الراء، والصحيح فيه الضمّ؛ وخرّج البيت من الإفصاح، ص١٦١، ونبّه على ما كان فيه من اختلاف رواية في عجزه، إذ جاء بلفظ: «بغلة الزينبي من قصر زيدا».

ولي أن أزيد هنا أنّ البيت ورد بهذا اللفظ أيضاً في الانتخاب، ص ٣٥، وكتاب الجمل المنسوب إلى الخليل، ص١٧٧. ومن المناسب أن أنبّه هنا على أنّ المضاف إليه بعد كلمة «خالة» ورد في النسخ المخطوطة التي اطّلعت عليها بصور مختلفة: «الزينبين، الربيبتين، الرهبي، الذهبي»، والصورة الأولى أكثرها وروداً. ثمّ إنّ المناسب أن يبيّن المحقّق للقارئ المقصود من «الرهبنى» تحقيقاً أو تقديراً، وإلّا اعتذر. وهنا أبيّن أنّي لم أصب فيما بحثت فيه ما يجلو لي أمرَ ذلك.

وورد ثمّة [ص ٩٣ سطر١٢و١٣] في معرض بيان اللغز الذي انطوى عليه هذا البيت: «لما لم يُسمِّ فاعلهُ». والصحيح في الموضعين «يُسمَّ» بالبناء للمجهول.

وورد ثمّة [سطر١٣ ـ١٤]: «و(خالةَ): أصله (خالتان) خالة فحذفت النون للإضافة، والألف لالتقاء الساكنين،..».

وقد سقطت هاهنا بعد كلمة (خالتان) كلمة «تثنية». وهذا ما تؤكّده كلُّ النسخ الخطيّة التي نظرت فيها.

– ورد ص ٩٤ الأسطر٢ـ ٤: في معرض توجيه نصب كلمة «زيدا» في هذا البيت السادس، بعد بيان أنّ «مِنْ» فيه فعلُ أمرٍ منَ الفعل «مان يمين» بمعنى: كذب، وأَنّ «عمرٌو» منادى بأداة نداء محذوفة: «و(زيداً) مفعول (مِنْ)، كما تقول: كذبَ زيداً، أو (زيداً) **مصدرُ** لا اسمٌ، فنصبه على المفعول المطلق؛ لأنّ المين زيادة في الحديث، فكأنّه قال: **زيادةٌ**.».

ولك أن تلحظ قبل التنبيه على ما أريده خلوَّ السطرين الأخيرين من ثلاث علامات ترقيم ينبغي أن تكون فيهما، وضعتها في مواضعها بالحمرة ودونها خطٌّ، وأن تلحظ خطأ الطباعة في ضبط كلمة «مصدرُ» بضمّة مفردة لا ثنتين.

أمّا مقصدي الأوّل فهو التنبيه على أنّ الضبط الصحيح لكلمة «زيادة» التي خُتِم بها النصّ هو تنوين النصب لا تنوين الرفع؛ لأنّ الكلمة مفعول مطلق. ولي أن أزيد ذلك توكيداً بأنّ ثمّة كلمة سقطت من المتن، وهي كلمة «زد» التي تدلّ عليها جميع النسخ الخطيّة التي راجعتها، فهي ثابتة فيها، والكلام كما ورد فيها: «زد زيادة»، وهذا ما يقتضيه بيان ابن هشام في هذا النصّ وتفسيره.

– كان البيت الثامن من أبيات الفصل الثاني الملغّزة قول الشاعر:

وردنــا ماءَ مكّةَ فاسـتقينا

منَ البئر التي حفر الأميرا

الذي كان من أمره وقوع «الأميرَ» مفعولاً للفعل «استقينا»، خلافاً لما يمكن أن يقع في وهم بعض الناظرين من أنّه فاعل للفعل «حفر».

وقد اكتفى المحقّق في خدمة هذا المثال بتخريجه من كتاب الإفصاح، ص١٩٤؛ دون أن يسمّي بحره العروضيّ، وهو البحر الوافر. ولي إلى ذلك أن أزيد أنّ هذا البيت ذكره سلمة العوتبي في كتابه الإبانة مرّتين: ١/ ٣٢٦ـ ٣٢٧، ٤/ ٦٩٧، باختلاف في بعض ألفاظه، وقد عزاه في الموضع الأوّل إلى ابن أحمر.

قال: «ومثله قول ابن أحمر:

فذلَّ ابن الخليفة واستقينا

من البئر التي حفر الأميرا

أي: أسقينا[١٧] الأمير من البئر التي حفر، أي: حفرها، فحذف الهاء. وهذا من التقديم والتأخير، وهو عندهم مفهوم.».

وورد في الموضع الثاني بلفظ:

نزلنا بالخليفة فاستقينا

من البئر التي حفر الأميرا

– كان البيت الثامن من أبيات الفصل الثاني الملغّزة:

فالشمسُ طالعة ليست بكاسفة

تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

الذي اكتنفه ابن هشام بما قبله وما بعده. وقد كان من وجوه خدمة المحقّق لذلك أن نسب الأبيات الثلاثة إلى قائلها، وهو جرير، والتنبيه على أنّه قالها في رثاء الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وتخريجها من ديوان جرير وثلاثة كتب اعتاد أن يخرّج منها ما كان في رسالة ابن هشام من أبيات ملغّزة، مع التنبيه على الاختلاف في ترتيب بعض

١٧ هكذا ورد، ولعلّه تحريف. والمناسب: «استقينا». وهو ما يؤكّده قوله في الموضع الثاني: «المعنى: فاستقينا الأمير من البئر التي حفر، أي: حفرها.».

الأبيات في بعضها تقديماً وتأخيراً، أو في رواية بعض الألفاظ.

ونبّه المحقّق في الحاشية الثانية ثمّة [ص٩٤ـ٩٥] على ما ورد في توجيه نصب «نجومَ الليل والقمرا»، من وجوه أخرى، مستدركاً على ما اقتصر عليه ابن هشام من النصب باسم الفاعل «كاسفة»؛ فذكر ثلاثة أوجه في توجيه النصب، ووجهاً في توجيه رفع «نجومُ» في رواية من رفعها. وختم المحقّق الحاشية بتوجيه «يا عمرا» في البيت الثاني بقوله: «و(يا عمرا): منادى منصوب، وحذفت هاء السكت للقافية.».

هذا ما كان من المحقّق، وهو بعض ما يقتضيه واجب المحقّق العلميّ؛ بيد أنّ النظر يدلّك على أنّه لم يوفِ على الغاية؛ إذ لم يسمّ البحر العروضيَّ لتلك الأبيات، وهو الطويل؛ ولم ينبّه على اختلاف في رواية إحدى كلمات البيت الثالث:

حُمِّلت أمراً عظيماً فاصطبرت له

وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

فقد وردت الكلمة الرابعة في صدره بلفظ «فاضطلعت» في بعض المصادر والمراجع، ومنها بعض ما أحال عليه المحقّق في تخريج الأبيات.

وإلى هذا وذاك كان توجيه «يا عمرا» في الحاشية الثالثة تكراراً لا حاجة إليه؛ لأنّ ابن هشام بيّن ذلك في كلامه إذ قال [ص٩٥ سطر ١و٢]: «وقوله:(يا عمرا) مندوب حذفت منه **هاءَ** السكت.». وضبط «هاءَ» بالنصب خطأ طباعة فيما أظنّ، صوابه كما لا يخفى الضمّ.

– كان البيت التاسع من أبيات الفصل الثاني الملغّزة:

إنّ فيها أخيك وابن زيادٍ وعليها أبيك والمختارا

الذي وجّه ابن هشام نصب «ابن» و«المختارا» فيه من وجهين: الأوّل النصب بالفعل «كوى» ماضي «يكوي»، والأصل: إنّ فيها أخي كوى ابنَ زيادٍ، وعليها أبي كوى المختارا. ثمّ قال في الوجه الآخر [ص٩٥ الأسطر ٦ـ٨] :«ويجوز في (أخيك) وجه ثانٍ، وهو أن يكون أصله (**أخوين**) وهو جمع (أخ) وياؤه علامة النصب، وحُذفت النون للإضافة.».

وقد اكتفى المحقّق بتخريج البيت من كتاب الإفصاح، ص٢٠٧، وحاشية الغزي على ألغاز ابن هشام، ص٢٢؛ دون أن يعيّن البحر العروضيّ الذي كان عليه، وهو البحر الخفيف، ولم يزد على ذلك شيئاً. ولي أن أزيد هنا بأنّ لهذا البيت روايتين أخريين وردت الأولى في كتاب الجمل المنسوب إلى الخليل، ص١٣١، وهي: إنّ فيها أخيك وابن هشام وعليها أخيك والمختارا

ووردت الثانية في سفر السعادة، السخاوي، ٢ / ٧٠٧، وهي:

إن فيها أخيك وابن زياد وعليها أبيك والمقدارا

ثمّ إنّ التوجيه الأوّل للمنصوبين في هذا البيت هو توجيه صاحب الجمل، والفارقي، وإنّ التوجيه الثاني هو توجيه السخاوي الذي عدّ «أبيك» مثلَ «أخيك» جمع سلامة.

وإلى ذلك يبدو أنّ في كلمة «أخوين» من عبارة النصّ المحقّق في بيان الوجه الثاني: «أصله (**أخوين**) وهو...» = غلطاً، والصواب «أخِين»؛ لأنّ الجمع على اللفظ، لا على الأصل. ويؤيّد هذا أنّ معظم النسخ الخطية التي اطّلعت عليها من نسخ الرسالة ذكرت الأصل كذلك. ويؤيّد ذلك ويؤكّده ما في كلام السخاوي. قال[18]: «(أخيك): جمع أخ جمع السلامة تعويضاً له ممّا حُذِف منه، والأصل: أخين، فحذف النون للإضافة. و (ابن زياد) معطوف على (أخيك) الذي

١٨– سفر السعادة وسفير الإفادة، السخاوي، ٢ / ٧٠٧ـ٧٠٨.

هـو اسم إن. و (أبيك) مثـل أخيك، وهو جمع أب وهو معطوف على أخيك. و (المقدارَ) أيضاً كذلك.».

– ورد البيـت العاشـر مـن أبيـات الفصـل الثاني الملغّزة في تحقيق الدكتور السراقبي [ص٩٥] هكذا:

الناس قوماً يرَون الغدْرُ شيمتُهم

ومنهـم كاذبـاً في القول لـهّـاذا

وقـد اكتفى المحقّـق في خدمته بتخريجـه من كتاب الإفصــاح، صـ٢٢٤. والنظـر في هذا البيت والشرح الذي أعقبه في النصّ المحقّق معارضة بما كان في المظانّ التـي ذكرتـه: الإفصــاح،٢٢٤، والانتخـاب، ص٤١= يدلّنا على أشياء:

١– سقطت من أوّل البيت كلمة «في». وربّما كان ذلك مـن خطأ الطباعـة. وآخر كلمة وردت في البيت في هذين المصدرين «همّازا»، بمعنى: مغتاب كثير الاغتياب. أمّا الكلمة الـواردة في النصّ المحقّق فلا أعرف معناها؛ بل ليس لها فيما أعلم وجود؛ إذ لم أجد لمادة (لهذ) أثراً في المعاجـم، ولو كان لهذه الكلمة معنًى محقّق عند المحقق لكان مـن واجبه أن يعلنه في شرحها، ويذكره للقارئ. ولـهـذا كان ينبغـي للمحقّـق أن يرتـاب في هـذه الكلمة ويبحـث عن الوجه اللائق، ويعلنـه في حاشية. على أنّ هـذه الكلمة الأخيرة من البيت وردت في النسخ الخطّية التـي اطّلعت عليها من الرسالـة وردت بصور متعدّدة لا تجـد فيها على اليقين ما يوافـق الوجه الذي ورد في الإفصـاح والانتخاب، أو في هـذا النصّ المحقق، وهي: «لماذا، لمّازا، ممتار، تيمارا، تمارا».

٢– لم يسـمّ المحقّـق البحر العروضـيَّ الذي جرى عليه هذا البيت، وهو البسيط.

٣– ورود الكلمـة الأولى التـي في صـدر هذا البيت: «في» تامّـة، مـع أنّهـا كمـا ورد في الشرح فعـلُ أمرٍ من «وفى يفي» = يدعو إلى شيء من التعليق والتبيين؛ لأنّ الواجـب أن تُبنـى على حذف حرف العلّـة من آخرها، وهـو الياء، وأن تكون هكـذا: «فـ»؛ فالظاهر أنّ إبقاء الياء خلافاً للقاعدة كان لأجل المعاياة والإلغاز.

٤– ورد في شـرح البيـت وبيـان مـا فيـه أنّ كلمـة «قومـاً» مفعول بالفعل الـذي في صدر البيت. وهذا فيه نظـر؛ فهـذا الاسم المنصـوب كما نصّ الفارقي وابن عدلان مفعول لفعل الرؤية القلبية.

قـال الفارقـي[١٩]: «و(الناس) رفـع بالابتـداء، و(يـرون) هو الخـبر، و(قوماً) منصـوب بـ (يرون)، وهـي من رؤية القلـب تتعدّى إلى مفعولـين، و(الغدر) ابتـداء، و(شيمتهم) الخبر، وهي جملة قد سدّت مسدّ المفعول الثاني من (يرون)، وتقدير الكلام: فِ يا فلان، الناس يرون قوماً الغدرُ شيمتهم.».

على أنّه يمكن أن يكون «قوماً» مفعولاً بالفعل «فِ» إذا كان «الغـدر شيمتهـم» منصوبـين مفعولـين بفعل الرؤية. وهذا ما لم يرد النصّ عليه.

– كان البيت الحادي عشر من أبيات الفصل الثاني الملغّزة قول الشاعر:

لقد طاف عبدَ الله بالبيت سبعةً

فسَـلْـعن عُبيدُ الله ثـم أبا بكرُ

وقـد بيّن ابـن هشام ما فيـه، ومن ذلـك قوله فيما كان في عجـز البيـت [ص٩٦]: «و(سَلْعَـنَ الرجلُ): إذا أتى(سَلْعاً)، وهو موضع(٢). ويقال: السلعنةُ: سرعة المشي، قال: طاف عبدالله بالبيت الحرام وسلعنْ عبيدٌ (٣)، وهذا القول أصحّ، وإنّما سكن النون للضرورة، و(أبى): فعل ماضٍ، و(بكرُ): فاعلٌ.».

وقد كان من خدمة المحقّق لهذا النصّ بيتاً وشرحاً أن خـرّج البيـت من كتاب الإفصاح، صـ١٨٥، وألغاز ابن هشـام، صـ٤٧، وحاشية الغزي عليهـا، ص٢٢؛

١٩– الإفصاح، ص ٢٢٤.

ونقل منه تعليق الغزّي على هذا البيت: «ويروى هذا البيت بغير مصراعه الثاني، وهو:

لقد طاف عبد الله بي البيت سبعة

وحجّ منى الناس الكرام الأفاضلُ.».

ولي أن أزيد هنا في تخريجه أنّه ورد في كتاب ابن عدلان: الانتخاب، ص٤٠، وكتاب سلمة العوتبي الصحاري: الإبانة، ١ / ٥١.

وبيّن المحقّق في الحاشية الثانية المقصود بما ورد في كلام ابن هشام في المتن: «أتى (سلْعاً) وهو موضع(٢).»؛ فقال: «جبل قرب المدينة المنوّرة.».

وهذا على صحّته ليس بكاف؛ لأنّ ممّا يحتاج إلى توثيق وتخريج قولَ ابن هشام ثمّة: «و(سلعن الرجل): إذا أتى سلْعاً...». ذلك أنّ هذا ممّا لا نجد له أثراً في المعاجم وغيرها، ولا أعلم مصدر ابن هشام في ذلك.

وسهو المحقّق عن تحقيق هذا الوجه وتخريجه دونه إهمالُ المحقّق تعيينَ البحر العروضي الذي بُني عليه، وهو البحر الطويل.

زد على ذلك ما يبدو عند التحقيق والمراجعة في تعليق المحقّق في الحاشية الثالثة ثمّة على قول ابن هشام: «ويقال: السلعنةُ: سرعة المشي، قال: طاف عبدالله بالبيت الحرام وسلعنْ عبيدٌ.» = إذ قال: «لم أجد هذا المعنى فيما بين يدي من معاجم.»!

وهذا غير صحيح؛ لأنّ هذا المعنى ثابت في المعاجم التي ذكرت مادّة (سلعن)؛ وعلى هذا الوجه اقتصرت المظانّ التي ذكرت هذا البيت، خلا ابن هشام في هذه الرسالة، ولم تذكر الوجه الآخر، ولو إشارةً.

– قال ابن هشام [ص٩٦] في توجيه أوّل كلمة من البيت الثاني عشر من الأبيات الملغّزة في الفصل الثاني، وهو:

أيُّ! علمٌ تزكو به النفسُ أولى

من سباق في حلبة الجهّال

: «فالتقدير (يا أيّوب)، فحذف حرف النداء، ورخّم المنادى بحذف آخره، ولحق **الآخَر** ما قبله؛ لأنّه زائد.».

والضبط الصحيح لكلمة «الآخَر» هو كسر الخاء وفتح الراء؛ أي: «الآخِرَ».

– ساق ابن هشام في الفصل الثالث الذي جعله في الإشارات الخفيّة التي وصفها بقوله: «التي لا يعلمها[٢٠] إلّا العالمون، ولا يتنبّه لموقعها إلّا المخلصون[٢١]» ستة أمثلة لم يسعَ المحقّق إلى تخريج ما يمكن تخريجه منها من مظانّه؛ وذلك بعضُ واجبه. ولو سعى لذلك سعيَه لوضع بعض الأخبار التي وردت فيها بعض تلك الإشارات في سياقها التاريخيّ المعيّن، ولعرّف القارئ ببعض من صدرت عنه بعض تلك الإشارات والتلميحات، أو من التقطها بفطنته وفهمه وعرف ما وراءها.

ومن ذلك المثال الأوّل [ص٩٧]، وفيه «أنّ رجلاً سأل رئيساً حاجة، فكتب إليه يعتذر: «لولا أنَّ عليَّ في هذا الأمر مشقّةً لفعلته»، فردّ عليه كتاباً فيه: (لولا المشقّة)، ولم يزدْ على ذلك، فلمّا وردَ عليه قضى حاجته، فسُئِل عن ذلك، فقال: «إنّه يشير إلى قول أبي الطيّب:

لولا المَشقّةُ سادَ الناسُ كلّهم

الجُودُ يُعدِم والإقدامُ قتّال».».

وهذا الخبر، بما فيه من تلميح ذكيّ إلى بيت أبي الطيّب، وفطنة أمكنت صاحبها من فهم تلك الإشارة = ذكره ابن خلّكان في سياق حديثه عن الشاعر والأديب المصري الذي خدم الملك الصالح أيوب، وتنقل معه في

٢٠– هكذا ورد هذا الفعل في تحقيق الدكتور السراقبيّ، والذي رأيته في جميع النسخ الخطّيّة التي اطّلعت عليها «يعقلها».

٢١– وردت هذه الكلمة في بعض ما اطّلعت عليه من نسخ الرسالة الخطّيّة كما وردت هنا في تحقيق الدكتور السراقبي، وكانت في بعض النسخ أخرى بلفظ «الحاذقون»، وفي بعضها بلفظ «العارفون».

البـلاد: يحيى بن عيسى بن إبراهيم، جمال الدين، ابن مطروح(٥٩٢هـ - ٦٤٩هـ)[٢٢].

قـال ابن خلّـكان[٢٣]: «بلغني أنه كتـب قبل ارتفاع درجتـه رقعـة تتضمـن شفاعـة في قضاء شغـل بعض أصحابـه، أرسلهـا إلى بعض الرؤسـاء، فكتـب ذلـك الرئيس في جوابـه: «هذا الأمر فيه علي مشقة»، فكتب جوابـه ثانيـاً: «لـولا المشقـة». فلمّـا وقـف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم قصده، وهو قول المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتال

وهذا من لطيف الإشارات.».

ونقله منـه اليافعي في مرآة الجنـان، ٤ / ٩٣ - ٩٤. وذكره ابن حجة في ثمرات الأوراق، ص ٢٠، والنواجي في الشفـاء، ص٦١، ٦٥، سمّى ابن مطروح في الموضع الأوّل دون الثاني.

ومن ذلك يتبيّن لك أنّ هذه الإشارة الخفية والتلميح مـن اختراع ابن مطروح، وأنّ الذي تمكّن من فهم ذلك التلميح، وتحليل تلك الإشارة هو أحد رؤسائه.

وفي نصّ ابن خلّكان وغيره ما يدلّ على أنّ من حقّ قـول أبـي الطيّب الـذي خرّجه المحقّق مـن ديوان أبي الطيـب المتنبّي، ونبّـه على ما أصاب إحـدى كلماته في المخطوطة «الإقدام» التي وردت غلطاً بلفظ «الأموال»، وصُحِّحت في الحاشية = التنبيهَ على أنّ في قوله «يعدم» روايةً أخرى مشهورة، وهي «يُفقِر».

هـذا، ومن المناسب لاطّراد المنهج أن يسمّي المحقّق البحر العروضيّ لقول المتنبّي، وهو البحر البسيط.

- ومـن ذلك المثـال الثاني، وقد ورد فيـه كما ورد في تحقيق الدكتور السراقبي: «أنّ شخْصاً كتَبَ إلى صديقٍ لـه يحذّره الدخـولَ إلى بلده لأجلِ قـوم كانوا بها، كانوا يبْغـونَ له الغوائلَ، وينْصبون لقتله الحَبَائلَ، وخافَ أنْ يُظفَرَ بكتابه، فكتَبَ إليه كتاباً يُسلّمُ عليه، فيه «(إنّ) شاءَ اللهُ تعـالى»، وشدّد النـون، فلمَّا وصَل إليـه الكتابُ فهمَ الإشـارةَ إلى قوله تعالى: (إنّ الملأ يأتمرونَ بكَ ليقتلوك)[القصـص / ٢٠]، فـردَّ عليه في كتابٍ ضَمَّنـه لفظةَ (إنّا)، وكتَبهـا بخطٍّ متميّـزٍ في الشّكْلِ عن بقيـة الكلمات، ففهم منها: (إنّا لنْ ندْخُلَها ما دَامُوا فيها).».

هكـذا ورد النصّ في أضاميـم الدكتـور السراقبيّ - وقـد زدت فيـه من علامـات الترقيم التـي تنبغي ما كان بالحمـرة، ودونه خطّ - فغاب عنه تخريج الخبر، وخلّـط في تخريج الآيتين اللتين في النصّ بين طريقتين: خـرّج الأولى في المـتن، والثانيـة [الآيـة ٢٤ المائـدة] في الحاشيـة؛ وفاته ما في نصّ الآية الثانيـة الواردة من سقـط كلمة «أبداً» منها، ونصّها هكذا: (إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَـدًا مَا دَامُوا فِيهَـا)[المائدة: ٢٤]؛ فهـل كان ذلك من سهو المحقّق أم من سهو الناسخ؟.

وهـذا الخبر بمـا فيه من تلميح وفطنـة ورد في غير مصدر، وقد كان في بعضها اختلاف في تعيين قطبي هذا المثال: المرسـل الذي أشار إلى المقصـود إشارة خفيّة، والمجيب الذي عرف كنه ذلك، فأجاب المرسل بما أراد، وألمـح إلى ذلك تلميحاً. وأقدمُ مـن ذكر ذلك فيما وقفت عليـه ابن خلّـكان في وفيـات الأعيـان، ٣ / ٤١٠. وفيه يتبـيّن لك أنّ ذلك كان في زمن صاحب حلب: تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس (ت٤٦٧هـ)، وأنّ الكاتب المرسل صاحب الإشارة الخفيّة كاتبُه أبو نصر محمد بـن الحسين بن عليّ بن النحّاس الحلبيّ (ت٤٨٧هـ)، الذي طلب منه الأمير أن يكتب كتاباً إلى سديد الملك عليّ بـن منقذ (ت٤٧٥هــ) يتشوّقه ويستعطفـه ويستدعيه إليـه، ففهم ابن النحاس من ذلك أنّ محمود بن صالح

٢٢- انظر في هذه الترجمة: الأعلام، للزركلي، ٨ / ١٦٢.

٢٣- وفيات الأعيان، ابن خلّكان، ٦ / ٢٦٥.

يقصد بسديد الملك شرّاً، وكان ابن النحّاس صديقاً له؛ فمـا كان منـه إلّا أن كتب له بذلك الكتـاب الذي ضمّنه تلك الإشـارة الخفيّة؛ حتى إذا وصل الكتاب إلى سديد الملك وتأمّله، أجابه بما اقتضاه الحال، وكان من جملة ما كتب: «أنا الخادم المقرّ بالإنعام»، وكسر الهمزة من «أنـا»، وشـدّد النون. فلمّـا وصل الكتـاب إلى الأمير، ووقف عليه ابن النحّاس سُرَّ بما فيه.

قال ابن خلّكان: «فكانت هذه معدودة من تيقُّظه[٢٤] وفهمه؛ وهكـذا ساق هذه الحكايـة أسامة في مجموعه إلى الرشيد بن الزبير في ترجمة ابن النحاس.».

ونقل ذلـك بتفصيله ابن حجّة في ثمـرات الأوراق، ص ٧٤ ـ ٧٥، وأجمـل الدمـيريّ في حيـاة الحيـوان، ١ / ٤٥٤، وأغفـل الأسمـاء؛ وذكر البديعـي نحواً ممّا ذكـره ابن خلـّكان: في كتابـه الصبح المنبـي عن حيثية المتنبـي، ص ٣٢٠ـ ٣٢١، لكنّه لم يصرّح باسم الكاتب، ولم يعزُ الفطنة والتيقـظ في فهم المقصود إلى ابن منقذ نفسه، بل إلى ولد له.

و صريـح ما في الخـبر كما ذكره الصفـدي: الوافي بالوفيـات، ١٧ / ٢٧١، وابـن شاكر: فـوات الوفيات، ٢ / ٢٢١، أنّ الـذي كاتبـه ابـن النحاس يستدعيه إلى الأمـير محمود بن صالح هو الشاعـر الحلبيّ: عبد الله بـن محمّد بن سعيـد بن سِنـان، أبو محمّـد الخفاجي (ت٤٦٦هـ)؛ وأنّه كتب إليه بعد ذلك: [البسيط]

خف من أمنت ولا تركن إلى أحد
فما نصحتُك إلّا بعد تجريب
إن كانتِ التُّرك فيهم غير وافيةٍ
فما تزيد على غدر الأعاريب

٢٤– أي: مـن تيقّـظ سديد الملك وفهمه. وهو دون شـكّ دالّ أيضاً علـى ذكاء ابـن النّحـاس وحذقه. والمقصـود بـ«أسامـة» في بقية الخبر أسامة بن منقذ (ت٤٨٥هـ).

تمسكوا بوصايا اللؤم بينهم
وكاد أن يدرسوها في المحاريب.

ونصّ الأبشيهـي، في المستطـرف، ١ / ١٦١، على أنّ كاتـب ذلك الكتاب هـو القاضي الفاضل، أرسله إلى صديق لـه خصيص به، وقع بينه وبـين الملك الناصر صـلاح الدين أمـر، فغضب عليه، وهمّ بقتلـه، ففرّ إلى بـلاد التتر، وصـار وزيراً عندهم، فأمـر الملكُ القاضي الفاضل أن يكتب له كتاباً يستدرجه فيه؛ ليقتله، فكان من ذلك ما كان.

وذكـر داود الأنطاكيّ(١٠٠٨هـ) في تزيين الأسواق في أخبـار العشـاق، ٢ / ١١١، أنّ ذلـك وقـع للمتنبيّ: «مـدح بعض أعـداء ملكه، فغضب عليه، وهـمّ أن يفتك بـه، فهـرب، فأمـر الملـك بعد مـدة كاتبـه أن يلطف له القول؛ ليأتي فيخدعه، وكان الكاتب يحب المتنبي، ولم تسعـه المخالفـة، فكتـب في آخر الكتاب: «قـد عفونا إنّ شاء الله»، وشدّد النون. فلمّا وقف عليه رحل، وأرسل إلى الكاتب الكتاب، وقد زاد ألفاً بعد النون المشددة.».

قـال الأنطاكي: «وهـذه من ألطف الإشـارات؛ فإن الكاتـب أراد بـ«إنّ» قوله تعـالى: (إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلُـوك فاخرج إنّي لكَ مـنَ النّاصِحـين) [القصص: ٢٠]، وأراد المتنبـي بزيادة الألف قولـه تعالى: (إنّا لن ندخلَها أبدًا ما داموا فيها) [المائدة: ٢٤].».

وقد أنكر البديعيّ نسبـة ذلك إلى المتنبّي، فقال[٢٥]: «وهذه الحكاية ينسبها من لا اطّلاع له على الأخبار إلى أبي الطيب المتنبي، ويقول: .... وهذه موضوعة. ».

وخلاصـة الأمر في ضوء ما وقفت عليه من مصادر أنّ ذلـك كان أوّل مـا كان في زمن صاحب حلب محمود بن صالح بن مرداس، وأنّ الكاتب الذي تفتّق ذهنه عن تلـك الإشارة الخفيّة هو الكاتـب الحلبيّ ابن النحّاس،

٢٥– الصبح المنبي في حيثية المتنبي، يوسف البديعي، ص ١٢٣.

وأنّ الفطن الحذق الذي أدرك ذلك وفهمه على وجهه هو عليّ بن منقذ، أو ابنه، أو الشاعر الحلبي الخفاجيّ. على أنّ ذلك يمكن أن يكون قد صدر عن آخرين عن يقظة وفطنة أو عن اتّباع وتقليد.

– ورد في [ص ٩٨ سطر٩] في المثال الثالث من أمثلة الإشارات الخفية في الفصل الثالث قولُ المتنبّي:

بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا

اللابساتُ مِن الحريرِ جلاببا

الذي ضبط المحقّق حرف الجرّ فيه «مِن» بكسر النون لالتقاء الساكنين، وحقُّه أن يُضبَط بالفتح؛ لأنّ فتح نون «من» إذا التقت ما فيه «أل» أن تُفتَح وجوباً، وكسرها ضعيف، وقد نصّ أبو حيّان في كتابه الارتشاف، ٢ / ٧٢٣، على أنّ ذلك لغة نجرانيّة.

– ورد في الفصل الثالث [ص٩٨ ـ ٩٠] في أمثلة الإشارات الخفيّة ما نصُّه: «ومن ذلك حكايةُ الشريف المرتضى في: (لك يا منازلُ في القلوب منازلُ)

وهي مشهورة، واتّفق نظيرها، وهو أنّي أنشدتُ يوماً بيتاً للطّرمّاح استشهدت به على نوع نحويٍّ، فقلت: ما أحسنَ القصيدةَ التي أنشدها أبو تمّام في الحماسة، ففهم ما أردتُ. والمشار إليه في القصيدة قولُه: [الطويل]

لقد زادني حُبّاً لنفسي أنّني

بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ».

وقد كان من وجوه خدمة المحقّق لهذا النصّ أن عرَّف بالشريف المرتضى، وبالطِّرمّاح، وبأبي تمّام؛ وخرّج قولَ أبي الطيّب من ديوانه، وقول الطرمّاح من الحماسة. وهذا جيّد، لكنّ النظر والمراجعة يدلّان على غياب بعض ما كان يجب أن يكون، وأنّ بعض الأشياء لم تكن كما يجب:

١– النصُّ فيه خللٌ مؤذن بسقط شيء منه، يدلّ عليه الانتقال غير المتماسك من «أنشدتُ يوماً بيتاً للطّرمّاح استشهدت به على نوع نحويٍّ،» إلى «فقلت: ما أحسنَ القصيدةَ التي أنشدها أبو تمّام في الحماسة،» ثمّ إلى «ففهم ما أردتُ.»؛ دون واسطة تزكّي اختلاف الضمائر وتؤذن به.

ويؤكّد هذا التقدير ما في النسخ الخطّيّة التي اطّلعت عليها؛ فإنّ فيها[٢٦]: «واتّفق لي نظيرُها، وهو أنّي أنشدتُ يوماً بيتاً للطّرمّاح استشهدت به على نوع نحويٍّ، **فقال شخصٌ متعنّت: إنّه لا يُحتجّ بشعر الطّرمّاح**، فقلت:...».

٢– من حقّ النص في استعمال علامات الترقيم أن يختم المحقّق جملة التعجّب «ما أحسن القصيدة التي أنشدها أبو تمّام له في الحماسة» بعلامة تعجّب (!)، لا بفاصلة (،).

٣– من المفيد التنبيه على أنّ ضبط الباء في «حبًّاً» في قول الطرمّاح بالفتحة مع وجود تنوين النصب على الألف ليس من المعتمد في ضبط آخر الاسم المنصوب المنتهي بألف النصب؛ بل المعتمَد الاكتفاءُ بالتنوين على الألف، على المشهور، أو على الحرف الأخير من الكلمة الذي قبل ألف التنوين، ولكلّ مذهب من هذين المذهبين أنصار وحجج.

وقد دعاني إلى هذا التنبيه انتشار هذا الوجه من الضبط فيما يُكتَب ويُنشَر، وورودُه غير مرّة في هذه الأضاميم، وقد وقع في هذه الرسالة ثلاث مرّات [ص ٨٦، ٨٩، ٩٩]. والتنبيه عليه واجبٌ، وإن كان ذلك في الغالب صادراً عن منضِّد يفتنّ فيما يصنع ويتزيّد، ويخفى عنه الوجه.

٤– قول المحقّق في الحاشية في تخريج قول المتنبّي:

٢٦– لن أنبّه هنا على ما بين النسخ من فروق، وإنّما اكتفي بذكر بنيته الكليّة الدالّة على ما أريد بيانه.

«صدر بيت لأبي الطيّب بشرح الواحدي، وهو في ديوانه: ٣٦٥.» = غيرُ كافٍ؛ لأنّ تمام الأمر بذكر عجز البيت، وهو:

أقفرت أنتِ وهنّ منك أواهلُ

ولا يخفى ما في الكلام الذي في الحاشية من هجوم بعضه على بعض، وحقّه أن يكون: صدر بيت لأبي الطيّب، وهو في ديوانه بشرح الواحدي: ٣٦٥، وعجزه: أقفرت أنتِ وهنّ منك أواهلُ.

زد على ذلك أنّ من حقّ هذا البيت أو شطره أن يسمّي المحقّق بحره العروضيّ، وهو البحر الكامل.

٥- قولُ المحقّق في الحاشية تعليقاً على ما كان في المتن من ذكر حماسة أبي تمّام: «لأبي تمّام حماستان، الكبرى وهي بشرح التبريزي والمرزوقي، والصغرى وتسمّى (الوحشيّات)، وقد نشرها العلامة المرحوم عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وصدرت عن دار المعارف في القاهرة.» = من التزيّد الذي لا حاجة إليه؛ لأنّ الكلام من الوضوح والاستغناء بمكان، وليس فيه ما يُوهِم أو يُفضي إلى اللّبس، و(الحماسة) إذا أُطلِقت أُريد بها الحماسة الكبرى المشهورة التي يعلمها المختصّون والمهتمّون.

٦- كان من الواجب أن يذيّل المحقّق ترجمة كلّ من ترجم له من الأعلام الذين كانوا في النصّ من المصدر الذي أفاد منه في ذلك، ولا شكّ في أنّه في بعض ذلك كان كتاب الأعلام للزركلي.

٧- لم يخرّج المحقّقُ حكاية الشريف المرتضى في قول المتنبّي: «لك يا منازلُ في القلوب منازلُ» التي حكاها ابن هشام في النصّ المذكور، ووصفها بقوله: «وهي مشهورة» = من مظانّها، أو من بعضها، وهي كثيرة. ومن أقدم ذلك مثلاً معجم الأدباء لياقوت، ١ / ٣٠٢، والوافي بالوفيات للصفدي، ٧ / ٦٤ـ ٦٥، ونكت الهميان للصفدي، ص١٠٣، ومرآة الجنان لليافعي، ٣ / ٥٣، والبداية والنهاية لابن كثير، ١٥ / ٧٤٦ـ٧٤٧.

٨- علّق المحقّق ثمّة في الحاشية على قول ابن هشام: «وهي مشهورة.» بما نقله من هامش النسخة المخطوطة التي اعتمد عليها، فقال: «جاء في هامش المخطوطة: قوله: «وهي مشهورة»، وهو أنّ بعضهم ذمَّ المتنبّي في مجلس بأنّه ليس من الشعراء البلغاء، وانتقص شعره، فأجابه بعضهم بأنّ أبا الطيب لو لم يكن له إلّا قصيدته التي أوّلها: «لك يا منازلُ في القلوب منازلُ» لكفى. والذي أراده من القصيدة المذكورة قوله:

وإذا أتتكَ مذمّتي منْ ناقصٍ فهيَ الشهادةُ لي بأنّيَ كاملُ».

وهذا من المحقّق من حيث المنهجُ وخدمة النصّ صحيح، لكنّه غيرُ كافٍ؛ فهل يكفي هنا الإبهام والتنكير، فيقال: «أنّ بعضهم ذمَّ المتنبّي في مجلس بأنّه ليس من الشعراء البلغاء، وانتقص شعره، فأجابه بعضهم بأنّ أبا الطيب ...»؟.

إنّ من واجب المحقّق هنا أن ينبّه على أنّ الذي حاجّ بقول أبي الطيّب: «لك يا منازلُ في القلوب منازلُ»، وأشار به إشارةَ الذكيّ الفطن إشارةً خفيّةً إلى بيته الآخر من نفس القصيدة، = هو أبو العلاء المعرّي، وعلى ذلك أجمعت المصادر، «وكان أبو العلاء يتعصّب للمتنبي، ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويفضِّله على بشار ومَن بعده مثلِ أبي نواس وأبي تمام» كما قال ياقوت؛ وكان يعتني بشعره ويستجيده. وقد أراد المعرّي بذلك أن يغمز من الشريف المرتضى، الذي كان - كما قال ياقوت - «يُبغض المتنبي ويتعصّب عليه»، وكان ذلك في مجلس الشريف المرتضى كما نصّت معظم المظانّ؛

علـى أنّ ابـن كثـير في البدايـة والنهايـة، واليوسي في المحاضـرات في اللغـة والأدب [ص٩٧] شـذّا عن ذلك؛ إذ ذكـر الأوّل أنّ ذلك كان في مجلس «**الخليفة**»، وذكر الثـاني أنّـه كان في «مجلس **الأمـير**»، دون أن يعيّنا في ذلـك أحـداً بعينه. فجرى في ذلـك المجلس ذكر المتنبي، فتنقّصـه المرتضـى وجعـل يتتبـع عيوبـه، فمـا كان مـن المعـرّي إلّا أن قـال ما قال؛ ومـا كان من الشريف المرتضـى إلّا أن غضـب، وأمر فسُحِـب المعرّي برجله وأُخـرِج من مجلسه، ثـمّ بيّن لـمن كان بحضرته مراد أبي العلاء. وهذا كما قال اليافعيّ: «مما يدلك على فرط ذكاء أبـي العلاء المعري، وفرط ذكاء الشريف، وفهمه ذلك في الحال.».

- كان آخر أمثلة الإشارات الخفيّة التي ساقها ابن هشام في الفصل الثالث ما كان بين أبي جعفر المنصور ورجـل كان يسايره، ولا يتكلّم إلّا إذا سُئِل، وإذا أجاب لا يزيـد على الجـواب، حتّى إذا مرّا ببيـت عاتكة «قال المنصـور: هذا بيـتُ مَنْ؟ فقـال: هذا بيـتُ عاتكة الذي يقول فيه الشاعر: [الكامل]

يا بيـت عاتكـة الذي أتعـزّل

حذر العدا، وبه الفؤادُ موكّلُ

فقـال له: أخـذت ما رسَمْنا به؟، فقـال: لا، فأمر أن يُعطـاه، فسُئِل عن ذلك، فقـال: إنّ هذا رجل لا يتكلّم إلّ بحكمة، وقد زاد على الجواب بالاستشهاد(.)، فعلمت أنّه يُشير إلى قول الشاعر: [الكامل]

وأراكَ تفعلُ ما تقول وبعضُهم

مذِقُ الحديثِ يقول ما لا يفعل».

وقـد كان من وجوه خدمـة المحقّق لهـذا النصّ أن صحّـح مـا وقـع مـن تصحيف في كلمـةٍ منـه، وضبط بعـض ألفاظـه، وأقـام جملـة صحيحـة مـن علامـات الترقيـم في مظانّها؛ وعـزا قول الشاعر الـذي أراد به مُساير المنصور إشـارةً خفيّة فهمها المنصور، وعرف ما وراءها، عـزاه إلى صاحبه (الأحوص)، وعرّف به، وبالمنصـور بإيجاز، تعريفاً اقتبسـه من كتاب الأعلام للزركلـي، دون عزو. لكنّ الفحص والتأمّل يدلّانك على أنّ المحقّـق لم يبلغ الغاية فيما ينبغي من خدمة النص. وهذا الشاهد على ذلك:

١- غفـل المحقّـق عن بعـض ما ينبغي مـن علامات الترقيم في بعض المواضع، وقد استدركتها كما تلاحظ في مواضعهـا بالحمـرة، ودونها خـطّ؛ فضلاً عن كون علامة الترقيم على غير ما ينبغي في موضع.

٢- غفـل المحقّق عن التعريف بـ «عاتكة». وعاتكة: هـي بنـت يزيد بـن معاويـة، وكانـت ممّن يشبـب بها مـن النساء. وهذا الـذي عليه الناس. وروى صاحب الأغـاني[٢٧] بسنده عن إسحاق بـن عبد الملك، ويعقوب بـن حكيم قولاً غريباً، وهو أنّ الأحوص كان ليناً، وأن عاتكة التي ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بـن معاويـة، وإنما هو رجل كان ينـزل قرًى كانت بين الأشراف كنّى عنه بعاتكة، ولا يقدر أن يدخل عليه.

٣- لم يشـرح المحقّـق ما كان في النصـ على لسان المنصور من قولـه: «أخذت ما **رسمنا به**؟»، وذلك ممّا يحسن فيه. ومعناه: ما أمرنا به[٢٨].

٤- وقـع في ترجمـة المنصـور في الحاشية السابعة [صـ٩٩]: «وتـوفّي عـام ١٤٥هــ». وهـذا غلـط لا أعلم مصدره، والصحيح أنّه توفّي عام ١٥٨هـ.

٥- أهمـل المحقّـق تخريج هذا الخـبر، وقد ورد في مصـادر كثـيرة، منها: الأغاني لأبـي الفرج، ٢١ / ٨٠-٨١، وثمـار القلوب للثعالبـي، ١ / ٤٨٧، وزهر الآداب للحصـري، ١ / ٢٤٧، والتذكـرة الحمدونيـة لابـن

٢٧- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني،٢١ / ٧٧.

٢٨- انظر: تاج العروس، الزبيدي، (رسم) ٣٢ / ٢٥٦.

حمدون، ٨ / ٣١٠ ـ ٣١١، ونور القبس لأبي المحاسن اليغموري، ص٤٣ ـ ٤٤، ووفيات الأعيان لابن خلّكان، ٢ / ٢٩٦ ـ ٢٩٧، ونهاية الأرب للنويري، ٣ / ١٦١، ومرآة الجنان لليافعي، ١ / ٢٦١ ـ ٢٦٢.

ويستبين لك أنّ مصادر هذا الخبر لا تكاد تختلف في أنّ ذلك كان حين حجّ المنصور، ودخل المدينة، وأراد دليلاً يعرّفه ديار قومه لبعد عهده بها، وقد كان ذلك الدليل العارف في بعض المصادر رجلاً من أهل المدينة أديباً عارفاً بظريف الأخبار وشريف الأشعار، وذكر بعضُها أنّه أبو بكر الهذلي (ت١٥٩هـ)، واسمه كما في نور القبس[٢٩]: «سلمان أو سَلم، وقيل: سليمان بن عبد الله، وأمّه بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري. وقال ابن أبي خيثمة: اسمه سلمي بن عبد الله، وكذا قال يحيى بن معين. أبو بكر الهذلي، واسمه سُلْميّ بن عبد الله بن سُلْميّ، مات في سنة تسع وخمسين ومئة.».

وفي جمع الجواهر[٣٠]: «وهذا أحسنُ إفهام من الفتى، وأدقُّ فَهْمٍ منَ المنصور، ولم أسمع في التعريض بألطفَ منه.».

وشذّ عن ذلك اليوسي في محاضراته: ٩٧، إذ ذكر أنّ ذلك مّما وقع للكسائي، وكان وعده الرشيد صلة ثم غفل عنه، فاتفق أن سايره يوماً إلى أن مرُّوا بموضع فقال: يا أمير هذا منزل عاتكة الذي يقول فيه الشاعر:....؛ والبكري في سمط اللآلي،١ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠، إذ ذكر «أن المنصور أبا جعفر لـمّا أتى البصرة اختار رجلاً من أهلها أديباً فصيحاً عالماً بأهلها وأخبارهم؛ ليقِفَه على دور أشراف أهل البصرة ويعلمه أخبارهم،...».

ولاشكّ أنّ ذلك من واجب المحقّق في خدمة النصّ وما فيه ممّا يحتاج إلى تبيين وتحقيق.

– ورد في الفصل الرابع من الرسالة الذي عنون له ابن هشام بقوله: «في التصحيفات اللوذعيّة» [ص ١٠١ السطرين: ٤ و٥]: «قيل: إنّ أولَ من تكلّم في ذلك عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ فقال: «**كلْ عنبَ** الكَرْم **يغطّيه**»، أراد: «كلُّ عيبٍ الكَرَمُ يغطّيه».».

هذا أوّل ما ورد في هذا الفصل من أمثلة التصحيفات التي وصفها ابن هشام بـ«اللوذعيّة»، وقد ورد في النصّ الذي حقّقه الدكتور السراقبي كما ذكرت دون أيّ وجه آخر من وجوه الخدمة والعناية. وممّا أراك تراه هاهنا من ذلك:

١– شرح كلمة «اللوذعيّة». وهي مؤنّث اللوذعيّ، وهو: الذكيّ الظريف الذّهن، كما نصّت المعاجم. والمقصود بـ«التصحيفات اللوذعيّة» هنا تلك التصحيفات الطريفة التي تصدر عن ذكاء وفطنة وظرافة.

٢– كان على المحقّق أن يلتفت إلى تخريج ذلك، وأن يبحث عن المراد من سياقة ذلك بالبناء للمجهول: «قيل»، وأن ينبّه على ذلك إمّا وجدَه وإمّا عدمَه؛ فإن كان ذلك أفاد القارئ والنصّ، وإلّا فقد أدّى مسؤوليته بإزاء ذلك بأمانة. وهنا أقول: لم أعثر على هذا النص، والتصحيف الذي نُسب إبداعُه إلى عليٍّ رضي الله عنه؛ إلّا فيما نقله المحبّي[٣١] من كلام ابن هشام هذا، مع شيء من اختلاف.

قال: «وأول من صحَّفَ عليٌّ رضي الله عنه، في قوله: [مجزوء الرمل]

كلْ عِنْبَ الكَرْمُ يُعطيـ ه إلّا عنْبَ الذِّئـبِ
كل عيـبٍ الكَرَمُ يُغطْـ طِيهِ إلّا عيبَ الذنبِ

٢٩ نور القبس، أبو المحاسن اليغموري، ص٤٠، و٤٦.

٣٠ جمع الجواهر في الملح والنوادر، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري، ط الشاملة، ص٢٧.

٣١– في نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، ١ / ٤٦٣ ـ ٤٦٤. ومنها نقل الأستاذ نعيم زرزور قول عليّ رضي الله عنه في ديوان الإمام عليّ، ص٤٢.

ذكره ابن هشام في (موقد الأذهان وموقظ الوسنان).».

ولا يخفى ما في النصّ الذي نقله المحبّي من خلاف في الصياغة، وفي خلّوه من لهجة التمريض والارتياب في نسبة الأوّلية في التصحيف إلى عليٍّ رضي الله عنه، وما في العبارة التي نُسبت إلى عليّ من زيادة خلا منها نصّ الرسالة التي حقّقها السراقبيّ. وهذه الزيادة وردت في إحدى نسخ الرسالة الخطيّة التي اطّلعت عليها. على أنّ آخر كلمة في العبارة الصحيحة – أي: التي خلت من التصحيف – في تلك النسخة كانت «الدين».

وتخريج الأخبار التي وردت فيها سائر الأمثلة، أو تخريج تلك الأمثلة، كان المحقّق منه بمعزل. على أنّي لم أعثر فيما وقع بين يديّ على شيء من مظانّ الخامس[٣٢] من تلك الأمثلة.

٣– لست في شكّ من أنّ ضبط الكلمتين الأُولَيَين من العبارة المصحّفة: «كلْ عنبَ» على الوجه الذي ضبطهما به المحقّق، وهو ضبط دالٌّ على أنّهما فعل ومفعول، = ليس له حظٌّ من الصواب مع وجود كلمة «يغطّيه».

وإلى ذلك يبدو المناسب للتصحيف الذي غشي العبارة المصحّفة وتمكّن منها أن يكون الفعل الذي فيها: «يعطيه» بالعين، من العطاء، لا «يغطّيه» بالغين كما وردت في نصّ السراقبي.

– وقع في الفقرة الأولى كما ساقها المحقّق ثلاثة أمثلة من أمثلة التصحيفات اللوذعيّة، اتّصل الكلامُ على كلٍّ منها بالآخر، واقتفى بعضه أثر بعض. لكنّ تقسيم النصّ على وجهه يقتضي أن يُفصَل الكلام على كلِّ مثال عن الآخر. ومن ثَمّ يكون أوّل الكلام على المثال الثاني [سطر٥] في بداية السطر السادس في صدر كلام جديد؛ وأول الكلام على المثال الثالث [سطر٨] في بداية السطر التاسع في صدر كلام جديد.

– وقع المثال الثالث من هذه الأمثلة في النصّ التالي: «وسُئِل الحسن بن وهب: ما تصحيف (كُلني فبعني بحبَّتَين)؟ فقال: كلّ شيءٍ منكَ في عَيني حسنٌ.».

وقد خدمه المحقّق بما ينبغي من الضبط، وترجم للحسن بن وهب ترجمة اقتبسها من كتاب الأعلام للزركلي دون عزو، غير أنّه تلعّب بزمن وفاته؛ ذكره الزركلي بلفظ: «نحو ٢٥٠ هـ»، وأهمل المحقّق منه كلمة «نحو».

وكان بإمكان المحقّق أن يخدم النصّ بأزيدَ من ذلك؛ إذ لو تأمّلَ العبارةَ المصحّفة مقابلةً بالعبارة الصحيحة لأيقن أنّ ثمة كلمة سقطت من العبارة المصحّفة. ولست أدري هل أسقطها ناسخ النسخة التي اعتمدها المحقّق، أم كان ذلك عن سهو من المحقّق نفسه؟.

والذي جعلني أقطع بذلك، فضلاً عن مقابلة العبارتين إحداهما بالأخرى، أنّ تلك الكلمة ثابتة في كلّ ما اطّلعتُ عليه من نسخ الرسالة الخطيّة؛ وأنّها ثابتة فيما وقفت عليه من مظانّ هذا المثال، فقد ساق الآبي مثلاً في كتابه نثر الدر،٥ / ١٧٤، هذا المثال من أمثلة التصحيف دون أن ينسبه إلى الحسن بن وهب.

قال: «ومن هذا الجنس حروف وكلمات من المُصحَّف عمداً لا سهواً: ... كلني بيمينك فبعْني بحبَّتين: كلّ شيء منك في عيني حسن...».

– ورد بعد ذلك من كلام ابن هشام في الفصل الرابع من الرسالة [ص١٠١ ـ ١٠٢] النصّ التالي:

٣٢– وهذا كان حالي مع المثالين الثاني والسابع حين أعددت هذه الكلمة في صورتها الأولى، ثمّ وقفت بعد بحث عليهما في مخطوطة كتاب ابن خيرة الإشبيلي: (ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب): القسم الأوّل: ٩٩ / ب، في موقع شبكة الألوكة www.alukah.net. وأصل هذه المخطوطة في مكتبة ليدن في هولندا. على أنّ في ترتيب الأوراق فيها هنا اضطراباً؛ إذ جاء (٩٩ / ب) مع وجه ورقة أخرى، لا مع (٩٩ / أ)؛ لذلك ضاع منها شيء من خبر له صلة بالفصل الرابع «في التصحيفات اللوذعية» من رسالة ابن هشام.

«وذُكـرَ في مجلسِ التّصحيـفُ، فادّعـى معرفَته، فقيل لـهُ: ما تَصْحيفُ (نصَحْتُ فخنتَنـي)؟ فقال: تصحيفٌ حَسَـنٌ، فاتُّهـم في سرْعة الجـواب، فقال لـه شاعرٌ منْ بَلَنسيـة (٢): مـا تصحيـف (بَلَنْسيـةَ)؟ فقـال: أربعةُ أشْهـرٍ. فقـال شاعرٌ: صـدقَ ظنّي، إنّـك تنتجل(١) ما تقـول، وأيُّ نسبةٍ بـين (بَلَنْسية) وأربعـةِ أشهرٍ(،)؟. فقال(٢):

عليَّ نَحْتُ القوافي منْ مَعَادنها
وما عَــــليّ إذا لم تَفْهم البَقَرُ

فتنبَّهـوا بعْدَ انْصرافهِ فإذا أربعةُ أشهرٍ ثلثُ سنة، فخَجلوا منه.».

وقد أقام المحقّق هـذا النصَّ على الوجه الذي تراه بـين يديك، وزاد علـى ذلـك بما دلّـت عليـه الحواشي الثـلاث المتّصلـة بالنصّ؛ إذ قـال في الحاشيـة الأولى: «(٢) في المخطوطة (بلنسية) وبلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس، وتُعرَف بمدينة التراب.».

وشـرح في الثانيـة الفعل «تنتجـل» فقـال: «(١) تنتجل: من نجلَ الشيءَ: إذا ضربه برجله فتدحرج.».

وخـرّج في الثالثـة البيت الـوارد في النصّ، وعزاه إلى قائلـه، فقال: «(٢) البيت للبحتري، وهو في ديوانه ٢ / ٩٥٥، والروايـة فيه:«...من مقاطعها ... وما عليَّ **لهـا** أن تفهم...» وهو في الموازنـة للآمدي٢ / ٢٥٩ كما في المخطوطة، ونُسِـب إلى المخيّم الراسبي أحد شعراء دولة الرشيد.».

وذلك عند النظر والمراجعة غير كافٍ. وإليك الدليل:

١- النصُّ فيه سقط وتحريف وتصحيف، وبعضُ مـا فيـه يحتـاج إلى شـيء من بيـان، وبعضُ علامات الترقيم فيه كانت على غير وجهها الصحيح.

أمّـا السّقـط والتغيير بالتصحيـف والتحريـف اللـذان يشـي بهما شـيء من إبهـام وخلـل في النصّ، وتؤكّـده النسخ الخطّيّة التي اطّلعـت عليها من رسالة ابـن هشام، والمصـادر التي كان فيها هذا الخبر = فلا أدري هـل نبت على يد المحقّـق أم أنبته الناسخ وسقاه المحقّق.

ولو كان لك أن ترمّم هذا النصّ كما يقتضي تماسك الـكلام والمعنـى، ومظـانّ الخـبر، والنسـخ الخطّيّـة الأخرى؛ لكان على هذا الوجه:

«وذُكـرَ في مجلسِ التّصحيـفُ، فادّعى**[شـابٌّ حاضـرٌ]**[٣٣] معرفَته، فقيل لهُ: مـا تَصْحيفُ «نصَحْتُ فخنتَنـي»؟ فقـال: تصحيـفٌ حَسَنٌ، **[قيـل: فما هو؟. قـال: قـد أجبتكـم؛ يعنـي بقولـه: «تصحيـف حسـن»]**[٣٤]؛ فاتُّهم في سرْعـةِ الجواب، فقال له شاعرٌ مـنْ بَلَنسيـة: مـا تصحيـف (بَلَنْسيـةَ)؟ فقـال: أربعةُ أشْهـرٍ. فقـال **الشاعـرُ**: صدقَ ظنّـي، إنّـك **تنتحل** ما تقول، وأيُّ نسبةٍ بين (بَلَنْسية) وأربعةِ أشهرٍ؟. فقال:

عليَّ نَحْتُ القـوافي منْ مَعَادنــها
وما عَــليّ إذا لم تَفْهـمِ البَقَــرُ
فتنبَّهوا بعْدَ انْصرافه فإذاأربعةُ
أشهرٍ ثلثُ سنة، فخَجلوا منه.».

وأمّـا مـا كان بحاجـة إلى تبيـين فقولـه في تفسـير تصحيـف «بلنسيـة = أربعـة أشهر»، وبيـان النسبة بينهمـا: «فإذا أربعةُ أشهـرٍ ثلثُ سنة»؛ ذلك أنّ تركيب «ثلث سنة» هـو تصحيف «بلنسية» كمـا نصّت بعض المصادر التي ذكرت الخبر.

وأمّا مرادي بوضـع بعض علامات الترقيم في بعض المواضـع علـى غير وجههـا فشيء أجبـت عنه بوضع

٣٣- هذه العبارة لا بدّ منها، وهي واردة في جميع النسخ الخطّيّة، ويطلبها صحّة الكلام واستقامته.

٣٤- مـا بـين القوسين ورد في بعض النسخ الخطّيّـة دون بعض، ومـن النسـخ التـي وردت فيها نسخٌ أقـرب ما تكـون إلى النسخة التي اعتمد عليها المحقّق؛ ولذلك كان إيراد هذا أولى من تركه.

العلامة الصحيحة في موضعها بالحمرة، دونها خطّ.

٢- كان من واجب المحقّق أن يخرّج الخبر من مظانّه. ومن المظانّ التي كان فيها هذا الخبر تصحيحُ التصحيف، ص٥٨، والغيث المسجم، ٢ / ٨٤، وكلاهما للصفدي، نقل ذلك فيهما من كتاب (الرّيحان والرّيعان) لابن خيرة الإشبيلي(٣٥)، وثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي، ص٢٧.

ولو نهض المحقق بذلك لكان بين يديه دليل صحيح لإقامة النص على وجهه بعيداً عن السقط والتصحيف والتحريف.

٣- قول المحقّق في الحاشية التي قال فيها: «في المخطوطة (بلنسية)...» في ضوء ما ورد في النصّ الذي أثبته المحقّق = غير واضح، ولا أعرف له تفسيراً مؤكّداً.

٤- شرحُ الفعل «تنتجل» بما ورد في الحاشية لا حاجة إليه بعد ما تبيّن أنّ هذا الفعل مصحّف من «تنتحل». بل إنّ هذا الفعل «تنتجل» بمعناه الذي ذكره المحقّق في تلك الحاشية لا يناسب سياق النص، وما يكتنفه. والمقصود الذي يطلبه السياق هو الفعل «تنتحل» بمعنى: تدّعي الشيء لنفسك، وهو لغيرك؛ ويؤكّده عطفه في المصادر التي ذكرت الخبر على الفعل «تدّعي».

٥- تخريج البيت الوارد في النصّ وعزوه إلى قائله في الحاشية، فضلاً عن تعيين بحره العروضيّ، على ما فيه من سلامة = غيرُ كافٍ، وفيه شيء من عدم الدقّة؛ فمن دواعي هذين الحكمين أنّ الصفدي عزاه في كتابه الوافي، ٢٠ / ١٩٨، إلى ابن الرومي، ولم أجده في ديوانه بتحقيق الدكتور حسين نصّار؛ وأنّ البيت في ديوان البحتري كان برواية: «وما عليّ **لهم** أن تفهم البقر»، وأنّ ما نقله المحقّق من كتاب الموازنة للآمدي، ٢ / ٢٥٩، من أنّ هذا البيت نُسِب إلى المخيّم الراسبي أحد شعراء الرشيد = قد يوحي بخلاف ما يدلّ عليه السياق الذي ورد فيه هذا البيت في الموازنة في غير موضع: ١ / ٣٢٣،٢ / ٢٥٩، من أنّه للمخيّم الراسبيّ، وأنّ البحتري أخذه منه.

- كان المثال التالي لذلك ما ساقه ابن هشام في قوله: «وكتبَ وزيرُ ابن عبّادٍ إليه: [الكامل]

وإذا صَفَا لكَ مِنْ زمانِكَ واحدٌ
فاحرِصْ عليهِ، وأينَ ذاكَ الواحدُ!

فوقّع في الكتاب: صَحّف تعرفْ، فلمّا قرأه **صارَ** مسروراً: لأنّ تصْحيفَ (أينَ ذاكَ **الواحد**) أنتَ ذاكَ الواحدُ.».

هكذا ورد في النصّ الذي حقّقه الدكتور السراقبيّ، أقامه على هذا الوجه من الضبط ووضْعِ علامات الترقيم، وتعيين البحر العروضي للبيت، وزاد على ذلك أنْ عرّف بابن عبّاد ووزيره ابن عمّار(٣٦) بإيجاز، مقتبساً التعريف بهما من كتاب الأعلام للزركلي دون عزو، ومهملاً لزمن وفاتهما خلافاً للمعتاد. لكنّه لم يُوفِ على الغاية، وهو ما تدلّ عليه الشواهد التالية:

١- لم يخرّج المحقّق البيت من مظانّه. ولو سعى لذلك سعيه لعرف أنّه كان قبل أن يكون ابن عمّار (٤٢٢-٤٧٧هـ) والمعتمد بن عبّاد (ت٤٨٨هـ)؛ فقد ذكره أبو حيان التوحيدي في كتابه الصداقة والصديق، ص١٣٥، وانظر: زهر الأكم،٢ / ٢٦٦. وهذا من المهمّ المفيد الذي يطرد ما قد ينتهي إلى وهم بعض القرّاء من

٣٥- وقطعة من الخبر في مخطوطة (ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب)، ١: ٩٩ / ب.

٣٦- وما ورد ثمّة [ص ١٠٢ حاشية ٤] في تعريف ابن عبّاد: «صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولها» فيه خطأ طباعي، والصحيح: «وما حولهما» بضمير التثنية.

نسبة البيت إلى ابن عمّار؛ على أنّ توظيف التصحيف فيه هو من ذكاء ابن عمّار وفطنته.

ولو كان ذلك لعرف المحقّق أيضاً أنّ رواية عجز البيت المتعارفة هي: «فهو المراد، وأين ذاك الواحد؟». وعلى هذا الوجه ورد البيت في جميع النسخ الخطّية من رسالة ابن هشام التي اطّلعت عليها.

٢- يبدو لي أنّ الفعل «صار» من قوله: «صار مسروراً» محرّفٌ عن «طار»، وبالطّاء ورد هذا الفعل في بعض نسخ الرسالة المخطوطة. على أنّي لم أقف على شيء من مظانّ هذا الخبر، فيؤكّدَ ذلك أو ينفيَه.

٣- ضبط كلمة «الواحد» في قوله [ص١٠٢ سطر١٠]: (أين ذاكَ الواحدِ) بالكسر سهوٌ ظاهر.

٤- المناسب لمعنى التعليل الذي دلّت عليه «لأنّ» [ص١٠٢ سطر٩] من علامات الترقيم الفاصلةُ المنقوطة (؛) لا النقطتان (:)؛ والمناسب لمعنى الاستفهام المجازي في عجز البيت هو إشارة الاستفهام (؟) لا علامة التعجّب، إلّا أن تجمع بينهما (؟!) مراعاة للّفظ والمعنى المجازي.

- من أمثلة التصحيف الطريفة ما كان في النصّ التالي الذي ساقه ابن هشام [ص١٠٢-١٠٣] إثر ذلك: «ومن مُلَح ابنِ عبّاد مع وزرائه بإشبيلية، فأجازوا بالموضع الذي يباعُ فيه الجيرُ والجبسُ، فألفَوا هناكَ جاريةً منْ أحسنِ الناسِ وجهاً، وأكثرِهم بذاءةً وفُحشاً، فأقبل **عليّ بنُ عبّاد**، وقال: الجيّارين؟ فقال: نَعَمْ، والجبّاسين. فلم يعلم الحاضرونَ ما أرادَ. فسألوا ابنَ **عبّاد**، فقال: إنّه قال: **الجَيّازين**، وقلت: **الخنّاسين**، فأين هذه الأذهانُ الشريفةُ من رجل...».

هكذا ورد النص في تحقيق الدكتور السراقبيّ الذي اجتهد في إقامته، وتبيين بعض ما فيه؛ وقد صحّح بعض ما وقع على غير وجهه في الأصل المخطوط كما تدلّ على ذلك بعض الحواشي، وعرّف بإشبيلية، وشرح معنى كلمتين: «الجيرُ» و«الخنّاسين». لكنّه لم يبلغ الغاية فيما ينبغي، واستعصى عليه شيء فيه كما تدلّ بعض حواشيه، ولذلك لم يتجلّ للقارئ وجه التصحيف فيه. وهذه بيّنات ذلك:

١- لم يخرّج المحقّق الخبر من مظانّه، وهو كما بدا لي في: حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي،١٩٦-١٩٧، ونفح الطيب للمقّري، ٤ / ٢٦٠، ونفحة الريحانة للمحبي،١ / ٤٦٤-٤٦٥، والمحاضرات في اللغة والأدب لليوسي، ١١٥.

٢- شرحُ المحقّق لمعنى «الجير: الجصّ» وحده دون «الجبس» خلافُ الأولى، والمناسب أن يُشرَح معناهما. والجبس: هو الذي يُبنى به، وهو الجِصّ، كما ورد في التاج (جبس) ١٥ / ٤٩٠ وغيره.

٣- وقع في خمسة مواضع من النص أشياء من التصحيف والتحريف، وهذا بيانها في ضوء ما يقتضيه السياق، وتؤكّده بعض النسخ الخطيّة للرسالة، ومظانّ الخبر:

أ- في قوله: «فأقبلَ **عليّ بنُ عبّاد**» تصحيف وتحريف. والصواب فيه: «وأقبلَ على ابن عمّار». والضمير في الفعل «أقبل» يعود على مفرد مذكور قبله، وهو «ابن عبّاد» الوارد في صدر الخبر. على أنّ في بعض النسخ الخطّيّة: «فأقبل بعضهم على ابن عبّاد». والذي ذكرته بناءً على مجموع الأدلّة هو الصحيح.

ب- في قوله: «فسألوا ابن **عبّاد**» تحريف، والصحيح: «فسألوا ابن عمّار».

جـ- في قوله: «قال: **الجَيَّازين**، وقلت: **الخنّاسين**» في الموضعين تصحيف لم يتهدَّ إليه المحقّق كما تدلّك على ذلك عبارته في التعليق على هاتين الكلمتين في الحواشي [ص ١٠٣].

قال في الأولى: «الجيازين: لم أقف على معناها، وربّما أريدها (كذا) بها مجرّد التصحيف.».

وقال في الثانية: «الخنَّاسين: بائعو العبيد.». وضبط نون «الخنْاسين» بالسكون في المتن خطأ طباعي ظاهر.

والصحيح في هاتين الكلمتين على التوالي: «الحَيا زَينٌ» و «الخَنا شَينٌ».

قال المقّريّ: «وتفسيرها أن ابن عباد صحّف «الحيا زين» بقوله: «الجيّارين»، إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياءٌ لازدانت، فقال له: «والجبّاسين»، وتصحيفه «والخنا شين»؛ أي: هي، وإن كانت جميلة بديعة الحسن، لكن الخنا شانها، وهذا شأوٌ لا يُلحَق.».

وقال اليوسي: «وصحّف كلٌّ تعمية على العامّة، واتّكالاً على فَهْم صاحبه.».

ومن هنا يبدو لك أنّ شرح المحقّق لمعنى «الخنّاسين» بما ذُكِر في الحاشية لا فائدة منه.

٤- خلا بعض ما في النصّ من علامات الترقيم المناسبة، وقد عالجت ذلك على وجهه بالحمرة في المتن.

٥- ينتهي هذا الخبر عند قوله: «قلت: الخنا شين.». وحقّه لذلك أن يدلّ عليه بالنقطة (.) لا كما ورد بالفاصلة (،)؛ وحقّ ما بعده: «فأين هذه الأذهان الشريفة من رجلٍ...» أن ينقطع عنه ويكون في بداية سطر، صدراً لفقرة جديدة، ومثال آخر.

- ورد في ص ١٠٣ سطر٤: «فخرج له (**وحُسْنَ** مآب) [الرعد / ٢٩] فترك التيامن...».

وهذا فيه عند التأمّل خطأ في ضبط كلمة، وتركٌ لعلامة ترقيم، والصحيح:« فخرج له (وحُسْنُ مآب) [الرعد:٢٩]، فترك التيامن...».

- ورد ص ١٠٣ سطر٧: «**فاستحْمقَ** وصار مثلاً.».

ومن الواجب هنا أن يُضبَط الفعل «استحمق» بالبناء للمجهول، أي: استُحمِقَ، وأن يفسّر بما هو مناسب؛ أي: عُدّ أحمقَ، أو نُسِب إلى الحمق، أو وجده الناس أحمقَ.

- ورد ص ١٠٣ سطر٨: «وهذا آخر ما **أردناه** في هذه الأوراق،...».

وفي قوله: «أردناه» تحريف، والصواب فيه: «أوردناه».

- ختم ابن هشام بأربعة أبيات كتب المحقّق ثلاثة الأبيات الأخيرة كما يُكتَب الشعر، وغفل عن الأوّل؛ إذ كتبه على هذه الصورة: «كتبته عن مدد قاصر، فانظرْ إليه نظرَ السَّاتر:» . وحقُّه أن يُكتَب هكذا:

كتبته عن مدد قاصر
فانظرْ إليه نظرَ السّاترِ

- وورد البيتان الثالث والرابع منها بلفظ:

ومنه خطّي راح في خجلة
يقول قول البائرِ الحائرِ
جئت سقيماً وضعيف الهوى
مولاي يا مولاي كن جابري

ولعلّ الصحيح كما تدلّ بعض النسخ الخطّيّة التي وردت فيها هذه الأبيات:

ومنك خطّي راح في خجلة
يقول قول البائرِ الحائرِ
جئت سقيماً وضعيف القوى
مولاي يا مولاي كن جابري

- ورد في آخر النصّ المحقّق قولُ الناسخ في آخر النسخة الخطّيّة التي اعتمدها المحقّق: «كتبه الفقير محمد مصباح بن محمد البربير سنة ١٢٧٩ هجرية.».

وترجم له بترجمة نقلها كما صرّح ثمّة في الحاشية من المستدرك على معجم المؤلفين، ورد فيها: توفي سنة

١٢٧٢هـ – ١٨٥٦م. وهذا خطأ طباعي لا يناسب الوارد في المتن، والصحيح فيه: توفي سنة ١٢٨٢هـ =١٨٦٥م.

هذه النظرات- وهي بعض ما بدا لي في كتاب د. السراقبي (أضاميم من التراث: رسائل تراثية محقّقة)، وقد تركتُ سائرَ النظرات لكلمة أخرى تستوعبها وتحيط بها – تدلّك على أنّ التحقيق العلميّ للنصوص التراثية ليس صنعةً سهلة ملحقة بضروب التسلية وتزجية الوقت كما يظنّ بعض الناس، أو كما يصوِّرها آخرون من العارفين في أعين الناس؛ بل هي صنعة علمية لها منهجها المحكم وأصولها المسدّدة، تستغرق من جهد المحقّق ووقته، وتستنهض من نفسه وعلمه في سبيل المحاكمة والاستنتاج والفحص والبحث = ما لا يقدّره إلّا أهلُ التحقيق المعانون له المخلصون فيه الذين يتشبّثون بمنهج البحث المحكَم وأصوله المسدّدة بعلم وأمانة وإخلاص؛ لإقامة النص التراثيّ على وجهه خلواً من التصحيف والتحريف والسَّقط وأوهام الضبط، وتخريج ما في مادّته من أقوال وآراءٍ وشواهدَ من مظانّها؛ وتبيين كلّ ما يحتاج فيه إلى بيان وشرح وتفسير، أو تعريف، أو تعليق، في الحواشي. وهي صنعة تتطلّب من المحقّق معارضةَ النصّ على ما يمكن من نسخه المخطوطة، وعلى المظانّ التي أفاد منها المصنّف فيه، أو تلك التي امتدّ أثره إليها.

وتدلّك هذه النظرات على أنّ (نقد التحقيق) الذي يتصدّى للنصوص التراثيّة المحقّقة، يبيّن ما فيها من مواطن الإحسان والتوفيق والإصابة، وينبّه على ما يبدو فيها من هفوات وسقطات = صنعة موازية تؤازر التحقيق، وتساعد المحقّقين لتلافي ما يكون في تحقيقاتهم من هفوات وزلّات، سعياً إلى الأفضل في تحقيق النصوص، والخدمة الجيّدة لنصوص التراث المناسبة التي تحتضنها المخطوطات العربيّة.

المصادر والمرجع[٣٧]:

– آثار ابن هشام: تصنيف واستدراك، وتحقيق نسبة، د. جابر سريع السريع، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية - مكة المكرمة، ع ٢٣، ٢٠٢٠م.

– الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تح: مجموعة من المحققين، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط، ط١، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

– ابن كمال باشا حياته ومؤلفاته، د. محمود فجال، مجلة عالم الكتب - الرياض، مج ١، ع ٣، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

– ابن هشام الأنصاري: آثاره ومذهبه النحوي، د. علي نيل فودة، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود - الرياض، ١٤٠٦هـ =١٩٨٥م.

– أحياء حلب وأسواقها، خير الدين الأسدي، عُني به عبد الفتاح رواس قلعجي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، ١٩٨٤م.

– ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ =١٩٩٨م.

– أسرار النحو، ابن كمال باشا، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر - ط٢.

– أضاميم من التراث: رسائل تراثية محقّقة قرأها وعلّق عليها د. وليد محمد السراقبي، الهيئة العامّة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق، ٢٠١٦.

– الأعلام للزركلي.

– الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تح: د. إحسان عباس ورفيقيه، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ =٢٠٠٨م.

٣٧ تركت تقييد المخطوطات التي رجعت إليه ها هنا، اكتفاءً بما ذكرته من أمرها في أثناء هذه الكلمة.

- الإفادات والإنشادات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تح: د. محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣.

- الإفصاح في إعراب أبيات مشكلة الإعراب، الحسن بن أسد الفارقي، تح: سعيد الأفغاني، جامعة بنغازي، ط٢، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

- الإمام ابن هشام الأنصاري ومنهجه في التأليف النحوي، د. أيمن الشوا، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق، ٢٠١٤.

- إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، محمد بن علي بن طولون، تح مهنا حمد المهنا، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

- الإنباه على قبائل الرواة، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

- الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، علي بن عدلان الموصلي، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م.

- بدائع الفوائد، ابن قيّم الجوزية، تح: علي بن محمد العمران، مطبوعات المجمع الفقهي الإسلامي - جدّة، عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تح: د. عبد الله التركي ومركز البحوث والدراسات في دار هجر، دار هجر - الجيزة،ط١، ج١٥ – ١٤١٩هـ =١٩٩٨م.

- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تح: د. أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الجمهورية العربية المتحدة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨٠هـ= ١٩٦٠م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، ط١، مطبعة الكويت، ج١٥–١٣٩٥هـ=١٩٧٥م، ج٣٢ وج٣٤–١٤٢١هـ =٢٠٠١م.

- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون، تح: د. إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: د. حسن الهنداوي، دار كنوز إشبيليا - الرياض، ج ١٣، ط١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، داود الأنطاكي، المطبعة العامرة - القاهرة، ١٢٩١هـ.

- التشبيهات، ابن أبي عون، عُني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كمبردج - لندن، ١٣٦٩هـ=١٩٥٠م.

- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تح: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

- تفسير القشيري: لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، وضع حواشيه وعلّق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.

- التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح: د. عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٣م.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر - دمشق، ط١، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

- ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - صيدا، وبيروت، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

- الجمل في النحو، المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

- حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، ابن عاصم الغرناطي، عُني به د. أبو همام عبد

اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ٢٠١٤م.

– حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدَّميري، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر - دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ =٢٠٠٥م.

– خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ج ٥، ط٢، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

– ديوان ابن الرومي، تح: د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٢م.

– ديوان ابن عُنَين، عُني بنشره وتحقيقه خليل مردم، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م.

– ديوان أبي نواس، ج ٢، تح: إيفالد فاغنر، فرانز شتاينر - فيسبادن، ١٣٩٢ه= ١٩٧٢م.

– ديوان الإمام عليّ، جمعه وضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت.

– ديوان البحتري، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف - القاهرة، ط٣.

– رسائل في اللغة، د. إبراهيم السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة الإرشاد - بغداد، ١٩٦٤.

– رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن، ط١، ١٩٨٨.

– رسالة في نسبة الجمع لابن كمال باشا، تح: د. محمود فجّال، مجلة عالم الكتب - الرياض، مج ١٣، ع٦، ١٤١٣هـ.

– رسالة في نسبة الجمع منسوبة إلى العلامة أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، تح: د. رافع إبراهيم، مجلة آداب الرافدين، ع٥٢، ١٤٢٩ =٢٠٠٨م.

– رسالتان نادرتان لابن كمال باشا: رسالة في أنّ أسماء الله توقيفيّة، ورسالة في نسبة الجمع، د. وليد السراقبي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م ٨٧، ج١.

– زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تح: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، دار الثقافة - الدار البيضاء، ط١، ١٤٢١هـ = ١٩٨١م.

– الزهرة، محمد بن داود الأصبهاني، تح: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن؛ ط٢، ١٤٠٦ه= ١٩٨٥م.

– سفر السعادة وسفير الإفادة، السخاوي، تح د. محمد الدالي، دار صادر - بيروت، ط٢، ١٩٩٥.

– سمط اللآلي، أبو عبيد البكري، تح: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ١٣٥٤هـ= ١٩٣٦م.

– شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر البغدادي، تح: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، ج ٧، دار المأمون للتراث - دمشق، ط١، ١٣٩٨هـ=١٩٨٠م.

– شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

– الشفاء في بديع الاكتفاء، شمس الدين محمد النواجي، تح: د. محمود حسن أبو ناجي، دار مكتبة الحياة - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

– الصبح المنبي في حيثية المتنبي، يوسف البديعي، تح: مجموعة من المحققين، دار المعارف - القاهرة، ط٣.

– الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، تح: د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر - بيروت، ودار الفكر - دمشق، ١٩١٨ هـ =١٩٩٨م.

– طبائع النساء، أحمد بن محمد بن عبد ربه، تح: محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن - القاهرة، ١٩٨٥م.

– العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه، ج٧، تح: د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٣م.

– الغيث المسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المطبعة الأزهرية، ط١، ١٣٠٥هـ.

– فـوات الوفيـات والذيـل عليهـا، محمـد بـن شاكر الكتبـي، تح: د. إحسـان عباس، دار صـادر ـ بيروت، ج٢ –١٩٧٤.

– الكتاب، سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق وشـرح: عبـد السـلام محمـد هـارون، مكتبـة الخانجي ـ القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

– كنـوز الذهـب في تاريـخ حلـب، سبط ابـن العجمي الحلبي، تح: د. شوقي شعـث والمهندس فالح البكور، دار القلم العربي ـ حلب، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م..

– المثل السائـر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بـن الأثير، قدّمـه وعلّق عليه: د. أحمد الحـوفي ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر ـ القاهرة.

– المحاضـرات في اللغـة والأدب، الحســن بن مسعود اليوسي، المكتبة الشاملة.

– المحاضرات والمحاورات، عبـد الرحمن السيوطي، تح: د. يحيـى الجبـوري، دار الغرب الإسلامـي ـ بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

– مـرآة الجنـان وعـبرة اليقظـان، عبد الله بـن أسعد اليافعـي، وضـع حواشيـه خليـل المنصـور، دار الكتـب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

– مسألـة عـن اسـم الله عـزّ وجـلّ، لابـن السيـد البطليوسـي، حقّقهـا وعلّـق عليهـا د. وليـد محمـد السراقبـي، مجلـة (الخزانـة) ـ كربـلاء، ع١، رمضـان ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

– المستطـرف من كلّ فنّ مستظـرف، محمد بن أحمد بـن منصور الأبشيهـي، تح: إبراهيم صالـح، دار صادر ـ بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

– معجـم الأدبـاء، ياقـوت الحمـوي، تح: د. إحسـان عباس، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

– مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب، ابـن هشـام الأنصاري، تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر ـ بيروت، ط٥، ١٩٧٩م.

– الموازنـة بـين شعر أبي تمـام والبحـتري، الحسن بـن بشر الآمـدي، تح: السيـد أحمد صقـر، دار المعارف ـ القاهرة، ط٤.

– مُوقِـد الأذهان ومُوقِظ الوسنان، تأليف ابن هشام، تح وليد محمد السراقبي، مجلة عالم الكتب ـ الرياض، مج ١٣، ع٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

– نثر الدر في المحاضرات، أبو سعيد منصور الآبي، تح خالد عبـد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية = منشورات محمد علي بيضون ـ بيروت.

– نصـوص ودراسـات عربيـة وأفريقيـة في اللغـة والتاريـخ والأدب، د. إبراهيـم السامرائي، بغداد ـ وزارة الإعلام.

– نفـح الطيـب من غصن الأندلـس الرطيب، أحمد بن محمد المقـري، تح: د. إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م.

– نفحـة الريحانـة ورشحة طلاء الحانـة، محمد أمين بـن فضـل الله المحبـي، تح : عبد الفتاح محمـد الحلو، دار إحيـاء الكتـب العربية ـ عيسـى البابي الحلبـي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ=١٩٦٨م.

– نكـت الهميـان في نكت العميان، صـلاح الدين خليل بـن أيبـك الصفدي، مطبعـة الجمالية ـ القاهـرة، ١٣٢٩هـ =١٩١١م.

– نهايـة الأرب في فنون الأدب، أحمـد بن عبد الوهاب البكـري النويري، دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة، ط١.

– نـور القبـس المختصر مـن المقتبس، أبـو المحاسن يوسـف بن أحمد اليغموري، تح: رودلف زلهايم، فرانتس شتاينر ـ فيسبادن، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م.

– الـوافي بالوفيـات، صـلاح الديـن خليـل بـن أيبـك الصفـدي، تح: أحمـد الأرنـاؤوط وتركـي مصطفى، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ =٢٠٠٠م.

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بـن خلّـكان، تح: د. إحسـان عباس، دار صـادر ـ بيروت، ج٢– ١٩٦٩م، ج٣–١٩٧٠م، ج٦–١٩٧٧م.

مصادر العيني في مخطوطه «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»

المتعلِّقة بالعصر الأموي

د. ناهد محمود حسين*

ترك العلماء عبر التاريخ تراثاً ضخماً من المصنفات، واستقطبت هذه المصنفات عدداً من الباحثين لتقديم دراسة حول موارد العلماء ومصادرهم في مؤلفاتهم، ويعدُّ العصر المملوكي ميداناً لنشاط علميّ واسع، ومجالاً لحركة علمية زاخرة، يدل عليها ذلك التراث الضخم من الموسوعات الأدبية والكتب التاريخية، والمؤلفات الدينية وسواها من المؤلفات القيّمة، وهذا بفضل جهود عدد كبير من العلماء في جميع الاختصاصات الذين أسهموا في التقدم العلمي والحضاري والثقافي، فقد تمثل هذا التقدم بالثروة العلمية الضخمة التي وصلت من ذلك العصر، ولا سيما المخطوطات التاريخية.

وكان العيني أحد العلماء المبرزين في هذا الشأن، فهو عالم حديثيّ متقن، ولغوي نحوي بارع متفنِّن، ومؤرخ ذو تآليف كثيرة مفيدة، أضافت إلى التراث الإسلامي كنوزاً لا تقدر بثمن.

يعدُّ العيني من أبرز مؤرخي تلك المرحلة، أرخ لأحداث ووقائع سمع بها، وأخرى عاصرها أو شاهدها بعينه، وأبرز مؤلفاته «**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**» الذي يعدُّ من أضخم كُتب التاريخ، ويأتي في مصاف المصادر التاريخية الأساسية للتراث الإسلامي، يقع في تسعة وستين مجلداً.

يلقي البحثُ الضوء على مصادر العيني في مخطوط «**عقد الجمان**» في قسمه المتعلق بالعصر الأموي[1]، والكُتب التي اعتمد عليها كمورد لكتابه، من حيث أنواعُها ومدى إفادته منها، فالغاية من دراسة مصادر المؤرخين معرفة الطرق التي يسلكونها في مصنفاتهم

* مدرِّسة في قسم التَّاريخ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة دمشق.

١ المخطوط بخط المؤلِّف، في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول، تحت رقم: ٢٩١١، ويقع القسم المتعلق بالعصر الأموي في عدة مجلدات: المجلد الثاني: ويشمل «الثالث والرابع والخامس» من سنة ١١هـ حتى سنة ٦٦هـ. المجلد السادس: يبدأ من سنة ٦١هـ وينتهي سنة ٩٥هـ. المجلد السابع: يبدأ سنة ٩٦هـ وينتهي سنة ١٤٩هـ.

ومروياتهم ومواردهم والعلاقة بين كتبهم وغيرها من الكُتب إن وجدت.

أولاً: ترجمة المؤلف:

مَحْمُود بن أَحْمَد بنِ مُوسَى بنِ أَحْمَد بنِ حُسَين ابن يوسف بنِ محمود، القاضي بدر الدِّين، أبو مُحَمَّد، ولد ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م في درب كيكن بعينتاب(٢)، نشأ في بيئة علميَّة في ظلِّ أسرةٍ مشهورةٍ بالعلم والتدين والصلاح، فوالده وجده كانا قاضيين، وأسرته مشهورة بالعلم والتدين، وقد وجهه والده شهاب الدين أحمد بن موسى إلى حفظ القرآن الكريم وطلب العلم منذ الصغر، على عادة علماء ذلك العصر(٣).

لم يقف طموح البدر عند تلقي العلوم على علماء بلدته، فارتحل إلى البلاد الأخرى طلباً للعلوم، وخلال رحلاته التقى كثيراً من الشيوخ فأخذ منهم، فكان منهم المحدثون والمفسرون والقَرَأَةُ واللغويون والنحاة والفقهاء والأدباء، وكانت أولى رحلاته إلى حلب أقرب البلدان إلى بلدة عينتاب، فرحل إليها سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م، وغيرها من الرحلات إلى دمشق وبَهَسَنا(٤) وكَخْتا(٥) وملطية(٦) وبيت المقدس، وأخذ عن كثير من العلماء الذين التقاهم. ثم استقر في الديار المصرية، تولى فيها القضاء، وكان مقرباً من الملك الأشرف ناصحاً له في أمور الدّين، حتى قال عنه الملك الأشرف: «لولا العينتابي لكان في إسلامنا شيء»(٧).

كان للعيني تلاميذ من العسير إحصاؤهم؛ لأنه تولى التدريس في عدد كبير من المدارس، ومن أشهر تلامذته ابن تَغْري بَرْدي، وبدر الدين الحُسيني، والسّخاوي، وأبو الفضل العسقلاني(٨).

كما أقرَّ العلماء والمؤرخون بفضل العيني، وأَثْنوا عليه في كتبهم الثَّناءَ الجمَّ، قال ابن تغري بردي عنه: «فريد عصره ووحيد دهره، عمدة المؤرخين ومقصد الطالبين، قاضي القضاة»(٩). وأثنى عليه السخاوي فقال: «كان إماماً عالماً علامة، عارفاً بالتَّصريف والعربية وغيرها، حافظاً للتاريخ واللغة، كثير الاستعمال لها، مُشَاركاً في الفنون، لا يملُّ من المطالعة والكتابة»(١٠). وقد ركّز الشوكاني على عطاء العيني العلمي، فقال: «وانتفع به الناس، وأخذ عنه الطلبة من كل مذهب»(١١). توفي العيني سنة ٨٥٥ه / ١٤٤٦م عن عمرٍ ناهز ثلاثاً وتسعين سنة قضاها في التعليم والتصنيف والتدريس(١٢).

---

٢ عينتاب: بلدة حسنة كبيرة تبعد ثلاث مراحل عن حلب، كانت تعرف بدلوك. ودلوك الآن حصن خراب، وهي من أعمال حلب. انظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٩. الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج١، ص٣٤٥.

٣ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٦، ص٨. السخاوي، الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التَّاسع، ج١٠، ص١٣١. العيني، منحة السلوك في شرح تحفة الملوك، ص١١. معتوق، بدر الدين، ص٥٥.

٤ بهسنا: قلعة حصينة في الشمال الغربي لعينتاب، قرب مرعش وسمياط. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٥١٦.

٥ كختا: أحد الثغور الإسلامية في بلاد الشام، بينها وبين ملطية مسيرة يومين. أبو الفداء، تقويم البلدان، ج١، ص ٢٦٣.

٦ ملطية: من الثغور الجزرية الشامية، شمال أعالي الفرات. وهي من بناء الإسكندر. الإصطخري، مسالك الممالك، ص٧٥.

٧ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣١. التبر المسبوك، ص٣٧٦. الذيل على رفع الإصر، ص٤٣٠. التميمي، الطبقات السنية، ج١، ص٦٦٣. الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٣٨٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٠.

٨ للتوسع في أسماء تلاميذ العيني وتراجمهم انظر: العيني، البناية شرح الهداية، ص ٧٥–٩٠. السخاوي، الضوء اللامع، أجزاء متعددة. معتوق، بدر الدين العيني، ص ١٤٥–١٦٦. سحلول، البدر العيني، ص٦٩–٧٤.

٩ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧، ص١١١. الدَّليل الشَّافي على المنهل الصافي، ج٢، ص ٧٢٢.

١٠ الضوء اللامع، ج١٠، ص ١٣٣. الذيل على رفع الإصر، ص٤٣٤–٤٣٥.

١١ البدر الطالع، ج٢، ص ٢٩٤–٢٩٥.

١٢ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص٢٩٠. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣٣؛ التبر المسبوك، ص٣٧٩.

ثانياً: مؤلفات العيني

انعكست ثقافة العصر بغزارتها وتنوُّعها وتعدُّد فنونها على نتاج العيني الفكري، فقد صنف في علوم التفسير، والحديث، وفقه اللغة، والتاريخ والمنطق، والعروض؛ يقول السخاوي: « وصنَّف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا أكثر تصانيف منه»، ثم قال بعد أن عدد كتبه: «وما لا أنهضُ لحصره»[١٣].

وأشاد به ابن تَغْري بردي فقال: «قَلَّ أن يُذْكَر علم إلا وشارك فيه مشاركة جيدةً، ومصنفاته كثيرة»[١٤]. فقد ترك العيني رصيداً ضخماً من المصنفات في جميع العلوم المعروفة في زمانه، حتى قيل: «إنه لا يقاربه واحد من أهل عصره في كثرة مصنفاته إلا أن يكون الحافظ ابن حجر».

من مؤلفاته: عمدة القاري في شرح الجامع الصحيح للبخاري[١٥]، البِناية في شرح الهداية[١٦]، رَمْز الحَقَائق في شرح كنز الدقائق[١٧]، السَّيف المهنَّد في سيرة المَلِك المؤيَّد «شيخ المحمودي»[١٨]، الرَّوض الزاهر في سيرة الملك الظَّاهر «ططر»[١٩]، ملاح الألواح في شرح مَرَاح الأرواح[٢٠]، منحة السلوك في شرح تحف الملوك[٢١]، مَغَاني الأخيار في رجال مَعَاني الآثار[٢٢]، وغيرها من الكتب الكثيرة المطبوعة والمخطوطة والمفقودة.

ثالثاً: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان.

لم يكن العيني مؤرخاً متخصِّصاً في عصر معين من العصور التاريخية؛ وإنما كان موسوعياً، وذلك شأن كثير من المؤرخين المسلمين، فمخطوط عقد الجمان من الموسوعات المهمة لتاريخ الدولة العربية الإسلامية، وهو من أشهر كتب العيني في التاريخ والتراجم أيضاً ولا سيما في المدة الزمنية الأخيرة التي عاصرها، وقد اعتمد فيه على البداية والنهاية لابن كثير كما ذُكر في ترجمة ابن كثير. فقد انصبَّ اهتمامه على كتابه «**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**»، وهو تاريخ شامل وعام يُعَدُّ من أوسع كتب التاريخ العربي الإسلامي العام كُتِبَ على طريقة الحوليات في تتبع تاريخ البشرية من بدء الخليقة حتى عصر المؤلف، إذ انتهى به إلى سنة وفاته ٨٥٥هـ/ ١٤٤٦م، ومن ثم فإن ما قدمه في كتابه يعد رؤية شاملة للتاريخ الإنساني، وذلك في حلقات متتابعة. وقد قدم العيني حوادث كل سنة على وفيات أعيانها التي ترجم بها لكثيرٍ من الشخصيات، ورتب ما بعد الهجرة على السنين، وبدأ كل سنة «فصل فيما وقع من الحوادث في السنة...»، وانتهى فيه إلى آخر سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٤٦م، وذكر في آخر كل سنة

١٣ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ١٨٣.

١٤ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٠.

١٥ طبع قديماً في الآستانة سنة ١٣٠٨، ثم في مصر في اثني عشر مجلداً يضم خمسة وعشرين جزءاً.

١٦ طبع الكتاب عدة طبعات آخرها سنة ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية في ثلاثة عشر جزءاً.

١٧ مطبوع في ثلاثة أجزاء (٧٢٤ صفحة) في القاهرة، مطبعة وادي النيل ١٨٨٨م.

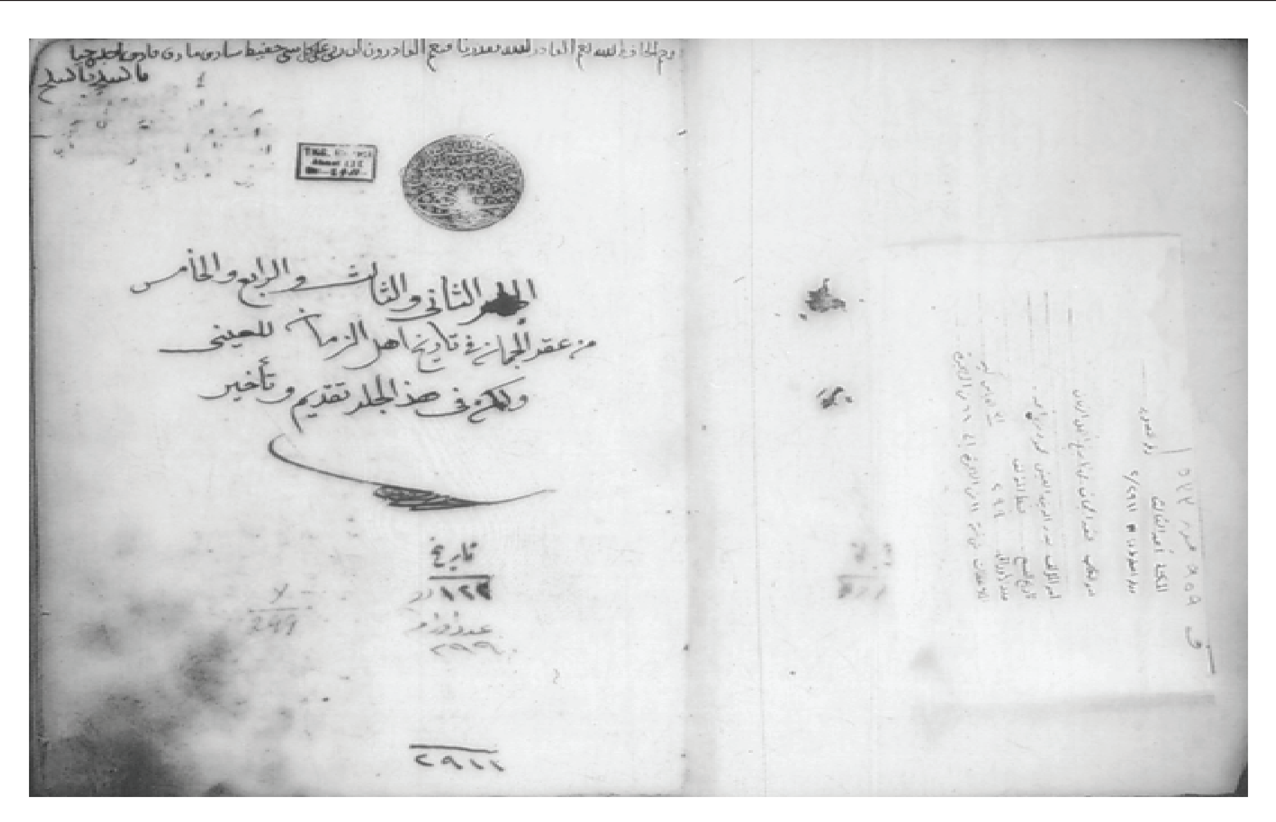
١٨ طُبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٦٦-١٩٦٧م في دار الكاتب العربي بتحقيق الأستاذ فهيم محمد شلتوت وتقديم الدكتور مصطفى زيادة في مجلد يضم ٣٤٦ صفحة سوى الفهارس. انظر: معتوق، بدر الدين العيني، ص٩٥.

١٩ طُبع الكتاب بالقاهرة في ٤٦ صفحة في دار الأنوار سنة ١٩٥٠م، وطبع طبعة أخرى عام ١٩٦٢م بالقاهرة في دار إحياء الكتب العربية. عبد الرحمن، ذخائر التراث، ج٢، ص٧٠٩. المنجِّد، معجم المخطوطات، ج٢، ص١٠١، ج٤، ص١١٧.

٢٠ نُشِرَ هذا الكتاب في مجلة المورد العراقية من المجلد الرابع العدد الثاني سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ إلى المجلد الخامس العدد الرابع ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م بتحقيق عبد الستار جواد، بغداد، دار الحرية للطباعة، من ص١٩٥ حتى ص٢٣٨.

٢١ حققه أحمد عبد الرزاق الكبيسي، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، جزء واحد.

٢٢ حقّقه محمد حسن حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٣ أجزاء.



المجلد الثاني الذي يشمل «الثالث والرابع والخامس» حوادث سنة ١١هـ حتى سنة ٦٦هـ

وفياتها مـن الأعيان، وكان عندما يتناول حدثاً مهماً يُقسمـه على أنـواع، أما بقية حـوادث السنة فيقول «ذكـر بقية الحـوادث»، وهذا النمط العـام لكل كتب التواريخ العامة.

كتـب العينـي كتابـه بالأسلـوب النـثري المرسـل مُتجنبـاً الزخرفـة اللفظيـة والألفاظ الخشنـة، فخلت صياغته مـن التعقيـد[٢٣]. واعتمـد في تأريخه لعصره علـى مشاهداتـه للأحـداث، أمـا بالنسبـة إلى تأريخه للأحـداث التي تقدمت على عصـره، ولا سيما العصر الأمـوي فقد اعتمـد على الـرواة، وعلى بعض الكتب التاريخية المعاصرة المفقودة، وكذلك على بعض الكتب القريبـة من العصر الأموي وعصره على العموم، وقد كان يعتمـد بدرجـة كبيرة علـى مصدريـن قريبين من عصـره، وهمـا: «**مـرآة الزمان**» لسبط بـن الجوزي، وكذلك «**البداية والنهاية**» لابن كثير.

وباتسـاع المساحة الزمنية التـي غطَّاها المخطوط، فـإن أهميتـهُ بوصفـه مصـدراً تاريخيـاً تختلـف من عصـر إلى آخـر، فحقبـة ما قبـل الإسـلام لا تأخذ منه إلا الحيـز اليسـير، أمـا الحقبـة التي تمتـد إلى القرن الرابع الهجري / العاشـر الميلادي فهي على أهميتها منقولـةٌ مـن مصـادر معروفة لـدى معظـم الباحثين، وهنـا كان العينـيُّ مصنِّفـاً وجامعاً وليس ناقلاً فقط، فعلـى الرغم من وجـود هذه الأحـداث في متون الكتب والمصـادر المشهورة، رَتَّبَهـا، وأعاد طرحها على شكل مـادة جديدة، فقد جَمَعَ الروايـات التي بين يديه حول حـدث معين، ثم رتَّبها ترتيبـاً بسيطاً بعيداً عن التكلف وخِلْواً من البديع.

٢٣ العيني، عقد الجمان، تح: عبد الرزاق القرموط، ص٤٤.

رابعاً: مصادر العيني في القسم المتعلق بالعصر الأموي

درج العيني ــ في الغالب ــ على عدم التصريح بأسماء المصنفات التي يقتبس منها، بل يكتفي بذكر أسماء مؤلفيها، بألفاظ تحتمل اطلاعه على نسخة مكتوبة أمامه، كقوله: قال الطبري، قال السبط، قال ابن كثير، حكى ابن سعد، حكى الواقدي، قال النويري وغيرها.

لكن في مواضع قلائل نجد العيني يصرح بأسماء المصنفات التي يقتبس منها، كقوله: قال الطبري في تاريخه، قال السبط في المرآة، وفي المرآة، وفي عيون الأخبار، وغيرها من الألفاظ الدالة على اطلاعه على نسخة مكتوبة أمامه. فقد اعتمد البدر العيني في القسم المتعلق بالعصر الأموي على كثيرٍ من المصادر التي تعود للرواة الأوائل، وضاعت مصنفاتهم، وحُفِظَتْ قطعةٌ صالحةٌ منها من خلال المصادر ولا سيما: تاريخ الرسل والملوك للطبري، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، والبداية والنهاية لابن كثير؛ إضافة إلى أنه اعتمد على كثيرٍ من المصادر المتنوعة التي ما زالت متوفرة في المكتبات إلى الآن.

وأذكر الآن المصادر التي اعتمد عليها العيني في مصنفه، وأكثر من النقل عنها، مرتَّبة حسب تسلسل سنوات وفاة أصحابها؛ طبقاً للمنهج المتبع في كُتب التراجم:

١- الواقديُّ (١٣٠-٢٠٧هـ/٧٤٧-٨٢٢م):

أبو عبد الله، مُحمَّد بن عُمر بن واقد السَّهميُّ الأَسلميُّ. من أقدم وأشهر المؤرخين في الإسلام، كان من أهل المدينة، انتقل إلى بغداد، كان عالماً بالمغازي والسير والفتوح، برع في فنون العلم؛ من المغازي، والسِّير، والطبقات، وأخبار النَّبيِّ (ص) والأحداث التي كانت في وقته وبعد وفاته (ص)، وله من الكتب المصنَّفة: كتاب «**التَّاريخ والمغاري والمبعث**»، وكتاب «**أخبار مكَّة**»، وكتاب «**فتوح العراق**»، و«**فتح إفريقية**»، و«**فتح مصر والإسكندرية**»، و«**مقتل الحسين**»، و«**السيرة**»، و«**أزواج النبي (ص)**»، وغيرها من الكتب[٢٤].

اعتمد العيني على كتابه «**التاريخ الكبير**»، ولفَقْدِ كتاب الواقدي «**التاريخ الكبير**» خُرِّجت الروايات التي أوردها العيني عن كاتبه ابن سعد في طبقاته، والطبري في تاريخه. إذ اقتبس منه العيني كثيراً من النصوص والروايات، جاءت بألفاظ: «**حكى الواقدي**»، و«**قال الواقدي**»، و«**روى الواقدي**»، أو من طريق تلميذ الواقدي محمد بن سعد «**روى ابن سعد عن الواقدي**»[٢٥].

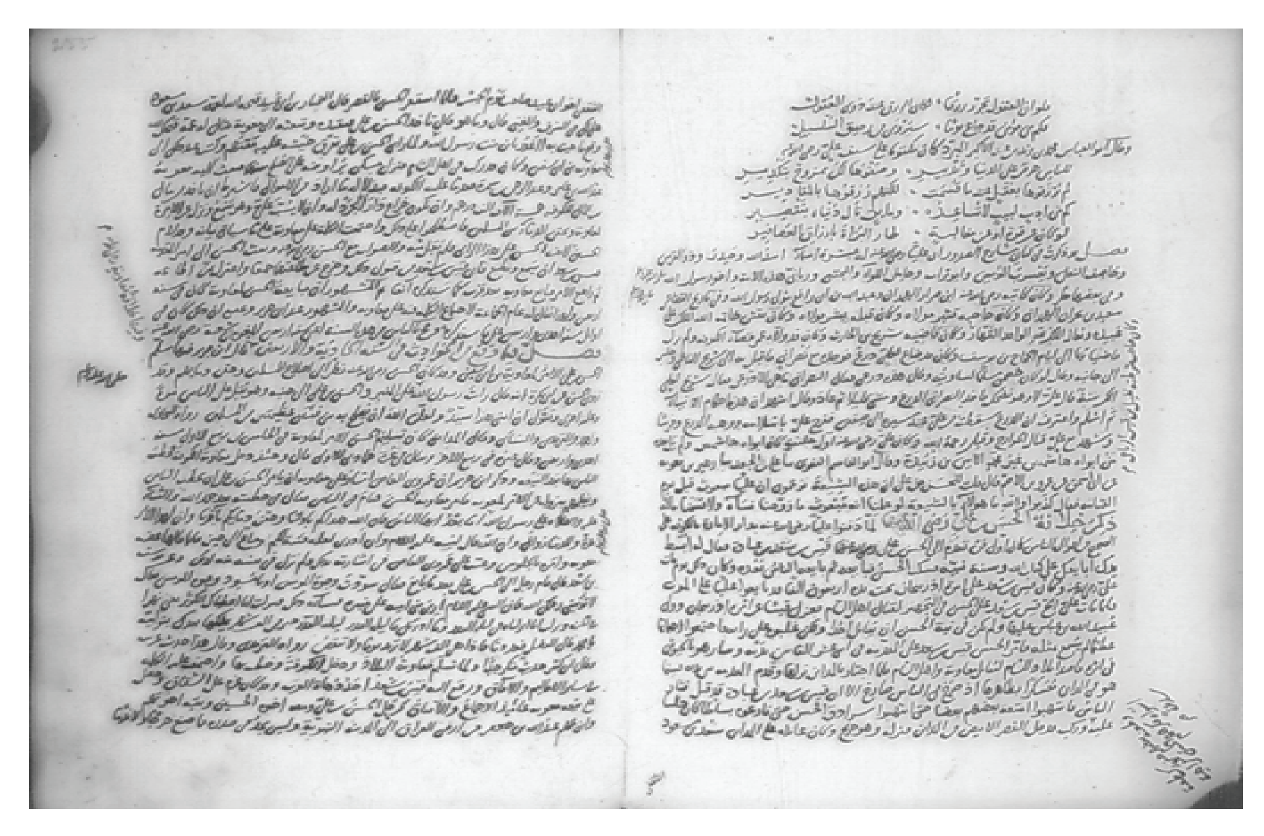
٢- الهيثم بن عديٍّ (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م):

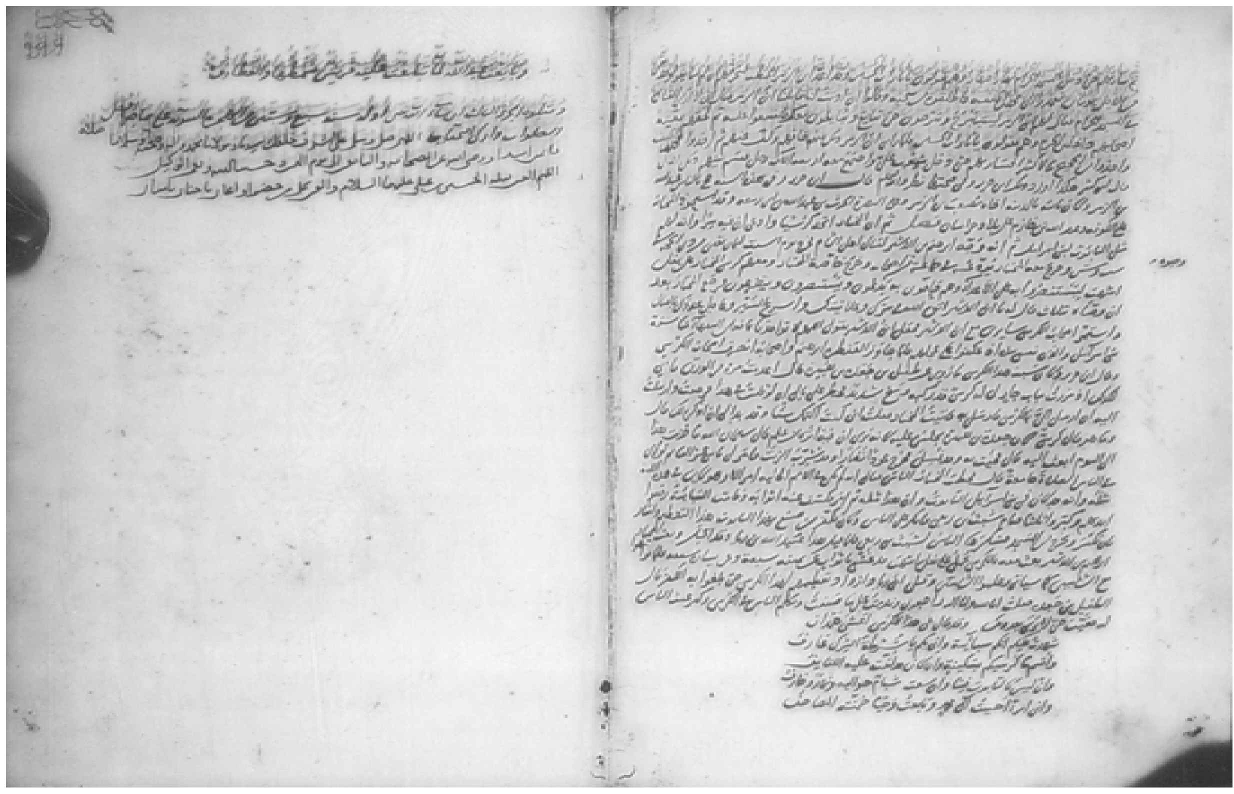
الهيثم بن عديِّ بن عبد الرَّحمن بن زيد الثَّعلبيّ الطائي الكوفي، أبو عبد الرَّحمن، عالم بالشعر، والأنساب والأخبار، وأصله من منبج، وإقامته وولادته بالكوفة، ووفاته في فم الصلح «قرب واسط». واختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم. وكان راوية أخبارياً نقل كثيراً من كلام العرب وأشعارها، ولم يكن يباريه أحد في علمه ومعرفته بالأنساب. وكان الهيثم ممن كثرت تصانيفه وتعدَّدت كتبه، منها: «تاريخ الأشراف

---

٢٤ الواقدي: فتوح الشَّام، ج١، ص١٣. ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٧، ص٦٠٣. النديم، الفِهْرِست، ج١، ص٣٠٩. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٤، ص٤٣٢.

٢٥ انظر بعض روايات الواقدي في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٢٤-ب]، [٢٦٤-ب]، [٢٦٧-ب]، [٢٧٠-أ]، [٢٧٣-ب]، [٢٧٤-أ]. في المجلد (٦):]١٦-أ]، [٣٨-ب]، [٦١-ب]، [٦٥-أ]، [١٠٧-أ]، [١٠٧-ب]، [١٤٦-أ]، [١٤٨-ب]، [١٦٦-ب]، [١٧٠-ب].





الورقة الأولى والأخيرة من القطعة الأموية من المخطوط في المجلد الثاني تبدأ فيها حوادث سنة ٤١هـ

الكبير» و«تاريخ الأشراف الصغير» و«طبقات الفقهاء والمحدثين» و«بيوتات العرب» و«بيوتات قريش» و«المثالب» و«كتاب المعمرين» و«خطط الكوفة»، وغيرها من التصانيف الكثيرة[٢٦].

وكانت كتبه من أهم المصادر التي استفاد منها المؤرخون الذين جاؤوا بعده. وقد اعتمد عليه العيني، وأورد عنه بعض الروايات، ولكن لم يُوقف على مؤلفاته، لذلك خُرِّجت هذه الروايات من المصادر الأخرى[٢٧].

٣-ابن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م):

محمَّد بن سعد بن منيع، الهاشميُّ، البصريُّ، البغداديُّ، أبو عبد الله مولى بني هاشم، كاتب الواقديِّ. ولد بالبصرة، كان محدِّثاً، مؤرخاً، صحب الواقدي وكتب له فعرف به، توفي ببغداد، ودفن في مقبرة باب الشام، وهو ابن اثنتين وستين سنة، صنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء «الطبقات الكبير»[٢٨]. اعتمد العيني عليه بالترجمة للأعيان والتعريف بالصحابة، وبالتأكيد من نسبهم، واستكمال النقص من الأسماء، واقتبس منه الكثير من النصوص، جاءت بألفاظ: «حكى ابن سعد»، «قال ابن سعد»، «ذكر ابن سعد»، «روى ابن سعد»؛ إضافة إلى الروايات التي أوردها العيني عن الواقدي فقد خُرِّجَ بعضها من عند ابن سعد، وبعضها الآخر مِن عند الطبري. وذلك لفَقْدِ كتاب «التاريخ الكبير» للواقدي[٢٩].

٤-خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):

خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيبانيُّ العُصْفُري البصري، أبو عمرو، كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام النَّاس غزير الفضل، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه وتاريخه، وعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل. صنف «التاريخ» عشرة أجزاء، و«الطبقات» ثمانية أجزاء[٣٠]، اعتمد العيني على مصنفاته هذه، وأورد عنه عدة روايات في مواضع مختلفة، جاءت بلفظ «قال خليفة بن خياط»[٣١].

٥-أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م):

أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله الشَّيبانيُّ. أصله من مرو، ولد ببغداد. نشأ منكباً على طلب العلم، صنف كتابه «المسند»، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، وله كتب في «التاريخ» و«الناسخ والمنسوخ» و«الرد على الزنادقة فيما ادعت من متشابه القرآن» و«التفسير» و«فضائل الصحابة» و«المناسك» و«الزهد» و«المسائل» و«العلل والرجال»[٣٢].

---

٢٦ العجلي، معرفة الثِّقات، ج٢، ص٣٣٧. ابن حِبَّان، المجروحين من المحدثين والضعفاء المتروكين، ج٣، ص٩٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٤، ص١١١. عبد الباقي، معالم الحضارة العربية، ص٣٧١.

٢٧ انظر بعض روايات الهيثم بن عدي في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٤٦-أ]، [٢٦٤-ب]، [٢٦٥-أ]. في المجلد (٦): [٦٢-ب]، [١٧٤-أ].

٢٨ النديم، الفهرست، ج١، ص٣١٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٥١. المزي، تهذيب الكمال، ج٢٥، ص٢٥٥.

٢٩ انظر بعض روايات ابن سعد في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٦١-أ]، [٢٦٨-أ]. في المجلد (٦): [١٢-أ]، [١٣-أ]، [١٧-أ]، [٦٢-ب]، [٦٥-أ]، [١٠٧-ب]، [١٢٥-ب]، [١٥٩-أ]، [١٦٤-أ]، [١٦٩-ب].

٣٠ البخاري، التاريخ الكبير، ج٣، ص١٩١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤٣. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٤٣٦. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص١٩٣.

٣١ انظر بعض روايات خليفة بن خياط في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٢٨-أ]، [٢٦٨-ب]. في المجلد (٦): [٢٨-أ]، [١٤٦-أ]، [١٥٧-أ].

٣٢ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٢، ص٦٨. ابن حبان، الثقات، ج٨، ص١٨. الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٩، ص١٦١.

اعتمد العيني على كتابه «المسند»، واقتبس منه كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «قال الإمام أحمد»، و«قال الإمام أحمد بن حنبل»، و«رواه الإمام أحمد»، و«أخرج الإمام أحمد»[٣٣].

٦-البُخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م):

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقيل: بندزبه، وهي لفظة بُخارية، معناها الزراع. له كثير من المصنفات، أفاد العيني من مصنفين منها هي: «صحيح البُخاري» وهو أصح الكتب بعد القرآن الكريم، قال الذهبي: «وأما جامع البُخاري الصحيح فأجلُّ كُتب الإسلام وأفضلُها بعد كتاب الله تعالى». وكتابه «التاريخ الكبير»[٣٤]. اقتبس العيني منهما كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «قال البُخاري»، و«رواه البُخاري»، و«ثبت في صحيح البُخاري»، و«ذكر البُخاري»، و«أخرج البُخاري»، و«حكى البُخاري»، و«ما رواه البُخاري في صحيحه»، و«في بعض نسخ البخاري»، و«علق البخاري في صحيحه»، و«في تاريخ البخاري»[٣٥].

٧-الزُّبير بن بكَّار (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م):

الزُّبير بن بكَّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير بن العوَّام بن خويلد، أبو عبد الله الأسديُّ المدينيُّ، كان علَّامة نسَّابة أخبارياً، أعلم الناس قاطبة بأخبار قريش وأنسابها ومآثرها وأشعارها، له تصانيف كثيرة منها: «أخبار العرب وأيامها»، و«جمهرة نسب قريش»، و«الأوس والخزرج»، و«الموفقيات» وغيرها من الكتب[٣٦]. اعتمد العيني على كتاب «جمهرة نسب قريش» في معرفة أنساب القرشيين، وأورد عنه عدة روايات، جاءت بألفاظ: «قال الزبير بن بكار»، «ذكره الزبير بن بكار»، و«روى الزبير بن بكار»[٣٧].

٨-مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م):

أبو الحسين مُسلم بن الحجاج بن مُسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري، النيسابوري، صاحب الصحيح. أثنى عليه ابن أبي حاتم بقوله: «كتبت عنه، وكان ثقةً من الحفاظ له معرفة بالحديث»[٣٨]. اعتمد العيني على كتبه: «صحيح مسلم»، و«الطبقات»، «الكنى والأسماء»، واقتبس منها كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «قال مسلم بن الحجاج»، و«زعم مسلم بن الحجاج»، ورواه مسلم في صحيحه»، و«في الصحيح»، «ثبت في صحيح مسلم». وكثير من المواضع التي جمع فيها العيني بين صحيح مسلم والبخاري بألفاظ: «ثبت في الصَّحيحين»، و«جاء في الصَّحيحين»، و«أخرجاه في الصَّحيحين»، و«كل هذا في الصَّحيحين»، «الحديث في الصَّحيحين»[٣٩].

٩-ابن قتيبة الدينوي (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

عبد الله بن مسلم، إمام في اللغة والأدب والقرآن

---

٣٣ انظر بعض روايات أحمد بن حنبل في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٢٦-ب]، [٢٤٣-أ]، [٢٤٦-أ]، [٢٥٣-أ]، [٢٧٣-ب]. المجلد (٦): [١٥-أ]، [٣٠-أ]، [٦٣-ب].

٣٤ النديم، الفهرست، ص٢٨٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص١٤٠.

٣٥ انظر بعض روايات البخاري في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٣٠-أ]، [٢٣٥-أ]، [٢٤٣-أ]، [٢٦٠-أ]، [٢٦٨-أ]. المجلد (٦): [٣٦-ب]، [١٠٨-ب]، [١٥٠-أ].

٣٦ الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، ج١، ص٥٤-٥٥. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٨٦. الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص١٣٢٢.

٣٧ انظر بعض روايات الزبير بن بكار في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٦٤-ب]، [٢٦٧-أ]. المجلد (٦): [٤٢-ب]، [١١٠-ب]، [١٤٤-أ].

٣٨ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٥٧-٥٥٨.

٣٩ انظر بعض روايات مسلم بن الحجاج في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٤٦-أ]، [٢٦٩-أ]. المجلد (٦): [٣٠-ب]، [٥٥-ب]، [١٠٧-أ]، [١١٨-أ]، [١٤١-ب]، [١٥٩-ب].

والحديث من بيت علم، أبوه من مرو ولُقِّب بالدينوري لأنه ولي قضاء دينور زمناً، وقد تربَّى في بغداد على يد أبي حاتم السجستاني والرياشي، ودرس في الحلقات التعليمية التي كانت عامرةً في بغداد. له كثيرٌ من الكتب: «عيون الأخبار»، و«المعارف»، و«الشعر والشُّعراء»، و«أدب الكاتب» وغيرها. اقتبس العيني منه نصوصاً قليلة، جاءت بألفاظ: «قال ابن قتيبة»[٤٠].

١٠–الترمذي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):

محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، الترمذي الضرير، مصنف «الجامع»، وكتاب «العلل»، وغير ذلك، أثنى عليه ابن حبان بقوله: «كان أبو عيسى ممن جمع، وصنف وحفظ وذاكر». والمهم هو كتابه «الجامع الصَّحيح»، أو «جامع الترمذي» أو «سنن الترمذي». اقتبس العيني منه كثيراً من النصوص جاءت بألفاظ: «قال الترمذي»، و«رواه الترمذي»، و«روى الترمذي»، و«في رواية الترمذي»[٤١].

١١– البلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):

أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، الكاتب، صاحب «التاريخ الكبير». قال عنه الذهبي: «كان كاتباً بليغاً، شاعراً مُحسناً»، وكتب عدداً من الكتب إلا أن الكتابين اللذين صنعا مجدهُ هما « فتوح البلدان» و«وأنساب الأشراف»، فالأول عُدَّ سجلاً شاملاً للفتوح الإسلامية، وقد فصَّل به كل بلد وما تعلَّق به نقلاً عن أهل البلد أنفسهم، وتكمن أهميتهُ فيما أوردهُ من معلومات ثقافية واقتصادية وإدارية. وأما كتاب« أنساب الأشراف» فهو كتاب جُمع به الأنساب بالتاريخ، وقد تنوعت مصادره بين المؤلفات المكتوبة والروايات الشفهية، وجهد ليوائم بين المصادر[٤٢]). اقتبس العيني كثيراً من النصوص من كتاب أنساب الأشراف، جاءت بلفظي: «قال البلاذري»، «ذكر البلاذري»[٤٣].

١٢– أبو زُرْعة الدمشقي (ت٢٨١هـ/٨٩٤م):

عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان النصري الدمشقي، اشتهر بالحديث، مما طبع كتابه «التاريخ» بالطابع المعروف لمؤلفات المحدثين وتواريخهم، ففيه سبعة عناوين تتعلق بسيرة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، وفيه الحديث عن قضاة دمشق وفلسطين ومصر. اقتبس منه العيني كثيراً من الروايات والنصوص، جاءت بألفاظ: «ذكره أبو زُرْعة الدمشقي»، و«قال أبو زُرْعة»، و«وثقه أبو زُرْعة»، و«رواه أبو زُرْعة»[٤٤].

١٣– النسائي (ت٣٠٣هـ/٩١٦م):

أبو عبد الرحمن بن شُعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، النسائي، صاحب كتاب «السنن»، أثنى عليه الذهبي بقوله: «كان من بحور العلم، مع الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال، وحسن التأليف، جال في طلب العلم.. ورحل الحفاظ إليه، ولم يبقَ له نظير في هذا الشأن». اقتبس العيني منه كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «رواه النسائي»، و«أخرجه النسائي»، و«وثقه النسائي»[٤٥].

---

٤٠ انظر بعض روايات ابن قتيبة الدينوري في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٦): [٦٥–أ]، [٦٦–أ]، [١٥١–ب].

٤١ انظر بعض روايات الترمذي في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢–٣–٤–٥): [٢٢٦–أ]، [٢٣٠–أ]، [٢٣٨–أ]، [٢٥٢–أ]، [٢٦٩–ب]. المجلد (٦): [١٥–أ]، [٢٤–ب]، [١٧٢–ب].

٤٢ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٦٣.

٤٣ انظر بعض روايات البلاذري في مخطوطة عقد الجمان: المجلد (٦): [٣٧–أ]، [٤١–ب]، [٤٧–أ]، [٦١–ب]، [٦٢–أ]، [٦٢–ب]، [١٧٩–ب].

٤٤ انظر بعض روايات أبو زرعة الدمشقي في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢–٣–٤–٥): [٢٥٩–أ]، [٢٦٧–أ]، [٢٦٩–أ]، [٢٧١–ب]. المجلد (٦): [٤١–أ]، [٤٣–ب]، [١١٨–أ].

٤٥ انظر بعض روايات النسائي في مخطوطة عقد الجمان: في

١٤- ابن جرير الطَّبري (ت٣١٠هـ/٩٢٣م):

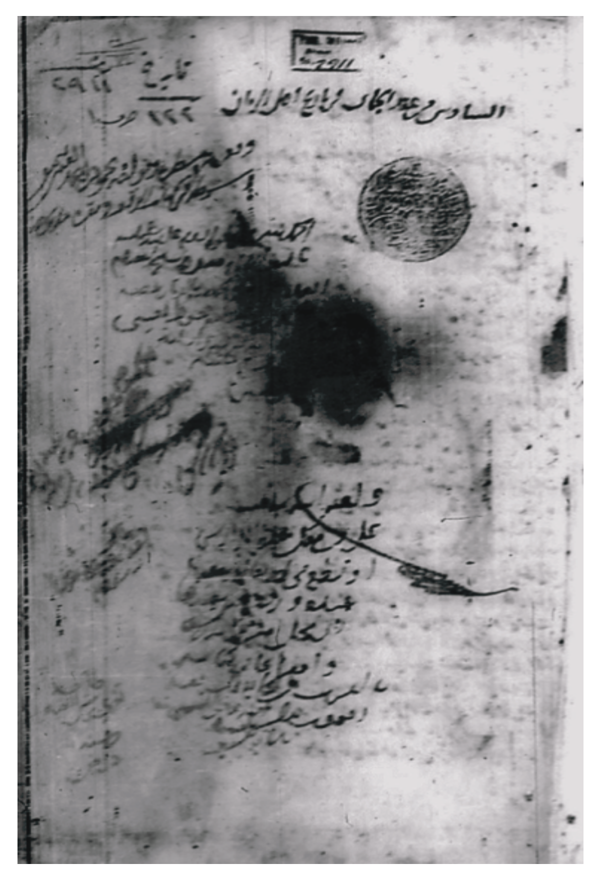
محمَّد بـن جرير بن يزيد بن كثير بـن غالب الإمام أبـو جعفر الطَّبريُّ، وقيل: محمد بن جرير بن يزيد بن خالـد الطبري. ولـد في آمُل طَبَرِسْتـان، ورحل في طلب العلـم، واستقـر في بغـداد، وتـوفي بهـا. كان إماماً في فنـون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. له «تاريخ الرسل والملوك» المعروف بتاريخ الطـبري، و«جامع البيان في تفسـير القرآن» المعروف بتفسـير الطـبري، و«تهذيـب الآثـار» لكنـه لم يتمَّـه، و«القـراءات»، وغيرها مـن المصنَّفـات. اعتمد العيني علـى كتاب «تاريخ الرسل والملـوك» وهو من التواريخ المشهورة الجامعة لأخبار العالم ابتدأ من أول الخليقة، وانتهـى إلى السنة الثانية بعد الثلاثمئة، تنوعت موارد الطـبري ومصادرهُ، ففـي تاريخ العرب قبـل الإسلام نقل عن عبيد بن شَرِيَّةَ ووَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ وهشامٍ الكلبيِّ، وفي التاريـخ العربي الإسلامـي نقل عن الواقدي وأبي مخنف والمدائني والهيثم بن عَدي وغيرهم[٤٦].

اقتبـس العيني كثيراً مـن الروايـات والنصوص، جـاءت بألفـاظ: «تاريخ الطـبري»، و«قـال الطبري»، و«ذكـر الطـبري»، و«روى الطـبري»، و«روى ابـن جرير»، و«قال ابن جرير»، و«ذكر ابن جرير»، و«ذكر ابن جرير في تاريخه»[٤٧].

المجلـد (٢-٣-٤-٥): [٢٥٧-أ]، [٢٥٨-أ]، [٢٦٦-أ]. المجلـد (٦): [٢٤-أ]، [١٥٣-أ]، [١٦٣-أ]، [١٦٦-أ].

٤٦ ابـن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٣، ص٢١٥. ابـن الأثير، اللباب في تهذيب الأنسـاب، ج٢، ص٢٧٤. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٧٨.

٤٧ انظر بعض روايات الطبري في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٢٥-ب]، [٢٢٧-أ]، [٢٣١-ب]، [٢٣٩-أ]، [٢٦٩-ب]. المجلـد (٦): [١٦-أ]، [٢٥-ب]، [٣٠-ب]، [٥٢-أ]، [١٢٤-ب]، [١٥٥-أ]، [١٥٣-ب]، [١٥٩-أ].



المجلد السادس حوادث سنة ٦٦هـ حتى سنة ٩٥هـ

١٥- أبو سعيد بن يونس (ت٣٤٧هـ/٩٥٨م):

عبـد الرحمن بـن أحمد بـن يونس بن عبـد الأعلى الصَّدفي المحـدث المؤرخ المصـري، كان خبيراً بأحوال النـاس، ومطلعـاً علـى تواريخهم عارفاً بمـا يقوله، له تاريخـان: أحدهمـا وهـو الأكبر يختـص بأهل مصر، والثـاني وهو صغير يشتمـل على ذكـر الواردين على مصر، فقد جمع الكتاب وطبع في مجلدين. وقد ذيلهما أبـو القاسـم يحيى بن علي الحضرمـي المعروف بابن الطحـان المتوفى سنة ست عشرة وأربعمئة[٤٨]. اعتمد العينـي علـى كتابه «تاريـخ المصريـين»، واقتبس منه

٤٨ ابـن خلـكان، وفيـات الأعيـان، ج٣، صـ١٣٧. الذهبي، العبر في خـبر من غبر، ج٢، صـ٧٧. الكتبي، فوات الوفيـات، ج٢، ص٢٧٦. السيوطـي، حسـن المحاضـرة، ج١، صـ٣٥١. الكتـاني، الرسالـة المستطرفة، ص١٣٣.

رواياتٍ ونصوصاً في مواضع مختلفة. جاءت بلفظ: «قال أبو سعيد بن يونس»، و«قال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر»[٤٩].

١٦–أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م):

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، أثنى عليه الخطيب البغدادي بقوله: «لم أرَ أحداً أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين: أبو نعيم الأصبهاني، وأبو حازم العبدويي». له كثير من المصنفات: «حلية الأولي»، و«دلائل النب»، «معرفة الصحابة»، اقتبس منها العيني كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: »قال أبو نعي»، و«رواه أبو نعيم»، و«أخرجه أبو نعيم»، «قال الأصبهاني»، و«قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني»[٥٠].

١٧– القُضَاعي (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م):

محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، أبو عبد الله، كان كاتباً للوزير الجرجرائي بمصر في أيام الفاطميين، وأرسل في سفارة إلى بلاد الروم، فأقام قليلاً بالقسطنطينية، توفي بمصر. من كتبه «تفسير القرآن» و«تواريخ الخلفاء» و«نزهة الألباب» و«عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف» وغيرها من التصانيف الكثيرة[٥١]. اقتبس منه العيني كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «تاريخ القضاعي»، و«عيون المعارف»[٥٢].

١٨– البيهقي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م):

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، له كثير من التصانيف منها: «السنن الكبرى»، و«دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة»[٥٣]، اقتبس منهم العيني كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «قال البيهقي»، و«ذكر البيهقي»، و«حكى البيهقي»، و«في رواية البيهقي»، و«رواه البيهقي»، و«روى البيهقي في كتابه»، و«رواه البيهقي في الدلائل»[٥٤].

١٩– ابن عبد البَرّ (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م):

يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر. فقيه، حافظ، عالم بالقراءات وبالخلاف في الفقه وبعلوم الحديث والرجال، يقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة، ورحل رحلات طويلة في غربيِّ الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين، وتوفي بشاطبة. ومن كتبه «الاستيعاب» وهو مجلدان في تراجم الصحابة، وغيرها من الكتب الأخرى[٥٥]. وقد اعتمد عليه العيني بالترجمة لأسماء الصحابة،

اقتبس منه كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «قال ابن عبد البر»، «زعم ابن عبد البر»[٥٦].

٢٠– أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي،

---

٤٩ انظر بعض روايات أبي سعيد بن يونس في مخطوطة عقد الجمان: المجلد (٦): [١٣٣–أ]، [١٣٩–أ]، [١٣٩–ب]، [١٤٠–أ].

٥٠ انظر بعض روايات أبي نعيم في مخطوطة عقد الجمان: المجلد (٦): [٦١–ب]، [١١٢–أ]، [١١٤–ب]، [١٥٠–أ].

٥١ ابن الأثير، اللباب، ج٣، ص٤٣. الصفدي، الوافي بالوفيات، ص٩٧. اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٣، ص٥٨. السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٧٦.

٥٢ انظر بعض روايات القضاعي في مخطوطة عقد الجمان: المجلد (٢–٣–٤–٥): [٢٥٢–أ]، [٢٦٠–أ]، [٢٧٠–أ]، [٢٧٣–أ]. في المجلد (٦): [١٢–أ]، [٤٠–أ]، [٤٤–أ]، [٤٤–أ]، [٤٥–أ]، [٤٥–ب]، [٤٦–ب]، [١٢٤–ب]، [١٦٨–ب]، [١٦٩–ب].

٥٣ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٦٣–١٦٧.

٥٤ انظر بعض روايات البيهقي في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢–٣–٤–٥): [٢٤٢–أ]، [٢٤٤–ب]، [٢٦٠–أ]، [٢٧١–أ]، [٢٧٣–ب]. المجلد (٦): [٦٢–ب]، [١٥٥–أ].

٥٥ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٨٩. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٦٦. الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٤٠.

٥٦ انظر بعض روايات ابن عبد البر في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢–٣–٤–٥): [٢٣١–أ]، [٢٣١–ب]، [٢٦١–أ]، [٢٦٣–أ]. المجلد (٦): [٣١–أ]، [٣٧–أ]، [٦٥–أ]، [٦٥–ب]، [١١–ب]، [١٤٣–ب]، [١٤٨–أ]، [١٥٤–ب]، [١٧٢–ب].

مؤرخ وجغرافي، ولد غربي إشبيلية، وانتقل إلى قرطبة، له مؤلفات عدة أهمها «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» وهو معجم لغوي جغرافي يشمل سبعمئة وأربعة وثمانين باباً، واقتبس منه كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «قال البكري»، «قال أبو عُبيد»[٥٧].

٢١- ابن ماكولا (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

علي بن أبي القاسم هبة الله الوزير بن علي بن جعفر العجلي، تُوَفِّيَ قتيلاً بجرجان، وكانت هوايته الحديث، أَلَّفَ «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب»، وقد أراد أن يجعلهُ تصحيحاً وتعليقاً على كتاب الخطيب البغدادي في المؤتلف والمُختلف، ورتَّبهُ على حروف المعجم، اقتبس منه العيني كثيراً من النصوص، جاءت بلفظ: «قال ابن ماكولا»[٥٨].

٢٢- ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م):

جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج، مشهور بين الوعَّاظ والحفاظ الكبار والمؤلفين، تزيد قائمة مؤلفاته على أربعمئة كتاب ورسالة، له كتبٌ في الحديث، والفقه، واللغة، والأدب، والتفسير، والشعر، والأصول، والتصوف، والطب، والوعظ، كما له في التاريخ العشرات أهمها «المنتظم في تواريخ الملوك والأمم»، وهو كتاب في التاريخ العام، وله من الكتب «أخبار الأذكياء» و«تلبيس إبليس» و «تلقيح مفهوم أهل الأثر في علم التواريخ والسير»، و«أعمار الأعيان»، و«صفة الصفوة»، و«جامع المسانيد»، اعتمد عليها العيني، واقتبس منها كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «ذكره ابن الجوزي»، و«ذكر ابن الجوزي في المنتظم»، و«قال ابن الجوزي»[٥٩].

٢٣- الحافظ ابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٥م):

الحافظ أبو القاسم عليُّ بن أبي محمد الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبد الله بن الحسين، الدِّمشقيُّ، كان محدِّث الشام في وقته، غلب عليه الحديث، فاشتهر به، ورحل وجاب البلاد ولقي المشايخ، توفي بدمشق ودفن عند أهله بمقابر باب الصغير. له «تاريخ دمشق الكبير» ويعرف بتاريخ ابن عساكر في ثمانين مجلداً، وهو تاريخ تراجم أفراد حسب الترتيب الهجائي، وليس تاريخ حوليات أو حوادث متوالية بالرغم من أن الجمع هو الصفة الغالبة على مصنفه. وقد اختصر تاريخ دمشق الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكررات، وسمي المختصر «تهذيب تاريخ ابن عساكر»[٦٠]. اعتمد العيني على كتابه «تاريخ دمشق الكبير» واقتبس منه كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «روى ابن عساكر»، و«قال ابن عساكر»، و«حكى ابن عساكر»، و«ذكر ابن عساكر»، و«الحافظ ابن عساكر في تاريخه»[٦١]، وكان اعتماد العيني على ابن عساكر في تعريف كل دار أو مكان في دمشق كان

---

٥٧ انظر بعض روايات أبي عبيد البكري في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٦): [١٢-أ]، [١٤-أ]، [٣٨-أ]، [٣٨-ب]، [١١٧-ب]، [١٦٩-ب]، [١٥٣-ب].

٥٨ انظر بعض روايات ابن ماكولا في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٣١-أ]. المجلد (٦): [٢٧-ب]، [٥٦-أ]، [٦١-أ]، [٦١-ب]، [١٦٠-ب]، [١٧٢-ب].

٥٩ انظر بعض روايات ابن الجوزي في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٤٠-ب]، [٢٦٢-ب]، [٢٦٦-ب]، [٢٦٨-أ]. المجلد (٦): [٢٣-أ]، [٢٥-ب]، [٢٨-أ]، [٥٧-ب]، [٦١-ب]، [١٢٧-أ]، [١٦٣-أ]، [١٧٢-ب].

٦٠ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٠، ص٧٠. السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص٢١٥. ابن كثير، البداية، ج١٦، ص٥١٤.

٦١ انظر بعض روايات ابن عساكر في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٢٧-أ]، [٢٥٣-أ]، [٢٥٤-أ]، [٢٦٦-ب]، [٢٧٠-أ]، [٢٧٠-ب]. المجلد (٦): [٢٤-أ]، [٢٤-أ]، [٢٥-ب]، [٣٨-أ]، [٤٣-أ]، [٦٢-أ]، [٦٣-أ]، [٦٥-أ]، [٦٥-ب]، [١١٠-ب]، [١٤٨-ب]، [١٦٣-ب]، [١٦٤-ب]، [١٦٦-أ]، [١٧١-ب]، [١٧٢-ب].

لواحد من الشخصيات، أو مرَّ بها أحدهم، أو لأي حادثة وقعت في دمشق.

٢٤- ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م):

علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين، من العلماء بالنسب والأدب، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، وتوفي فيها. له كثيرٌ من التصانيف منها: «الكامل في التاريخ»، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة»، و«اللباب في تهذيب الأنساب» وغيرها[٦٢]، والتصانيف التي اعتمد عليها العيني: «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، و«جامع الأصول»، و«الكامل في التاريخ». اقتبس منها كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «قال ابن الأثير»، و«ذكره ابن الأثير»[٦٣].

٢٥-ابن قُدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م):

محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة ابن مقدام بن نصر المقدسي، له كثيرٌ من المصنفات من أهمها كتابه «التبيين في أنساب القرشيين»، الذي اقتبس منه العيني من نصوصه بلفظ: «ذكر ابن قدامة»، و«قال ابن قدامة»، و«ذكر ابن قدامة المقدسي»[٦٤].

٢٦-سِبْط بن الجَوْزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م):

يوسف قِزْغلي بن الأمير حسام الدين عبد الله بن فيروز البغدادي ثمَّ الدمشقي، يكنى أبا المظفر التركي، كان إماماً فقيهاً واعظاً، علَّامة في التاريخ والسير، وكان والده قزغلي من مماليك الوزير عون الدين بن هبيرة، وهو صاحب «مرآة الزمان». ولسبط بن الجوزي تصانيف كثيرة في فنون شتى منها: «معادن الإبريز في التفسير» تسعة وعشرون مجلداً، و«شرح الجامع الكبير» في مجلدين، والمهم هنا كتابه التاريخي «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، الذي يعدُّ من أهم الموسوعات التاريخية وكتب التراجم في آن واحد، وقد سار فيه على خطَّة جده ابن الجوزي في المنتظم، وذلك بعرض المواد الإخبارية وفق طريقة الحوليات، أخبار كل حولية على حدة أولاً، وبعد ذلك تراجم لوفيات تلك الحولية، وقد امتدح المؤرخون هذا الكتاب، وأثنوا عليه، وأشادوا به[٦٥].

ويأتي كتاب «مرآة الزمان» بالدرجة الأولى من المصادر التي اعتمد عليها العيني، وقد اقتبس منه العيني روايات كثيرة في أماكن عديدة، جاءت بألفاظ: «قال السبط في المرآة»، و«قال السبط»، و«في المرآة»، و«صاحب المرآة»، و«ذكر في المرآة»[٦٦]، فيمكن القول إن الناظر إلى الحقبة الأموية عند العيني يجد صورة طبق الأصل لما هو موجود عند سبط بن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان»، فقد سار العيني على الأسلوب نفسه الذي سار عليه السبط، في تسلسل السنوات، ووضع العناوين، وكذلك وضع وفيات الأعيان نهاية كل سنة.

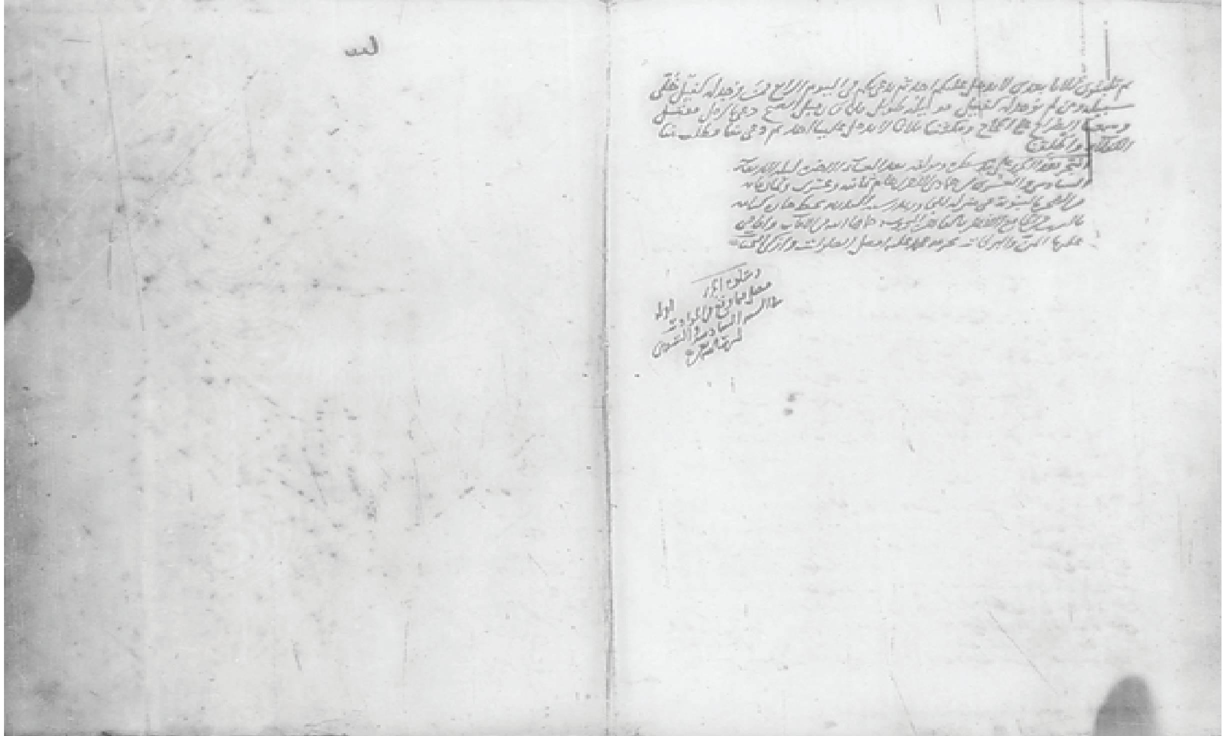
٦٢ القفطي، إنباه الرواة، ج٣، ص٢٥٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص١٤١. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٣١.

٦٣ انظر بعض روايات ابن الأثير في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٥٢-أ]، [٢٥٧-ب]، [٢٦٠-ب]، [٢٦١-أ]، [٢٦٥-أ]. المجلد (٦): [٢٨-أ]، [٣٠-ب]، [٣١-أ]، [٦٢-أ]، [١١٣-ب]، [١٣٧-ب]، [١٥٣-ب]، [١٧٧-أ].

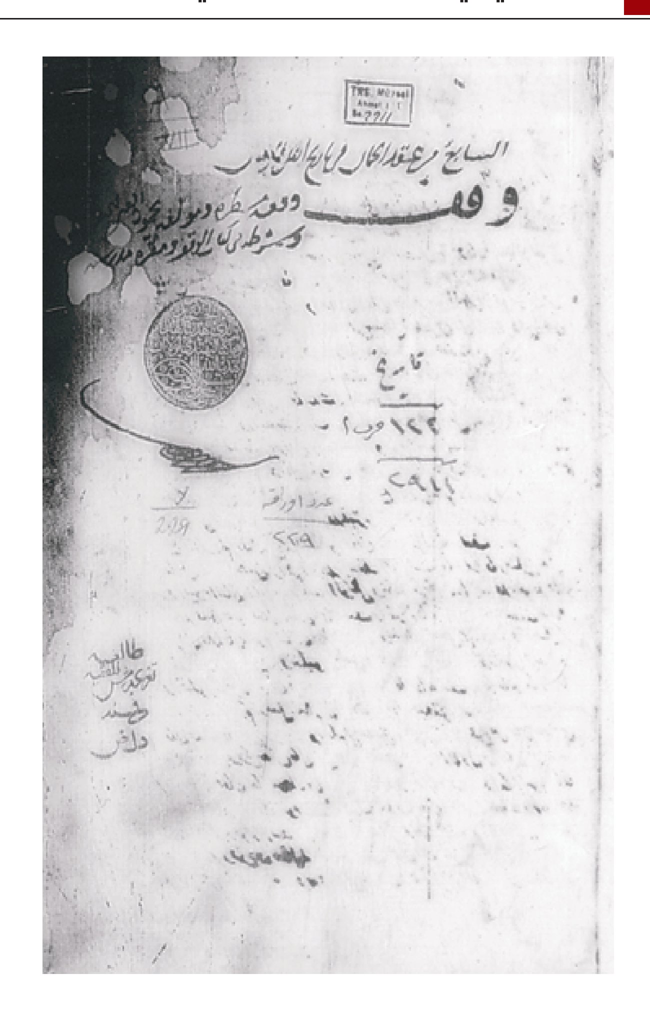
٦٤ انظر بعض روايات ابن قدامة في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٢٩-ب]، [٢٥٦-ب]، [٢٥٩-أ]، [٢٦١-أ]، [٢٦٦-ب]، [٢٦٩-ب]، [٢٧٠-أ]. المجلد (٦): [١١٦-أ]، [١١٧-أ].

٦٥ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٢. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٩. الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، ج٤، ص٣٥٦. زكار، الموسوعة الشاملة، ج١٥، ص٦-٨. روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ص٦٧٢.

٦٦ انظر بعض روايات سبط بن الجوزي في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٦): [٣-ب]، [٦-أ]، [١٢-ب]، [٣٢-أ]، [٣٩-أ]، [٥٧-ب]، [٦٥-أ]، [١١٧-أ]، [١٢٠-أ]، [١٢١-أ]، [١٣٥-ب]، [١٤٣-ب]، [١٦٠-ب]، [١٦٣-أ]، [١٦٨-ب].



الورقة الأولى والأخيرة من القطعة الأموية من مخطوط عقد الجمان في المجلد السادس تبدأ فيها حوادث سنة ٦٦هـ



المجلد السابع حوادث سنة ٩٦هـ حتى سنة ١٤٧هـ

٢٧-النُّوَيْري (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م):

أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري: عالم بحاث غزير الاطلاع. نسبته إلى نويرة[٦٧]، ومولده ومنشؤه بقوص[٦٨]. اتصل بالسلطان الملك الناصر ووكله السلطان في بعض أموره، وتقلب في الأعمال الديوانية، وباشر نظر الجيش في طرابلس، صنف كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب»، وهو أشبه بدائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره[٦٩]. اعتمد العيني على كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب»، واقتبس منه كثيراً من الروايات، جاءت بألفاظ: «في تاريخ النويري»، و«قال النويري»[٧٠]، ولكن بعض الروايات التي أوردها العيني عن النويري غير موجودة في مطبوعة كتابه نهاية الأرب.

٦٧ نويرة: من قرى بني سويف بمصر. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٢.

٦٨ قوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة، قصبة صعيد مصر. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٣.

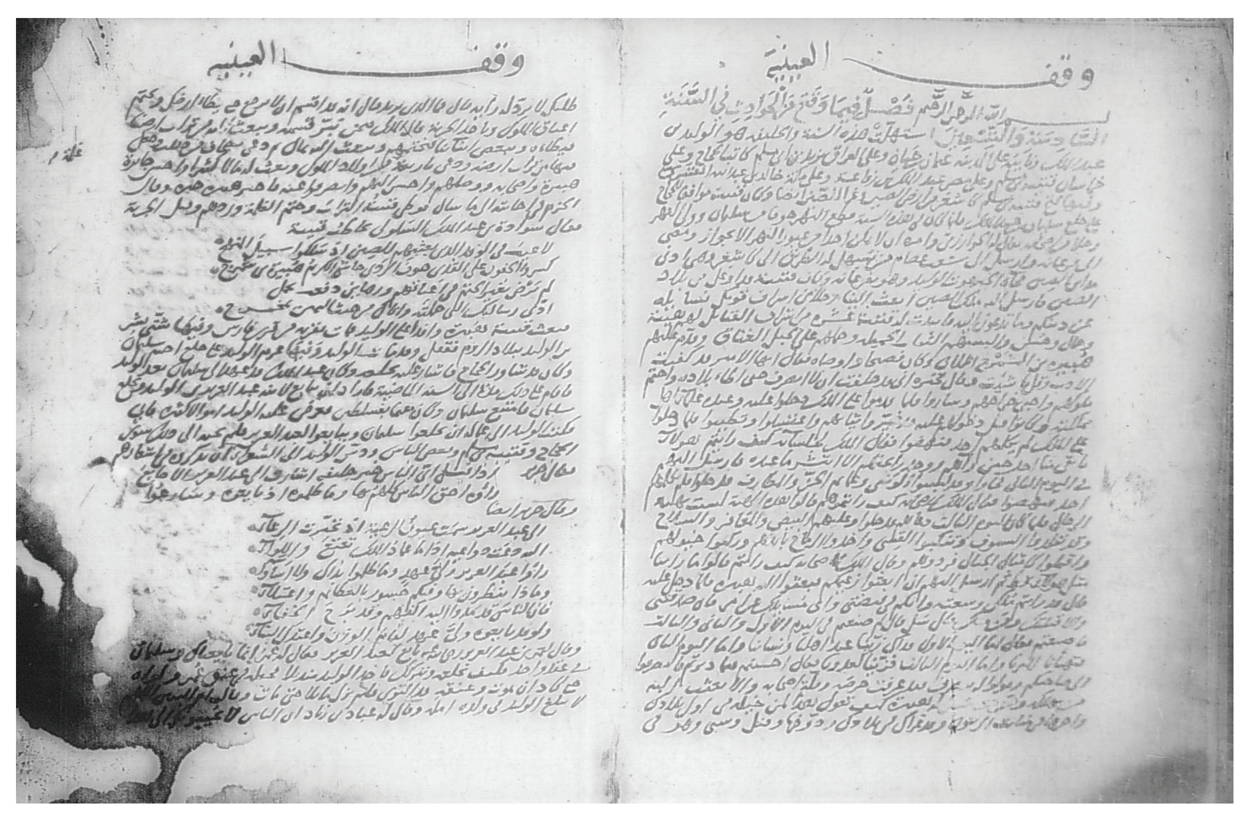
٢٨-ابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

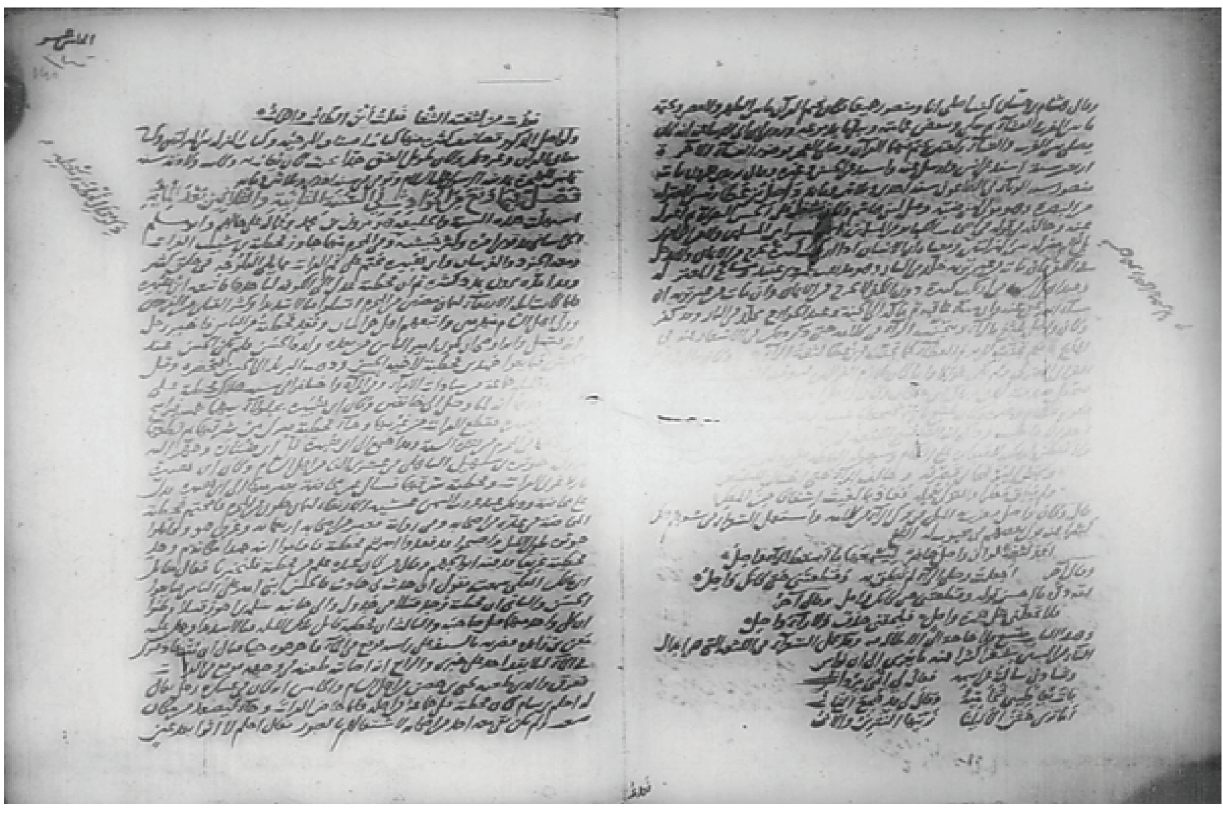
إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصرويّ، الدمشقي. ولد في بصرى في حوران، وتوفي في دمشق. كان غزير العلم واسع الاطلاع، إماماً في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلَّفات كثيرة قيمة، أبرزها: «البداية والنِّهاية» في التاريخ، وهو من أشهر كتب التاريخ الإسلاميّ وأحسنها ترتيباً وتنسيقاً، وهو كتاب في التاريخ العام، وقد رتَّبه صاحبه على السنين، على نسق الكامل لابن الأثير، انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧ه / ١٣٦٥م، أخذ عن الطبري وابن الأثير وابن الجوزي وغيرهم، لكنه لم يذكر مصادره التي اعتمد عليها[٧١]. ويأتي كتاب «البداية والنهاية» في الدرجة الثانية من المصادر التي اعتمد عليها العيني، فقد اعتمد عليه في التأريخ للكثير من الحوادث، واقتبس منه كثيراً من النصوص، جاءت بألفاظ: «قال ابن كثير»، و«في تاريخ ابن كثير»، وقال ابن كثير في

٦٩ الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص٢٨١. المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٧٠. العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٣١. ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص٣٨١. الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٦٥.

٧٠ انظر بعض روايات النُّويريّ في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٦): [٢٥-أ]، [٢٥-ب]، [٤١-أ]، [١١٢-أ]، [١٦٠-ب]، [١٦١-أ]، [١٦٨-ب].

٧١ العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٧٣. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٤١٤. ابن العماد، شذرات الذهب، ج١، ص٦٧-٦٨. الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٥٣.





الورقة الأولى والأخيرة من القطعة الأموية من مخطوط عقد الجمان في المجلد السابع تبدأ فيها حوادث سنة ٩٦هـ وتنتهي سنة ١٣٢هـ

تاريخه»، و«ذكر ابن كثير». هذا بالإضافة إلى كثير من الروايات التي أوردها العيني نقلاً عن ابن كثير، ولم يشر إلى ذلك[٧٢].

الاستنتاجات: تبين بالبحث والدِّراسة:

١- أنَّ العينيَّ اجتهد في كتابه «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، فكان كتابه مظهراً من مظاهر التأليف الموسوعيَّة، ويأتي في مصاف الكتب التاريخية المهمة.

٢-مكانة العيني العلمية الرفيعة، فهو أبرز عُلماء زمانه، ومن أكابر عُلماء المسلمين في القرن التاسع الهجري، تشهد له بذلك مصنفاته الكثيرة، ومشاركته في إدارة الدولة المملوكية من خلال عمله بالقضاء.

٣- يُعدّ كتاب «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» كتاباً جليلاً، غزير العلم، جمَّ الفوائد، أرخ فيه العيني لبداية الخليقة، ثم الأنبياء، ثم السيرة، ثم الخلفاء الراشدين، ثم الخلفاء الأمويين إلى سنة ٨٥٠هـ.

٤-اعتمد البدر العيني في تأريخه للعصر الأموي عامة على عدد من المصادر الأصيلة التي يعود تاريخها إلى الحقبة الأموية، مثل: كتابات الواقدي، والهيثم بن عدي وغيرهم، كما اعتمد على ما كتبه كبار مؤرخي العصر الإسلامي: كابن سعد، والطبري، وابن عساكر، وابن الجوزي، وسبط ابن الجوزي، وابن كثير، وغيرهم إذ نقل بأمانة كبيرة أجزاء كثيرة مما أورده هؤلاء المؤرخون من معلومات تخص العصر الأموي، ولكن مِنْ أسَفٍ لم نتمكن من التحقق من عدد من المصادر الأصيلة لأسباب متعددة منها على سبيل المثال: فقدان أصول كثيرة من هذه المصادر ككتاب الواقدي (التاريخ الكبير)، وكتب الهيثم بن عدي؛ إذ لم يصل إلينا من هذه الكتابات إلا شذرات صغيرة لا تروي تعطشنا لهذه المصادر المهمة في التاريخ الإسلامي التي ما زالت إلى يومنا هذا في عداد المفقودات. كما أن العيني لم يعد إلى كتب قريبة من العصر الأموي مثل كتاب «الفتوح» لابن الأعثم، ولا «تاريخ اليعقوبي» ولا «الأخبار الطِّوال» للدينوري. بل ركز اعتماده على كتب قريبة من العصر المملوكي تتحدث عن العصر الأموي.

٥- وما تناوله العيني من مدة تاريخية بعيدة عن عصره، يلاحظ اعتماد العيني اعتماداً واضحاً على كتاب «مرآة الزمان» لسبط بن الجوزي، فنراه ينسخ عنه الروايات كما هي بمواردها وأخطائها وعثراتها، وبالعودة إلى عدد من مصادر السبط وموارده ثبتت صحة عدد كبير من هذه الروايات، ووقعت بعض الأخطاء في مواضع عدة وردت في هذه الروايات التي سها فيها سبطُ بن الجوزي ولم يفطن العينيُّ لها.

٦-ويُلحظ أن العيني لم يعتمد أسلوباً منهجياً موحداً في ذكر اسم المؤرخ: تارة يقول الأصبهاني، وفي الورقة نفسها يقول أبو الفرج، وتارة أخرى يقول البكري، وأحياناً أبو عُبيد، ويذكر القضاعي، وفي بعض المواضع يقول في «عيون المعارف»، وأحياناً تاريخ القضاعي، ويذكر الطبري، وأحياناً ابن جرير، كما يقول المرآة، وأحياناً سبط بن الجوزي، وأحياناً يكتفي بـ قال السبط.

٧-يُلحظ في المخطوط كثرة الاستدراكات في الهوامش، ويُعد هذا أمراً طبيعياً، فالبدر العيني عند انتهائه من كتابة حوادث سنة معينة وانتقاله إلى السنة التالية، يتذكر حدثاً أو تعليقاً قد غفل عنهُ، فيضيفهُ إلى الهامش، ويضع إشارة إلى مكانه الصحيح في المتن.

وفي النهاية لا بد من التنويه إلى غنى التراث العربي الإسلامي بكنوزه الثقافية والحضارية، التي لم ترَ النور بعد، وهي بحاجة إلى دراسة والظهور، فالماضي أساس الحاضر، والحاضر قاعدة انطلاق نحو المستقبل.

٧٢ انظر بعض روايات ابن كثير في مخطوطة عقد الجمان: في المجلد (٢-٣-٤-٥): [٢٥٣-ب]، [٢٥٨-ب]، [٢٦١-ب]، [٢٧٠-ب]، [٢٧٣-أ]، [٢٧٤-أ]، [٢٧٤-ب]. المجلد (٦): [١٣٩-ب]، [١٤٦-ب]، [١٥٤-أ]، [١٥٩-ب]، [١٦٠-ب]، [١٦١-أ]، [١٦٣-ب].

المصادر

* ابـن الأثـير (علي بـن أبي الكـرم محمد بن محمـد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

١- **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر، بيروت.

*الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م):

٢- **حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصفيـاء**، القاهـرة، مكتبة الخانجي، دار الفكر، بيروت،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

*الإصطخـري (أبـو اسحـاق إبراهيـم بن محمـد الفارسي المعروف بالكرخي ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):

٣- **مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

*البخـاري (محمـد بـن إسماعيـل بـن إبراهيـم الجعفـي ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):

٤- **التاريـخ الكبيـر**، طبعـه: محمد عبـد المعيد خـان، حيدر آباد- الدكن، دائرة المعارف العثمانية، د.ت.

*ابـن تغـري بـردي (يوسـف بـن تغري بـردي بـن عبد الله الظاهري ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

٥- **النجـوم الزاهـرة في ملـوك مصـر والقاهـرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت.

٦- **المنهـل الصافي والمستوفي بعـد الوافي**، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

٧- **الدَّليـل الشَّـافي علـى المنهـل الصـافي والمسـتوفي بعد الـوافي**، تح: فهيـم محمـد شلتـوت، مكتبـة الخانجـي، القاهـرة، ١٩٧٩م.

*التميمـي (تقـي الديـن بـن عبد القـادر الـدَّاريّ الغـزيّ ت ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م):

٨- **الطبقـات السنيـة في تراجـم الحنفية**، تح: عبـد الفتاح الحلو، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

*ابـن الجوزي (أبـو الفرج عبـد الرَّحمن بن علـي بن محمَّد ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

٩- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

*ابـن أبي حاتم (عبد الرحمـن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م):

١٠- **الجـرح والتعديـل**، دار الكتـب العلميـة، ط١، بيروت، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

*ابـن حبان (محمد بن حبان بـن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):

١١- **المجروحين مـن المحدثين والضعفاء المتروكين**، تح: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، ط١، حلب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٢- **الثقـات**، تح: محمد عبد المعيد خـان، مطبعة دار المعارف العثمانية، ط١، الهند، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

*الحمـوي (شهـاب الديـن ياقـوت بـن عبـد الله الرومـي ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

١٣- **معجم البلدان**، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

١٤- **معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.

*الخطيـب البغـدادي (أبـو بكـر أحمـد بـن علـي بـن ثابت ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):

١٥- **تاريـخ بغـداد**، تح: بشـار عـواد معـروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

*ابـن خلـكان (شمـس الديـن أحمد بـن محمد بـن أبي بكر ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

١٦- **وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان**، تح: إحسان عباس، دار صـادر، بيروت، ١٩٦٨م.

*الذهبي (شمس الديـن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م):

١٧- **تذكرة الحفـاظ**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م

١٨- **تاريخ الإسلام ووفيـات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٠م.

١٩- **سير أعلام النبـلاء**، تح: حسَّان عبد المنَّان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٠- **العـبر في خبر من غبر**، تح: محمـد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

*الزبير بن بكار ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م:

٢١- **جمهـرة نسـب قريـش**، تح: عباس هاني الجـراخ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.

*السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م):

٢٢- **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٢م.

*السخاوي (شمس الدّين محمَّد بن عبد الرحمن ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

٢٣- **الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التَّاسع**، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٢٤- **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

٢٥- **الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة**، تح: جودة هلال، محمد محمود صبح، مر: علي البجاوي.

*ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):

٢٦- **الطبقات الكبير**، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

*السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م):

٢٧- **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد، ١٩٦٢م.

*السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٢٨- **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٢٩- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

*الشوكاني (محمد بن علي ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م):

٣٠- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، مطبعة السعادة، ط١، القاهرة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

*الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

٣١- **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٢- **أعيان العصر وأعوان النصر**، تح: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة وآخرين، دار الفكر، ط١، بيروت، دمشق، ١٩٦٢م.

*الصيرفي (علي بن داؤود ت٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م):

٣٣- **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تح: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، د.م، ١٩٧١م.

*الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م):

٣٤- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

*العجلي (أحمد بن عبد الله بن صالح ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م):

٣٥- **معرفة الثِّقات من رجال أهل العلم والحديث**، تح: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

*ابن عساكر(علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م):

٣٦- **تاريخ مدينة دمشق**، تح: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن علامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

*العسقلاني(أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر شهاب الدين ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

٣٧- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، تح: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، ط٢، حيدر آباد، ١٩٧٢م.

*ابن العماد(عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):

٣٨- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، دمشق، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

*العيني(بدر الدين محمود ت٨٥٥/ ١٤٥١م):

٣٩- عقد الجمان (٨١٥هـ-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، تح: عبد الرزاق القرموط، الزاهر للإعلام العربي، ط١، ١٩٨٩م.

٤٠- **منحة السلوك في شرح تحفة الملوك**، تح: أحمد عبد الله الكيسي، الهيئة القطرية للأوقاف، ط١، قطر، ٢٠٠٧م.

٤١- **البناية شرح الهداية**، تح: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

*الغزي (كامل بن حسين بن مصطفى الحلبي ت١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م):

٤٢- **نهر الذهب في تاريخ حلب**، دار القلم، ط٢، حلب، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

*الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م):

٤٣-**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تح: فؤاد سيِّد، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

*أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بصاحب حماه ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

٤٤-**تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ماك كوكين، دار صادر، بيروت، د.ت.

*القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):

٤٥-**إنباه الرواة على أنباه النحاة**، المكتبة العصريّة، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

*الكتاني (محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسيني الإدريسي ت١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م):

٤٦-**الرسالة المستطرفة**، المكتبة العصريّة، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

*الكتبي (محمد بن شاكر ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

٤٧- **فوات الوفيات والذيل عليها**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

*ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيُّ الدِّمشقيُّ ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

٤٨-**البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

*المزي (جمال الدين أبو الحجاج يوسف ت٧٤٢هـ/ ١٣٤٣م):

٤٩- **تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

*المقريزي(أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو الحسيني العبدي تقي الدين تـ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

٥٠-**السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

*النديم (محمد بن إسحاق ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م):

٥١- **الفهرست**، تح: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

*النووي (يحيى بن شرف ت ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م):

٥٢- **تهذيب الأسماء واللغات**، عنيت بنشره: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

*الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م):

٥٣- **فتوح الشَّام**، تح: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، د.ت.

*اليافعي (عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م):

٥٤-**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

*اليونيني(موسى بن محمد ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م):

٥٥- **ذيل مرآة الزمان**، دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

المراجع

١- روزنثال، فرانز: **علم التاريخ عند المسلمين**، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢- الزركلي (خير الدِّين): **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣- زكار (سهيل): **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية**، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤- سحلول (هند محمود): **البدر العيني وجهوده في علوم الحديث وعلوم اللغة في كتابه** (عمدة القاري شرح صحيح البخاري)، بحث أُعدَّ لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة دمشق، إشراف: نور الدين عتر، أميمة بدر الدين، ٢٠٠٦.

٥- عبد الباقي (أحمد): معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٩١م.

٦- عبد الرحمن (عبد الجبار): **ذخائر التراث العربي الإسلامي**، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢.

٧- معتوق (صالح يوسف): **بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث**، دار البشائر الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٨-المنجِّد (صلاح الدين): **معجم المخطوطات المطبوعة**، دار الكتب الجديدة، ط٢، بيروت، ١٩٧٨م.

المخطوطات مخزونٌ معرفيّ..

المحافظة عليه واجبٌ قوميّ

إيـــاد فايـــز مرشـــد *

وصفتِ المستشرقةُ الألمانية (زيغرد هونكه) إقبالَ العرب على الكتب:

«إنَّ إقبالَ العرب على الكتب والمخطوطات يشبه إلى حدٍّ كبير شغفَ الناس في عصرنا هذا باقتناء السيارات والإلكترونيات، وكما يُقاسُ الناس اليومَ بمقتنياتهم المادية؛ قُدِّر الناسُ في العصر الممتد من القرن التاسع إلى الثالث عشر بما يملكون من كتبٍ أو مخطوطات»(١).

لم يكن اهتمام العرب بالمخطوطات وتأليف الكتب حالة عابرة في تاريخهم، بل جاء نتيجةً منطقيةً لتطور الفكر العربي والثقافة العربية التي مهَّد لها ظهور الإسلام بمفاهيمه الإنسانية وقيمه الحضارية؛ ليشكل صدمةً إيجابيةً في مجمل الوعي العربي الذي كانت له امتداداته الحضارية التي تعود لآلاف السنين؛ فحققت الحضارة العربية تراكماً معرفياً يستند إلى إرثٍ تركه أجدادهم في الجزيرة العربية أو في بلاد الشام والرافدين من حضارات: أكّادية، وكنعانية، وآرامية، وآشورية.. إلخ.

وهذا ما مكّن الإسلام من إعادة تقديمه للإنسانية بأسلوب عربي وبمقومات جديدة، دعائمها عقيدة ملأت منهم النفوس والقلوب، وكتاب محكم البيان أضاف إلى لغتهم كثيراً من المنعة والاعتزاز، ثم مهّد لظهور حركة كبيرة لتوثيقه أولاً، ثم دراسته وتحليله لغةً وقيماً ومعتقداً، ومن ثَمَّ شهدت القرون التالية لظهور الإسلام حركة تأليف غير مسبوقة شملت مجمل أنواع المعرفة والآداب المعروفة آنذاك، وأصبحت الحواضر العربية في دمشق وبغداد والمدينة والبصرة وغيرها من المدن في الأندلس والمغرب العربي قلاعاً حقيقية للإبداع والإنجاز المعرفي، وعلى إثر ذلك كتبت آلاف المخطوطات.

وتكمن أهمية المخطوطات في الآتي:

كونها نتاجاً ثقافياً، أو حصيلة الجهد الفكريّ للأمة من أبنائها المبدعين في شتى المجالات: الفكرية، والعلمية، والدينية، هذا النتاجُ يشكل جزءاً مهمّاً من تراث الأمة الذي ينبغي الحرص عليه، والحفاظ على ذخائره.

كونها أحياناً نادرة: أي أن يكون منها نسخة واحدة أو نسختان في العالم، أو فريدة: وهي التي يوجد منها نسخة واحدة في العالم.

تعطي صورةً واضحةً عن الحياة العلمية،

* المدير العام لمكتبة الأسد الوطنيّة.

١- زيغرد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي. منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر. ١٩٦٤م، ص ٣٨٥.

والسياسيـة، والدينية، والبيئة الاجتماعية، والصحية لفترة زمنية ما.

تحمل قيمةً علميةً أو تاريخيةً أو أدبيةً بما تتضمنه من معلومات وأفكار وأساليب في الكتابة والتعبير.

تقـدم أنموذجـاً حقيقيـاً لنوعية المـواد المستخدمة في الكتابـة مـن جلود أو ورق أو أحبـار أو طرق تجليد المخطوطـات، وجمـع أجزائهـا، وأساليـب زخرفتها، والمواد المستخدمة في ذلك.

تُوثّـق للمنجـز (المـادة المكتوبـة) التـي تحتويها، وتحـافظ عليها من الضيـاع والاندثار.

تُوثّـق حق ملكيـة المعلومات لأصحابهـا، إذ تشكل أشبه ما يكون بصك قانوني بتبعيتها وعائديتها.

والمخطوطات العربية – أسوة بسواها من عناصر الـتراث الثقـافي العربـي سـواء أَكان ماديـاً آثـاراً أم مخطوطـات أم غير ماديّ من: تراث شفوي، وفلكلور، وعادات، وتقاليد... إلخ. – تعرّضت لانتكاسات كبيرة بسبـب الغزو الذي دَهَمَ البـلاد العربية: (غزو هولاكو وحـرق مكتبة بغداد عـام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م[٢]، وغزو

٢– عباس العزاوي، تاريخ العـراق بين احتلالين :حكومة المغول، مطبعة بغداد ١٩٣٥م، ص ٣٧.

التتار لدمشق سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، وحرق كتبها، وفي ذلك يقول بهاء الدين البهائي:

لهفي على كتبِ العلومِ ودرسِها

صارت معانيها بغير بيان

ومن ثمَّ الاحتلال الصليبي لفلسطين ولأجزاء من سواحل بلاد الشام والشرق الأوسط (١٠٩٦ – ١٢٩١) م، والاحتلال العثماني للوطن العربي في الفترة ما بين (١٥١٦– ١٩١٨) م، ثم الاستعمار الغربي، والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، والعدوان على الدول العربية، واحتلال أجزاء مهمة من أراضيها، كل هذه القوى العابثة والطامعة حاولت سرقة الآثار العربية، وتدمير مفردات التراث العربي من مخطوطات وكتب، وسواها من مصنفات التراث الثقافي العربي.

وفي القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ومع انتشار البعثات التبشيرية، ورحلات المستشرقين، وانتشار القنصليات الأجنبية في دمشق وبيروت والقاهرة والقدس وسواها من الحواضر العربية بدأت حملة لاستنزاف التراث العربي، وإحدى أهم مكوناته المخطوطات؛ إضافة إلى الآثار التي يمكن نقلها، وشرعوا بنقل هذه المخطوطات وسرقتها من خلال عمليات السلب، أو الشراء المباشر من أصحابها أو المسؤولين عنها؛ وذلك لعدم تقديرهم لأهميتها، ولقيمتها العلمية والتاريخية، إذ استغلوا حاجات الناس، وظروفهم المعيشية، وانتشار التخلف من أجل سرقة هذه المخطوطات، والاتّجار غير المشروع بها.

وتسابقت الجامعات والمكتبات الأوربية، والمتاحف، وكذلك الأباطرة، والزعماء الأوربيون والمستشرقون للاستحواذ على المخطوطات العربية بكل أشكالها ومضامينها؛ وذلك بحجة البحث العلمي حيناً أو بدعوى حمايتها لغياب مَنْ يقدِّر أهميتها، وكان ذلك من أكبر عمليات السطو الثقافي على الإطلاق، وأسهم ضعف الدولة العثمانية، وسعيها لسرقة التراث العربي، ونقله إلى خزائن السلاطين والأمراء العثمانيين، ومكتبات المدن التركية، وعملها على طمس الهُوية العربية من خلال محاولات التتريك المختلفة التي كانت سياسة معلنة لبعض سلاطينها = في تشجيع الاتّجار غير المشروع بالمخطوطات، ونقل كثير من الممتلكات الثقافية إلى خارج الوطن العربي.

وعلى إثر النزاعات التي شهدها العالم ولاسيَّما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، والحروب التي نشأت في سبيل تحقيق دول العالم الثالث لاستقلالها وحريتها، وتعمّد القوى المستعمِرة سرقة الممتلكات الثقافية للدول المستعمَرة، ونقلها إلى متاحفها ومكتباتها = تحركت الأمم المتحدة للمحافظة على هذه الممتلكات كونها ملكاً للإنسانية جمعاء، وأهم الاتفاقيات والقرارات الدولية التي عُنيت بالتراث الثقافي (ومنها المخطوطات) نذكر الآتية:

١– اتفاقية لاهاي بشأن حماية التراث في حالة النزاع المسلح ١٤/ ٥/ ١٩٥٤: وهي الاتفاقية الأساسية التي مهَّدت لتوفير الحماية للمخطوطات؛ بسبب ما يشوب النزاعات المسلحة من أعمال نهب وتخريب وتدمير، واستباحة للمواقع الأثرية والثقافية.

وورد في المادة الأولى الخاصة بتوصيف الممتلكات الثقافية:

الفقرة (أ) الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي كالمباني المعمارية أو الفنية منها أو التاريخية، الديني منها أو الدنيوي، والأماكن الأثرية، ومجموعات المباني التي تكتسب

بتجمعها قيمة تاريخية أو فنية، والتحف الفنية، والمخطوطات، والكتب، والأشياء الأخرى ذات القيمة الفنية التاريخية والأثرية، وكذلك المجموعات العلمية، ومجموعات الكتب المهمة، والمحفوظات، ومنسوخات الممتلكات السابق ذكرها.

كما ورد في المادة /٤/ بخصوص احترام الممتلكات الثقافية الفقرة /٣/: تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة أيضاً بتحريم أي سرقة أو نهب، أو تبديد للممتلكات الثقافية، ووقايتها من هذه الأعمال، ووقفها عند اللزوم مهما كانت أساليبها، وبالمثل تحريم أي عمل تخريبي موجه ضد هذه الممتلكات، كما تتعهد بعدم الاستيلاء على ممتلكات ثقافية منقولة كائنة في أراضي أي طرف سامٍ متعاقد آخر[٣].

٢- اتفاقية اليونسكو لعام ١٩٧٠ (باريس): تضمنت التدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة، وعُدَّت المخطوطات جزءاً لا يتجزأ من هذه الممتلكات، وذلك في الفقرة /ح/ من المادة الأولى: (المخطوطات النادرة والكتب المطبوعة قبل سنة ١٥٠١ ميلادية والكتب والوثائق والمطبوعات القديمة ذات الأهمية الخاصة «من الناحية التاريخية، أو الفنية، أو العلمية، أو الأدبية إلخ» سواء كانت منفردة أم في مجموعات).

وتضمنت المادة السابعة تعهداً واضحاً من الدول بالعمل على تنفيذ بنود الاتفاقية:

«تتعهد الدول الأطراف في هذه الاتفاقية بما يأْتي:

أن تتخذ التدابير اللازمة بما يتفق وقوانين البلاد؛ لمنع المتاحف، والمؤسسات المماثلة القائمة في أراضيها من اقتناء ممتلكات ثقافية واردة من دولة أخرى طرف في الاتفاقية، ومُصدّرة بطرق غير شرعية بعد العمل بهذه الاتفاقية في الدولتين المعنيتين، وأن تُخطر دولة المنشأ كلما كان ذلك ممكناً بما يعرض عليها من ممتلكات ثقافية نقلت من تلك الدولة بطرق غير مشروعة بعد العمل بهذه الاتفاقية في كلتا الدولتين.

أن تُحظر استيراد الممتلكات الثقافية المسروقة من متحف أو من أثر عام ديني أو علماني أو من مؤسسة مشابهة في دولة أخرى طرف في هذه الاتفاقية بعد العمل بها في الدولتين المعنيتين؛ بشرط أن تكون تلك الممتلكات مدرجة في قائمة جرد المؤسسة المذكورة.

أن تتخذ بناء على طلب دولة المنشأ التي تكون طرفاً في الاتفاقية التدابير المناسبة لاستيراد وإعادة تلك الممتلكات الثقافية المستوردة بعد العمل بهذه الاتفاقية في كلتا الدولتين المعنيتين؛ بشرط أن تدفع الدولة الطالبة تعويضاً عادلاً للمشتري بحسن نية أو للمالك بسند صحيح. وتقدم طلبات الاسترداد والإعادة بالطرق الدبلوماسية، وعلى الدولة الطالبة أن تقدم على نفقتها الخاصة الوثائق وغيرها من الأدلة اللازمة التي تثبت شرعية طلبها للاسترداد والإعادة. وعلى الدول الأطراف ألا تفرض أي رسوم جمركية أو غيرها من الرسوم على الممتلكات الثقافية المعادة بموجب هذه المادة، ويتحمل الطرف الطالب جميع المصروفات المترتبة على إعادة الممتلكات الثقافية وتسليمها.

كما نصَّت المادة /١١/ من الاتفاقية على: «يعتبر عملاً غير مشروع تصدير الممتلكات الثقافية، ونقل ملكيتها عنوة كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لاحتلال دولة أجنبية لبلد ما»[٤].

٣- حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح.. اتفاقية لاهاي ١٤أيار١٩٥٤ متاح على الرابط:
http://hrlibrary.umn.edu/arab/b 205.html
[تاريخ الإتاحة ١٧/ ٢/ ٢٠٢١م].

٤- الوسائل التي تستخدم لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة ١٩٧٠م، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، متاح على الرابط:
https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000114046_ara.page=129
[تاريخ الإتاحة ١٧/ ٢/ ٢٠٢١م].

٣- اتفاقية المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص (يونيدروا) بشأن الممتلكات الثقافية المسروقة أو المصدرة بطرق غير مشروعة (روما ٢٤ / يونيو / ١٩٩٥).

تعدّ اتفاقية (يونيدروا) ١٩٩٥ بشأن الممتلكات الثقافية المسروقة أو المصدّرة بطرق غير مشروعة مكملة لاتفاقية اليونسكو لعام ١٩٧٠، وخطوة في الاتجاه الصحيح؛ لاسترجاع التراث المادي المنهوب، وبيّنت الإجراءات الواجب اتخاذها؛ لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة، حيث حددت وسائل استرجاع وإعادة الممتلكات الثقافية بين الدول المتعاقدة.

ومن مزاياها أنها رسّخت بشكل قانوني أن كل المقتنيات الأثرية الناتجة عن عمليات تنقيب غير شرعية هي بمنزلة مواد مسروقة، وتنطبق عليها شروط الحماية، وتجب إعادتها، وأعطت الأحقيّة باسترجاع الممتلكات ذات القيمة الثقافية البالغة للدول الطالبة(٥).

٤- البروتوكول الثاني (لاتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤) الخاص بحماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلَّح والصادر في لاهاي ٢٦ / ٣ / ١٩٩٩.

الهدف الرئيس منه تحسين حماية الممتلكات الثقافية في حالة نشوب نزاع مسلح، والعمل لإقامة نظام معزز لحماية ممتلكات ثقافية معينة على وجه التحديد، وكذلك قاربت ما بين البروتوكول والقانون الدولي بهذا الشأن، كما شملت التدابير الواجب اتخاذها لصون الممتلكات الثقافية من خلال حصرها، وتأمين الحماية لها من الطوارئ المختلفة، وكذلك حمايتها خلال سير العمليات العسكرية وقواعد المسؤولية الجنائية والولاية القضائية بموجب القانون الوطني والقانون الدولي لمرتكبي الانتهاكات ضد الممتلكات الثقافية. ومن أهم ما ورد فيه ما جاء في الفصل الرابع المادة الخامسة عشرة؛ إذ نصّت حرفياً:

الانتهاكات الخطيرة لهذا البروتوكول:

١- يكون أي شخص مرتكباً لجريمة بالمعنى المقصود في هذا البروتوكول إذا اقترف ذلك الشخص عمداً، وانتهاكاً للاتفاقية أو لهذا البروتوكول أياً من الأفعال الآتية :

أ- استهداف ممتلكات ثقافية مشمولة بحماية معزّزة بالهجوم.

ب- استخدام ممتلكات ثقافية مشمولة بحماية معزّزة، أو استخدام جوارها المباشر في دعم العمل العسكري.

ج- إلحاق دمار واسع النطاق بممتلكات ثقافية محمية بموجب الاتفاقية وهذا البروتوكول، أو الاستيلاء عليها.

د- استهداف ممتلكات ثقافية محمية بموجب الاتفاقية وهذا البروتوكول بالهجوم.

هـ - ارتكاب سرقة أو نهب أو اختلاس أو تخريب لممتلكات ثقافية محمية بموجب الاتفاقية.

٢- يعتمد كل طرف من التدابير ما يلزم لاعتبار الجرائم المنصوص عليها في هذه المادة جرائم بموجب قانونه الداخلي، ولفرض عقوبات مناسبة على مرتكبيها، وتلتزم الأطراف وهي بصدد ذلك مبادئَ القانون العامة، ومبادئ القانون الدولي، بما في ذلك القواعد القاضية بمد نطاق المسؤولية الجنائية الفردية إلى أشخاص غير أولئك الذين ارتكبوا الفعل الجنائي بشكل مباشر(٦).

٥- الممتلكات الثقافية المنقولة بطرق غير مشروعة اتفاقية (يونيدروا) ١٩٩٥م. متاحة على الرابط:
/https://medmakblog.wordpress.com
[تاريخ الإتاحة: ١٧ / ٢ / ٢٠٢١م].

٦- حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح، البروتوكول الثاني لاتفاقية لاهاي عام١٩٥٤م، متاح على موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر الرابط:
https://www.icrc.org/ar/doc/resources/documents/misc/5ntdgl.htm
[تاريخ الإتاحة ١٧ / ٢ / ٢٠٢١م].

ومما تقدَّم جهدت اليونسكو وعبر أكثر من اتفاقية لإعادة المواد الثقافية المسروقة، كما أصدر مجلس الأمن الدولي قرارات عدّة تضمنت المبادئ والتوجهات الدولية فيما يتعلق بالممتلكات الثقافية، ومنع الاتّجار بها، وتطبيق العدالة بحق المجرمين ومرتكبي التجاوزات، ونذكر هنا:

- القرار (١٤٨٣ لعام ٢٠٠٣م) وهو خاص بالوضع في العراق، وتضمن ضرورة المحافظة على ممتلكاته الثقافية وحمايتها.

- القرار (٢١٩٩ لعام ٢٠١٥م) وهو خاص بمكافحة تمويل الإرهاب والاتّجار بالنفط من داعش والنصرة وسواها من التنظيمات الإرهابية، ويدين تدمير التراث الثقافي.

- القرار (٢٢٥٣ لعام ٢٠١٥) خاص بمكافحة تمويل الإرهاب. (حيث كانت القوى الإرهابية من داعش ومثيلاتها تتاجر بالآثار والممتلكات الثقافية؛ لتمويل عملياتها الإجرامية).

كما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في إطار تعزيز التدابير المتخذة في مجال منع الجريمة والعدالة الجنائية لحماية الممتلكات الثقافية ومنع الاتّجار بها القرارات الآتية:

- القرار ٦٦ / ١٨٠ في كانون الأول ٢٠١١م.

- القرار ٦٨ / ١٨٦ في ١٨ كانون الأول ٢٠١٣م.

- القرار ٦٩ / ١٩٦في ١٨كانون الأول ٢٠١٤م[٧].

ولكن كل ما صدر عن المنظمات الدولية لم يُشكّل رادعاً للتجارة غير الشرعية للممتلكات الثقافية على اختلاف أنواعها، ذلك أنها افتقدت بمعظمها للأثر الرجعي لتنفيذها، واعتمدت تاريخ التوقيع أو التصديق عليها كأساس للعمل بها مع بعض الاستثناءات القليلة.

وبالنسبة للممتلكات الثقافية لدول العالم الثالث، ومنها الدول العربية تعود سرقة كنوزها الثقافية من آثار ومخطوطات إلى مئات السنين التي لا تشملها الاتفاقيات الدولية، كما أن التكاليف المالية التي يمكن أن تقع على الجهة المطالبة باسترداد الممتلك الثقافي القيّم (تكاليف رفع الدعاوى القانونية أمام المحاكم، ودفع التعويضات... إلخ) تشكل عبئاً ولاسيَّما أن معظم المواد المسروقة والمهربة هي من دول العالم الثالث إلى الدول الغربية وأمريكا، لكن تكمن أهمية هذه الاتفاقيات والقرارات أنها وضعت ضوابط قانونية يمكن اللجوء إليها لمحاكمة مرتكبي الجرائم بحق التراث الثقافي.

ويبقى ذلك ليس بالأمر اليسير؛ إذ إنَّ ما شهدته منطقتنا العربية خلال العقدين الأخيرين لم يثبت نجاعة كبيرة في تطبيق الاتفاقيات الدولية بهذا الشأن، فقد نشطت في العراق بعد الغزو الأمريكي له عام ٢٠٠٣ تجارة الآثار غير الشرعية، وعمليات التنقيب غير القانونية، وسرقت آلاف القطع الأثرية والمواد الثقافية من متاحفه ومكتباته، أو دُمِّرت المواقع الثقافية وخُرِّبت معالمها تحت وطأة القوة العسكرية لقوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي سورية عملت قطعان العصابات الإرهابية المولة خارجياً من داعش والنصرة وسواها من التنظيمات الإرهابية على تخريب المواقع الأثرية والثقافية، وسرقتها، وتدمير قسم كبيرٍ من محتوياتها التي لم تستطع نقله والاتّجار غيرٍ المشروع به، ونقله

٧- قرارات الأمم المتحدة، متاحة على موقع الأمم المتحدة على الرابط:

https://www.un.org/

[تاريخ الإتاحة ١٧ / ٢ / ٢٠٢١م].

إلى تركيا وسواها من الدول الأوربية، ومِنْ ثَمَّ غابت الإرادة الدولية والعدالة عن محاسبة هؤلاء العابثين بالتراث الثقافي والإنساني، وتقديمهم للمحاكمة أصولاً حتى الآن على الأقل.

ويجب أن نشير إلى أن المطامع في الممتلكات الثقافية العربية كما ذكرنا سابقاً ليس حديثة العهد، ويكفي أن نشير في مجال المخطوطات فقط إلى أن أكثر من / ١٥٠٠٠ / مخطوطٍ عربيٍّ مصنفة في / ١٤٠٠٠ / مجلدٍ موجودة في المملكة المتحدة، موزعة في متاحفها، وجامعاتها، ومكتباتها، وإلى وجود / ٤٨٨٥٤ / مخطوطاً عربياً في مكتبة السليمانية بإسطنبول وحدها في تركيا، فضلاً عن الآلاف الموزعة في مكتباتها الأخرى، وإلى وجود أكثر من / ٤٠٠٠٠ / مخطوطٍ في ألمانيا منها / ١١٧٣٠ / مخطوطاً في مكتبة الدولة في برلين، والمكتبة الوطنية في باريس فيها نحو / ٧٢٠٠ / مخطوطٍ عربيٍّ، وفي أمريكا تملك جامعة برنستون Princeton مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والإسلامية النادرة، وفي مكتبة الكونغرس نحو / ١٧٠٠ / مخطوطٍ عربيٍّ، وفي إسبانيا في مكتبة الأسكوريال وحدها ما بين ألفي وثلاثة آلاف مخطوطٍ عربيٍّ(٨). ما عدا آلاف المخطوطات العربية في باقي الجامعات والمتاحف والمكتبات الأوربية، وما يملكه بعض الأفراد هناك من مجموعات شخصية منها.

وسَرَقَ الكيانُ الصهيونيُّ آلاف المخطوطات العربية من القدس والأراضي الفلسطينية، كما عمل على نهب وتدمير المواقع الثقافية في الأراضي العربية المحتلة على اختلافها وسرقة محتوياتها.

أما على الصعيد العربي فقد أنشئ معهد المخطوطات العربية عام ١٩٤٦ من جامعة الدول العربية الذي ما لبث أن استقلَّ عن الدائرة الثقافية في الأمانة العامة للجامعة عام ١٩٥٥، ثم ألحق عام ١٩٧٠ بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. والمعهد يحتفظ بأكثر من / ٤٠٠٠٠ / مخطوط أصليّ ومصوّر وميكروفيلمي ورقميّ.

لكن ذلك لم يترافق مع جهود فعَّالة للمطالبة بهذه الكنوز الحقيقية الموجودة خارج الوطن العربي، وترك الأمر بيد المنظمات الدولية التي تسيطر عليها تمويلاً وقراراً الدول العظمى، والتي بالرغم مما أصدرته من اتفاقيات وقرارات تبقى وسائل التنفيذ وآليات العمل لاسترجاع الكنوز الثقافية محفوفةً بالمصاعب والعقبات، كما أن جميع هذه الاتفاقيات لم تُشِرْ إلى الكنوز التي نهبت خلال فترة الاستعمار الغربي لمعظم دول العالم الثالث، كما أنها تغافلت عن التراث الثقافي المسلوب في القرون السابقة، وأبقت الأمر متاحاً لحسن النوايا فقط، وللرغبة المشتركة إذا توافرت في استرجاع بعض الكنوز والممتلكات الثقافية المسلوبة عبر مراحل تاريخية متعاقبة.

وهذا ما يجعلنا نفكر بوسائل ممكنة لاستعادة المسروق من مخطوطاتنا، لتكون من جديد في خدمة البحوث التراثية والثقافة العربية، مستغلين التطور التقني وإمكانيات الحصول على نسخ مصورة واضحة من هذه المخطوطات.

ومن السبل المتاحة لاستعادة المخطوطات نذكر الآتي:

من خلال الاتفاقيات الثنائية بين المكتبات العربية والجامعات الغربية بحيث يمكن الحصول على نسخ رقمية منها.

إيفاد قسمٍ من الطلاب العرب الدارسين للتراث

٨- مجلة فكر الثقافية، المخطوطات العربية في المكتبات العالمية، العدد ١٩، أيار ٢٠١٧م، الرياض - السعودية.

والمختصين به، وتكليفهم تحقيقَ ودراسة هذه المخطوطات ولاسيما القيّمة منها.

التعاون مع الجامعات والمكتبات الغربية من خلال إجراء دراسات وبحوث مشتركة حول هذه المخطوطات (دراسة تخصصية في جوانب معينة حول المخطوطات مثل السماعات، أو العلامات المائية، أو الأحبار المستخدمة فيها إلخ).

تكثيف التعاون والتنسيق ما بين الجهات الحافظة للمخطوطات العربية من جامعات ومكتبات؛ لوضع قواعد بيانات خاصة بها تثبت أماكن توزعها، ووضعها الفني، وتحسين فرص الاستفادة منها، وتبادل الخبرات في مجال فهرستها، وتوثيقها، وترميمها، والحفاظ عليها.

٤- السعي لاستصدار وتطوير التشريعات القانونية التي تحمي المخطوطات من السرقة، وتسهِّل وسائل حفظها، والتصريح عن وجودها لدى الأفراد والمؤسسات، مع حفظ نسخ مصورة منها لدى الجهات المختصة بالحفظ.

دور مكتبة الأسد الوطنية في حفظ المخطوطات وإتاحتها للباحثين والمحققين

إنّ الجمهورية العربية السورية قد أدركت أهمية المخطوطات كمكوِّن رئيس في التراث الثقافي، وعملت على تهيئة أسباب حفظه وصيانته من خلال إناطة هذا الدور بمكتبة الأسد الوطنية التي افتتحت في ١٦ / ١١ / ١٩٨٤م.

وقد عُرِّفتِ المكتبة الوطنية في (مؤتمر اليونسكو) الذي عُقِدَ عام (١٩٥٨م) بأنها المكتبةُ المسؤولةُ عن جمعِ وحفظِ المطبوعاتِ القوميّةِ من أجل خدمةِ الأجيالِ الصَّاعدة.

والمكتبةُ الوطنيةُ هي مكتبةٌ تنشئها الدولةُ خصيصاً كحافظة لمعلومات البلد، إذ تقومُ بجمعِ وحفظِ التراث الفكريّ الوطنيّ ،والإعلام عنه، وهي المعنية بالإيداع القانوني وهو الذي يُلزِم المؤلفَ أو الناشرَ أو المطبعةَ إيداعَ خمس نسخ من المطبوعِ أو المنشورِ في المكتبة الوطنية، وضمنَ شروطٍ معينة.

ومن أهمِّ وظائف المكتبة الوطنية: جمعُ التراثِ الفكريِّ الوطنيِّ، واقتناءُ شتّى أشكالهِ من أوعية المعلومات المختلفة التي تشمل الكتب، والدوريات، والمخطوطات، والمواد السمعية والبصريّة من أفلام ومصغرات وأسطوانات، وتقديمُ الخدماتِ المكتبيةِ والمعلوماتِ سواء للهيئاتِ الحكوميةِ أو الباحثين، ووضعُ تقنيات البيبليوغرافيا، والفهرسة والتصنيف، وإعدادُ بطاقات الفهارس.

ومُنِحت المخطوطات كلَّ الاهتمام والعناية، إذ نصَّ المرسومُ التشريعي رقم / ١٧ / لسنة ١٩٨٣م الخاص بإحداث المكتبة الفقرة / ب / على أنْ تقوم المكتبة باقتناء وحفظ المخطوطات والوثائق ذات القيمة التاريخية أو القومية أو الثقافية أو صورة لها.

وجاء في مادة / ١٦ / منه أيضاً:

- يحق لصاحب المخطوطة التي تم اقتناؤها من قبل المكتبة الاحتفاظ بنسخة مصورة لها.

- يجوز للمكتبة أن تقوم على حسابها بصيانة المخطوطات الموجودة لدى الهيئات أو الأفراد لقاء حصولها على مصورة لها.

وتنفيذاً لذلكَ بادرت مكتبة الأسد منذ عام (١٩٨٤م) إلى جمعِ المخطوطاتِ ونوادرِ الكتبِ من المكتبات الحكومية بناءً على ما ورد سابقاً في قرار إحداثها، وبناءً على كتاب رئاسة مجلس الوزراء رقم ٣٧٢٦ / أ تاريخ / ١٦ / ٩ / ١٩٨٤م المتضمن موافقة

رئاسة مجلس الوزراء بنقل المخطوطات والكتب النادرة ونسخة من الكتب التي يتوفر لها أكثر من نسخة من المكتبة الظاهرية إلى مكتبة الأسد. إذ كانت هي المكتبةُ الرئيسةُ التي نُقِلَتْ منها المخطوطاتُ، ومجموعات المكتبة الظاهرية: هي المكتبةُ العموميةُ في صالحيةِ دمشقَ، وما ضُمَّ إليها من المكتبةِ الضيائيةِ، ومكتبة عبد الله باشا العظم، ومكتبة سليمان باشا العظم، ومكتبة الملا عثمان الكردي، والمكتبة المرادية، والمكتبة السميساطية، والمكتبة الياغوشية، ومكتبة الخياطين، ومكتبة الأوقاف، ومكتبة بيت الخطابة وغيرها، وبلغ عددها: (١١٩٠٤).

وقد ورد إلى المكتبة مخطوطات المكتبة الوقفية بحلب وهي (٥٦٦٥) مخطوطاً، وقد جمعت مخطوطاتها من المكتبات التالية: الخسروية، والمولوية، والأحمدية، والمنصورية، والإخلاصية النجشية، والرفاعية، والصِّديقيّة.

وجُمِعَتْ مجموعات من المخطوطاتِ من بعض المراكزِ الثقافية المنتشرة في القطر، كالمركز الثقافي في حماه (٥٩٨) مخطوطاً، والمركز الثقافي في سلقين (١٣٦) مخطوطاً، ومن مكتبة مديرية الآثار والمتاحف (٢٣٩) مخطوطاً.

إضافة إلى ما يرِدُها باستمرارٍ من مخطوطات عن طريق الإهداء أو الشراء، مثال: مخطوطات أهداها للمكتبة الأستاذ عيسى سلامة، وهي من المزادات العلنية في أوربا، ومخطوطات أهداها كل من: محمد لطفي الخطيب، وحسان الكاتب، وعدنان جوهرجي، وورثة كل من: «حسني الهبل، ونصوح المعلم».

– أما عن أقدم المخطوطات المتوافرة في المكتبة فهو مخطوط بعنوان:

مسند الإمام ابن حنبل، وعليه تاريخ سماع سنة ٢٦٧هـ.

– وهناك أوراق من رقِّ الغزال لمصحف شريف كتبت في القرن الثاني الهجري، ولعل شرح ديوان الفرزدق من أقدم دواوين الشعر يعود إلى القرن الرابع الهجري، كما أن أكثر مخطوطات ابن أبي الدنيا تعود إلى بداية القرن الرابع الهجري، وهناك أقدم نسخة في العالم «رسالة التربيع والتدوير للجاحظ» تعود للقرن الخامس الهجري.

وفيها مخطوطات كتبت على جلد البقر والماعز والعجل، منها: ترانيم باللغة اليونانية، كتبت على جلد بقري، وتتضمن أيقونات للصليب وللسيدة مريم العذراء وللسيد المسيح، وهي مذهبة، ويُقدَّر عمرها بأربعمئة عام.

تتطلب حماية المخطوطات توفير مستودعات بمواصفات معينة بحيث تكون لها جدران سميكة، وتوضع على رفوف معدنية بشكل عمودي، ويراعى التسلسل الرقمي، وتوضع المخطوطات ذات الحجم الكبير بشكل أفقي في مكان مُعَدّ لها بالمستودع، ولا بدَّ من توافر درجة حرارة مناسبة تتراوح ما بين (١٦ – ١٨) درجة مئوية، أما الرطوبة فبين (٥٥–٦٠٪).

ولا بدَّ من تزويد المستودعات بأجهزة إطفاء ووسائل تنبيه سريعة عن الحرائق، وزوِّدت المكتبة مؤخراً بنظام إنذار حديث ضد الحرائق.

وأولت المكتبة اهتماماً خاصاً بترميم المخطوطات، إذ يوجد قسم خاص بذلك زوِّد بالتجهيزات اللازمة، ودُرِّب العاملون فيه على ترميم وتجليد المخطوطات، كما أرسل بعضهم لدول عربية وأوربية للالتحاق بدورات تدريبية تخصصية في مجال الترميم والتعقيم وطرق الحفظ.

وبالنسبة لفهارس المخطوطات التي أعدَّتها المكتبة منذ عام (١٩٨٥م) يبلغ عددها (٤٤) فهرساً في شتى

أنواع المعارف، وقد أدرجت فيها فهارس المكتبة الظاهرية، وجُمِعت النسخ الخطية ووُحِّدَتْ؛ ليسهل عمل المحققين ومحبي التراث.

ما أنجز من أعمال تتعلق بالمخطوطات في مكتبة الأسد الوطنية:

– ترتيب سجل المكتبة العمومية حسب المدارس والمكتبات، سيصدر قريباً بعد أن تم دُقِّقَ وصَوِّب ما ورد فيه من أخطاء.

– العمل على إصدار دراسة بعنوان «المكتبة السميساطية .. رؤية معاصرة»، وهي قيد الطباعة.

– أُقيم عدة معارض للمخطوطات والكتب النادرة منها ما رافق معرض الكتاب الدولي المقام في مكتبة الأسد، ومنها ما أقيم في احتفاليات أيام الثقافة السورية.

– معرض أقدم المخطوطات ٢٠٠٩م.

– معرض المخطوطات النفيسة المزخرفة والمذهبة ٢٠١٠م.

– معارض متفرقة دون موضوع محدد خلال الفترة ما بين ٢٠١٠–٢٠١٨م.

– معرض مخطوطات «دمشق في العيون» ٢٠١٨م.

– معرض مخطوطات «ابن النفيس» ٢٠١٨م.

– معرض مخطوطات «الفارابي» ٢٠١٨م.

– معرض خاص بأنواع الخطوط المستخدمة في كتابة المخطوطات ٢٠١٩م.

– معرض مخطوطات «أبي العلاء المعري» ٢٠١٩م.

– معرض المخطوطات العلمية، وكانت شخصية المعرض (العالم الفلكيّ ابن الشاطر الدمشقيّ) ٢٠٢٠م.

وأخيراً نشير إلى أن عدد المخطوطات المحفوظة في المكتبة والمصورة تصويراً رقمياً «ديجتال» بلغ / ١٩٣٨١ / وعدد المصغرات الفلمية / ٨٠٨٢ / وعدد المخطوطات المصورة على شرائح / ١٥٦٧٥ / ، وعدد المخطوطات الحديثة / ٨٦ / مخطوطاً، وعدد صور المخطوطات الورقية / ٦٨٥ / صورة، كما بلغ عدد الكتب النادرة / ٣٥٩٦ / كتاباً عربياً وأجنبياً.

ولم يقتصر دور المكتبة على حفظ المخطوطات، بل سعت لتكون في خدمة الباحثين والعلماء وطلاب الدراسات العليا، فقد بلغ عدد المخطوطات التي طلبت للتحقيق والدراسة منذ عام ١٩٨٥م حتى الآن: (٨٠٠٠) مخطوطٍ، وعدد الباحثين (٥٣٥٠) باحثاً.

الفهارس التي أنجزتها مكتبة الأسد

مسلسل	عنوان الفهرس	عدد الأجزاء	مكان وتاريخ الطباعة
١	آداب البحث والمناظرة	١	دمشق، ٢٠١٧
٢	الإجازات والسماعات	١	دمشق، ٢٠١٧
٣	الأخلاق الإسلامية	١	دمشق، ٢٠١٥
٤	الأدب العربي	٢	دمشق، ٢٠١٥، ٢٠١٦
٥	الأنظمة والمذاهب الفقهية	١	دمشق، ٢٠١١
٦	التاريخ الإسلامي وعصر الرسول والسيرة النبوية	٢	دمشق، ٢٠١٧
٧	التاريخ والتراجم	٣	دمشق، ٢٠٢٠
٨	التجويد	١	دمشق، ٢٠١٨

مسلسل	عنوان الفهرس	عدد الأجزاء	مكان وتاريخ الطباعة
٩	تراجم المتصوفة	١	دمشق، ٢٠١٧
١٠	التصوف الإسلامي	٢	دمشق، ٢٠١٣، ٢٠١٤
١١	التفسير	١	دمشق، ٢٠١٩
١٢	الجغرافيا	١	دمشق، ٢٠٢٠
١٣	الحديث الشريف	٧	دمشق،٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧
١٤	الرياضيات	١	دمشق، ٢٠١٦
١٥	الشعر	١	دمشق، ٢٠١٦
١٦	الشعر العرفاني	٢	دمشق، ٢٠١٧
١٧	الصرف	١	دمشق، ٢٠١٥
١٨	الطب والصيدلة	١	دمشق، ٢٠١٧
١٩	الطب والصيدلة	٢	دمشق، ٢٠٢٠
٢٠	العروض	١	دمشق، ٢٠١٥
٢١	العقائد الإسلامية	٢	دمشق، ٢٠٠٧
٢٢	علم أسرار الحروف	١	دمشق، ٢٠١٨
٢٣	العلوم البحتة	١	دمشق، ٢٠١٨
٢٤	علوم القرآن	١	دمشق، ٢٠١٩
٢٥	علوم اللغة العربية	٢	دمشق، ٢٠١٤
٢٦	الفتاوى والمذاهب وفقه الفرق	١	دمشق، ٢٠١٣
٢٧	الفرائض	١	دمشق، ٢٠١٠
٢٨	الفرق الإسلامية	١	دمشق، ٢٠٠٨
٢٩	الفقه الإسلامي وعلومه	١	دمشق، ٢٠٠٩
٣٠	الفلسفة	الجزء الأول	دمشق، ٢٠١٩
٣١	الفلسفة الإسلامية	الجزء الثاني	دمشق، ٢٠١٩
٣٢	القراءات	١	دمشق، ٢٠١٩
٣٣	المتفرقات	١	دمشق، ٢٠٢٠
٣٤	المذهب الحنبلي	١	دمشق، ٢٠١٣
٣٥	المذهب الحنفي	٣	دمشق، ٢٠١٢
٣٦	المذهب الشافعي	٢	دمشق، ٢٠١٣
٣٧	المذهب المالكي	١	دمشق، ٢٠١٢
٣٨	المصاحف	١	دمشق، ٢٠١٨

مسلسل	عنوان الفهرس	عدد الأجزاء	مكان وتاريخ الطباعة
٣٩	المعارف العامة والمعرفة والبيبليوغرافيا	١	دمشق، ٢٠١٨
٤٠	المعاملات	١	دمشق، ٢٠١٠
٤١	المنطق	١	دمشق، ٢٠١٦
٤٢	المواعظ والخطب والمزارات	١	دمشق، ٢٠١٥
٤٣	موضوعات إسلامية وأدعية وأوراد	٢	دمشق، ٢٠١٤
٤٤	النحو	٣	دمشق، ٢٠١٦

مما تقدَّم نرى أن المكتبة قد بذلت جهوداً كبيرة في سبيل المحافظة على المخطوطات، وتصنيفها، وفهرستها، وحفظها، وترميمها، وتعمل الآن بدعم من وزارة الثقافة على توسيع أواصر التعاون مع الجهات العامة كلّها، والمؤسسات المختصة، والأفراد الذين يمتلكون المخطوطات؛ لوضع قاعدة بيانات خاصة بالمخطوطات في سورية؛ لتكون جزءاً من الجهود الوطنية التي تبذل لحفظ التراث الوطني.

وظهر أن المخطوطات كانت عبر التاريخ هدفاً للسلب، والسرقة، والاعتداء، وذلك لما لها من أهمية تاريخية وعلمية وتراثية، إذ حاولت القوى الغازية لبلادنا بمشاربها المتعددة الاستيلاء عليها، ونهبها، أو حرقها، أو الاتّجار غير المشروع بها، وجاءت الاتفاقيات والقرارات الدولية لتشكل رادعاً قانونياً للمجرمين والعابثين بالممتلكات الثقافية، لكنها للأسف لم تمثل حلاً جذرياً في سبيل استعادتها للوطن الأم، ولا سيما المخطوطات التي سلبت قبل هذه الاتفاقيات.

إن المخطوطات جزءٌ من تراث الأمة وثقافتها، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ سرقتها وتهريبها والاتّجار غير المشروع بها هو اعتداء على هُويتنا القومية، والمحافظة على الممتلكات الثقافية على اختلاف أشكالها ليس ترفاً فكرياً أو ثقافياً، بل هو ضرورة قومية أملتها الأحداث التي مرّت ببلدنا سورية وبمجمل المنطقة العربية ولاسيما خلال العقدين الأخيرين، إذ كانت هذه الممتلكات الثقافية هدفاً للقوى الإرهابية وللدول الداعمة لها التي سعت بكل ما أوتيت من كراهية وعنف وحقد دموي على تدمير الأوابد الأثرية، ونهب المواقع الثقافية، وسرقة الكنوز الثقافية بكل أشكالها، وهذا ما يرتب علينا ضرورة حصرها وترقيمها وأرشفتها رقمياً، وتأمين كل سبل الحماية للمحافظة عليها؛ لتكون في خدمة الأجيال القادمة، زاداً لهم في العلم والمعرفة، ومصدراً للاعتزاز والفخر بما تركه أجدادنا من أوابد وكنوز ثقافية ما زالت تخطف الأنظار بسحرها، وقيمتها الجمالية، والمعرفية، والتراثية.

المراجع:

١- زيغرد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي. منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٦٤م، ص ٣٨٥.

٢- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: حكومة المغول. مطبعة بغداد، ١٩٣٥، ص ٣٧.

٣- محمد كرد علي، خطط الشام. ج الثاني، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٧٣.

٤- حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح، اتفاقية لاهاي ١٤ أيار ١٩٥٤م، متاح على الرابط:
http://hrlibrary.umn.edu/arab/b 205.html

[تاريخ الإتاحة ١٧ / ٢ / ٢٠٢١].

٥- الوسائل التي تستخدم لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة ١٩٧٠م، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، متاح على الرابط:
https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000114046_ara.page=129

[تاريخ الإتاحة ١٧ / ٢ / ٢٠٢١م].

٦- الممتلكات الثقافية المنقولة بطرق غير مشروعة اتفاقية (يونيدروا) ١٩٩٥م، متاحة على الرابط:
https://medmakblog.wordpress.com/

[تاريخ الإتاحة: ١٧ / ٢ / ٢٠٢١م].

٧- حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح، البروتوكول الثاني لاتفاقية لاهاي عام١٩٥٤م، متاح على موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، الرابط:
https://www.icrc.org/ar/doc/resources/documents/misc/5ntdgl.htm

[تاريخ الإتاحة ١٧ / ٢ / ٢٠٢١م].

٨- قرارات الأمم المتحدة. متاحة على موقع الأمم المتحدة على الرابط:
https://www.un.org/

[تاريخ الإتاحة ١٧ / ٢ / ٢٠٢١].

٩- مجلة فكر الثقافية، المخطوطات العربية في المكتبات العالمية، العدد / ١٩ / أيار ٢٠١٧م، الرياض - السعودية.

مخطوط في صفحات
عيون الأنباء في طبقات الأطباء

ابن أبي أُصيبعة

هبــة المالـــح*

المؤلِّف:

هــو موفقُ الدين أحمـدُ بنُ القاسم بـنِ خليفة، ، الخزرجيّ، أبـو العباس، الطبيب، عُـرِف بابن أبي أُصيبعة[١]، وقد اكتسب هذا اللقبَ عن جدِّه الحكيمِ الذي كان يعملُ في بلاطِ النَّاصر (صلاح الدين).

ولد في دمشــق سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م، وتوفي في جبل صرخدَ إحدى مدن جبل حوران سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م[٢]. كان عالماً بالأدب والطّبِ والتاريخ[٣].

عاش معظـمَ القـرنِ السابـعِ الهجـريّ، ذلـك العصـرُ الحـرجُ الـذي تقاذفَتْـهُ تيـاراتٌ سياسيةٌ متعـددة، علـى أن هذا العصرَ القلـق سياسياً كان عصر الموسوعاتِ بلا منازع.

أساتذته:

كان (ابـنُ أبي أُصيبعـة) من بيتِ علم وأدب، وكان أبـوه وعمُّه طبيبيـن كحَّالين، وقـد خدمَ والـدُه الملوكَ الأيوبيـين، فاشتهرتْ أسرتُه بصلاتها الجيدةِ بالملوك في الشام ومصر، ودرسَ الأدبَ والحكمةَ والعلومَ على مشاهيرِ عصرِه من العلماءِ في دمشقَ والقاهرة، وأتقن العلومَ اللسانيّة على علماءِ عصره.

تلقَّى طبَّ العيون عـن والده الذي كان كحَّالاً يعالجُ الرمدَ في دمشق، وعلى يدِ عمِّه الذي كان عالماً في العلوم الطبيـة، كمـا تتلمذ للطبيـب المشـهـور (مهـذَّب الدِّين الدخـوار) المتوفى ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م الـذي كان يعالج بالبيمارسـتـانِ النـوري الكبير أوَّلِ مشفـى في التاريخ الإسلامي، وقد لازمه في مدرسته، وفي ذلك يقول:

«وأيضـاً في وقتِ معالجته للمرضى بالبيمارستان، فتدربـت معه في ذلك، وباشرْتُ أعمـالَ صناعةِ الطب»، وكان معـه في البيمارسـتـانِ لمعالجـةِ المرضى (الحكيمُ عمران) وهو من أعيانِ الأطباء[٤]، وكان في ذلكَ الوقتِ

---

* عضو هيئة التحرير.

١- الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، تحقيق: جعفر الحسني، الجـزء الثاني ص١٣٧، الأعـلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٩٧.

٢- قصـة العلـوم الطبيـة في الحضـارة الإسلاميـة: د. راغـب السرجاني، ص٢٢٠.

٣- شـذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابـن العماد، المجلد السابع ص ٥٦٩.

٤- فهرس الطب والصيدلة: د. سامي حمارنة ص٤٧٧.

أيضاً في البيمارستان الشيخُ (رضي الدين الرّحبي، وهو من أكبرِ الأطباء سنّاً)[٥].

كما تلقّى الطبَّ على شمس الدين الكلّيّ؛ سُمِّي بذلك لأنه كان يحفظ كليّات قانونِ ابن سينا عن ظهر قلب[٦]. وأخذ علمَ النباتِ من (ابن البيطار) المُتوفّى ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م، وتعاون معه، وكان (ابنُ البيطار) قد زارَ الشامَ لدراسة النباتات في سورية، لتبيان قيمتها العلاجية، وللاستزادة من العلم سافر إلى القاهرة، وأتمّ العلم في المارستان الناصري في القاهرة، الذي التقى فيه زميلَه (ابن النفيس) المُتوفّى ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م، ثم انتظم في خدمةِ الدَّولةِ الأيوبية، وكانت شهرتُه قد وصلت إلى صرخد، فأرسل حاكمها في طلبه، فرحلَ إليه، وظلَّ بها إلى أن توفِّي[٧].

عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء

يُعَدُّ كتابُ (**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**) كتاباً فريداً من نوعه حتى العصورِ الحديثة، إذ مزجَ بين التاريخِ والطِّب، وسيبقى دُرّةً ساطعة اللمعانِ في تاجِ تاريخِ الطِّبِّ ودراستِه في العصورِ الوسطى.

سبب تأليفه:

ألَّفَ ابنُ أبي أصيبعة هذا الكتاب بناءً على طلب الوزيرِ أبي الحسن أمين الدولة بن غزال السَّامريّ وزير الملكِ الصَّالحِ بن الملك العادل، وبدأ في تأليفه سنةَ ٦٤٣هـ، وانتهى منه قبلَ وفاته بسنة واحدة، ويمتازُ هذا الكتابُ باعتمادِ ابنِ أبي أصيبعة على المعلوماتِ التي حصلَ عليها من إنتاجِ الأطباءِ والمؤرخين الأوائل، إضافةً إلى ما سمعه واكتسبَه بنفسه[٨]، وهو أحسنُ كتابٍ في تراجمِ الأطباءِ لا يشبهُه إلا كتابُ (أخبار الحكماء)، لكنَّهُ يمتازُ منه بأنه أوسعُ وأوفرُ مادة، جمعه وقاسى في جمعه الصِّعاب، وقضى السنينَ الطِّوالَ محققاً ومدقّقاً حتى تمكَّن من تأليفه[٩].

وصف ابن أبي أُصيبعة لكتابه

وقد أودعْتُ الكتابَ أيضاً ذكرَ جماعة من الحكماء والفلاسفة ممَّن لهم نظرٌ وعنايةٌ بصناعة الطّب، وجملاً من أحوالِهم، ونوادرِهم، وأسماءِ كتبِهم، وجعلْتُ ذكرَ كلِّ واحدٍ منهم في الوضعِ الأليقِ به على حسبِ طبقاتِهم ومراتبِهم.

وهذا عدد الأبواب:

الباب الأول: في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها.

الباب الثاني: في طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء في صناعة الطب، وكانوا المبتدئين بها.

الباب الثالث: في طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل أسقليبيوس الطبيب.

الباب الرابع: في طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب.

الباب الخامس: في طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس الطبيب وقريباً منه.

الباب السادس: في طبقات الأطباء الإسكندرانيين، ومَنْ كان في زمنهم من الأطباء النصارى وغيرهم.

الباب السابع: في طبقات الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الإسلام من أطباء العرب.

الباب الثامن: في طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس.

الباب التاسع: في طبقات الأطباء النقلة الذين

٥- فهرس الطب والصيدلة: د. سامي حمارنة ص٤٧٨.

٦- دائرة المعارف الإسلامية: ص٧٠.

٧- قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية: تأليف: د. راغب السرجاني، ص٢٢٠، ٢٢١.

٨- قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، تأليف: د. راغب السرجاني، ص٢٢١، ٢٢٢.

٩- عيون الأنباء: تقديم سميع الزين، طبعة: دار الثقافة بيروت، ص٤.

نقلوا كتب الطب وغيرها من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، وذكر الذين نقلوا منهم.

الباب العاشر: في طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة، ودياربكر.

الباب الحادي عشر: في طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم.

الباب الثاني عشر: في طبقات الأطباء الذين كانوا في الهند وغيرهم.

الباب الثالث عشر: في طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد الغرب، وأقاموا بها حيناً.

الباب الرابع عشر: في طبقات الأطباء المشهورين بالذكاء من أطباء ديار مصر.

الباب الخامس عشر: في طبقات الأطباء المشهورين بالمعرفة من أطباء الشام.

أهمية الكتاب

يُعَدُّ الكتابُ أكبرَ موسوعةٍ طبيةٍ في تاريخ الطب والأطباء، ظلَّ الباحثون يقتبسون منها على مرِّ الزَّمانِ معلوماتٍ قيّمة اندثر كثيرٌ من مصادرها الأولى:

– استفاد من كتَّابِ الفهارسِ والترجماتِ الذين سبقوه ونقل عنهم مثل: (**الفهرست**) للنديم، و(**طبقات الأمم**) لصاعد الأندلسي، و(**طبقات الأطباء والحكماء**) لسليمان بن جلجل و(**أخبار الحكماء**) للقفطي[١٠].

وجديرٌ بالذكر أنَّ (**ابنَ أبي أصيبعة**) عاش في زمانٍ استطاعَ فيه أن يرى عدداً من المخطوطات الطبيّة بعضِها بخط مؤلفيها، وقد فُقدَت بعدئذ واندثرت، فمثلاً نجده في حديثه عن (أبي سهل عيسى بن يحيى المسيحي) يقول:

(وقد رأيتُ بخطِّه كتابه في إظهارِ حكمة الله في خلق الإنسان)[١١].

١٠– فهرس الطب والصيدلة: د. سامي حمارنة، ص٤٨١.

١١– فهرس الطب والصيدلة: د. سامي حمارنة، ص٤٨٠ عن طبعة الكتاب ١٨٨٢م، الجزء الثاني من [٣٧٠ـ ٣٧١].

وقد جاء عنوانُه مشيراً إلى المحتوى الدَّالِّ عليه، وفي سياق الإحساس الجمالي اللَّفظي لعلماء الحضارة الإسلامية، فعنوانُه المسجوعُ يعطي جَرْساً موسيقياً محبباً ،إضافةً إلى الصورة الجمالية.

– صدَّر كتابَه بمقدمة قصيرة فلسفية واجتماعية ودينية مسجوعة أيضاً بدأها بقوله:

(الحمد لله ناشر الأمم، ومنشر الرّمم، بارئ النّسم، ومبرئ السَّقم، العائد من فضله بسوابغِ النعم، الموعد مَنْ عصاه بأليم العقابِ والنِّقم، مخرج الخلائقِ بلطفِ صنعه إلى الوجود من العدم، مُقدِّر الأدواءِ، ومنزل الدواء بأتمِّ الصُّنعِ وأتقنِ الحكم)[١٢].

ثم تناول شرفَ مهنة الطب، وذكر أنه لم يقمْ أحدٌ من أربابِ الصناعةِ بوضع كتابٍ خاصٍّ بالأطباء، وفي ذلك يقول: «إذا كانت صناعةُ الطبِّ من الشرف بهذا المكانِ وعمومُ الحاجة إليه داعية في كلِّ وقتٍ وزمان أن يكون الاعتناءُ بها أشدّ، والرغبة في تحصيل قوانينها الشكلية والجزئية آكدَ وأجدَّ، وأنه لما كان قد ورد كثير من المشتغلين بها والراغبين في مباحث أصولها وتطلبها منذ أول ظهورها وإلى وقتنا هذا، وكان فيهم جماعةٌ من أكابر أهل هذه الصناعة، وأولي النظر فيها، والبراعة ممّن قد تواترت الأخبارُ بفضلهم، ونُقلَتِ الآثارُ بعلوّ قدرهم ونبلهم، وشهدت بذلك مصنفاتُهم، ودلَّت على مؤلفاتهم، ولم أجدْ لأحد من أربابها ولا من أنعم الاعتناء بها كتاباً جامعاً في معرفة طبقات الأطباء، وفي ذكر أحوالهم على الولاء = رأيت أن أذكرَ في هذا الكتابِ نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين، ومعرفة طبقاتهم على

١٢– عيون الأنباء، دار الثقافة، بيروت، الجزء الأول، ص٧.

تـوالي أزمنتهم وأوقاتهـم، وأن أودعَـه أيضاً نبذاً من أقوالهـم وحكاياتهـم ونوادرهـم ومحاوراتهم، وذكر شـيء مـن أسمائهـم وكتبهم؛ ليستـدلَّ بذلـك على ما خصَّهـم الله تعالى من العلم وحباهم من جودةِ القريحة والفهم»[١٣].

منهج ابن أبي أُصيبعة في الكتاب

قـدَّم العربُ أثمنَ هدية، وهي طريقةُ البحث العلميِّ الصحيـحِ التـي مهَّـدت أمـام الغـرب طريقـةً لمعرفـةِ أسـرارِ الطبيعة البشريّة، والإحاطـة بما يضبطها مِن قوانين[١٤].

لقد حرص ابنُ أبي أُصيبعة على الإحاطة بالشخصية المترجـم لها مـن جميع جوانبها، وامتلـك أدواتِ المؤرخ التـي أهّلتـه أن يكـونَ مـؤرخَ الأطبـاء بلا منـازع منها: العدل، والإنصاف، والتدقيق، والاستقصاء.

اعتمـد علـى ثلاثـة أنـواع مـن المصـادر: المصادر المكتوبة، والمشافهات، والمشاهدات.

عناصر الترجمة:

يذكـر المؤلـف اسـمَ المترجَم لـه كاملاً مـع سلسلة النسـب، وقـد يأتـي الاسـمُ مفـرداً في غالبيـة الأطباء العرب، مـع تفسيرِ بعض الأسماء غير العربية، ويزيد أحيانـاً في التعريف بالمترجم له بذكر نسبه إلى قبيلةٍ أو مدينةٍ أو ديانة.

كان يوثِّـق سنتَي الولادةِ والوفاةِ إذا عرفهما، وإن لم يعـرفْ تكلَّم على عمرِ صاحـبِ الترجمةِ للدلالةِ على العصرِ الذي عاش فيه.

وكان يحـدِّدُ مواطـنَ الأطبـاء والمـدن التـي قدموا منها، كما كان يثبت رحلاتهم العلميّة، ويوثِّق وظائفَهم الإداريـة، كمـا كان يذكـر ديانتَهـم ومذاهبَهـم في تلـك الديانـات، وكثـيراً ما كان يتطـرَّقُ إلى تفاصيـلَ دقيقةٍ في السِّمـاتِ الخَلقيـة والخُلقيـة للمترجَـم لـه، وبعض عاهاتهـم مثـل: ثقـل السمـع وثقـل اللسـان، كما كان يحرصُ على بيـان مكانتهم الاجتماعيّة عنـد أصحابِ الشأن، وكان يذكر شيوخَهـم وتلاميذَهم، ومؤلفاتِهم والعلوم التي برعوا فيها[١٥].

وللطبيبـاتِ نصيبٌ من الترجمةِ أيضاً، فمن ذلك ما قاله عند ترجمته (لزينب طبيبة بني أود):

كانت عارفةً بالأعمالِ الطبيّة، خبيرةً بالعلاجِ ومداواةِ آلامِ العين والجراحات، مشهورةً بين العرب بذلك.

قـال أبـو الفـرج الأصبهـاني في كتابـه (**الأغـاني الكبـير**)، قال: حدَّثنـي حمَّاد بن إسحـاق عن أبيه عن كناسة عن أبيه عن جدّه، قال:

أتيـت امـرأةً مـن بنـي أود لتكحلني مـن رمد كان أصابني، فكحَّلتني ثم قالت: اضطجِعْ قليلاً حتى يدورَ الدواء في عينيك، فاضطجعْتُ، ثم تمثّلْتُ قولَ الشاعر:

أمخترمي ريبُ المنونِ ولم أزرْ
طبيبَ بني أودٍ على النأي زينبا

فضحكت، ثم قالت: أتـدري فيمَنْ قيل هذا الشعر؟ قالـت: فيَّ والله قيل، أنـا زينبُ التي عناهـا، وأنا طبيبةُ بني أود، أفتدري مَنِ الشَّاعر؟ قلت: لا، قالت: عمُّك أبو سماك الأسدي[١٦].

لقد أمدَّنا الكتابُ بشيءٍ عن الطِّبِّ الهنديِّ واليونانيّ لم يكنْ يَصِلُ إلينا من دونه، كما أمدَّنا بتفاصيلَ وافيةٍ عـن الحيـاةِ الاجتماعيةِ والعلميّةِ في العـالم الإسلاميِّ؛ لذلك أصبحَ كتابُه مصدراً عظيمَ الأهميةِ مكَمّلاً لما كتبه

١٣– عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطباء، تأليف: ابن أبـي أصيبعة، شرح وتحقيق: د. نزار رضـا، منشورات دار الحياة، بيروت، ص٧.

١٤– مجلـة مدارات ونقوش، العـدد: ٢٢، ٢٣من مقالة إلكترونية: للكاتبة الإماراتية ريم جمعة عبد الله - بتصرف.

١٥ – مجلة مـدارات ونقوش، العدد: ٢٢، ٢٣من مقالة إلكترونية: للكاتبة الإماراتية ريم جمعة عبد الله - بتصرف

١٦ – عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطبـاء: ابن أبـي أُصيبعة، شرح وتحقيق: د. نزار رضـا، منشورات دار الحياة، بيروت، ص ١٨١.

عظماءُ المؤرخينَ المسلمين في التواريخ العامّة، ويحتوي كتابُه علـى نبذٍ كثيرةٍ أُخذَتْ من كتبٍ أخرى فُقدَتْ منذُ أمـدٍ بعيد، مثال ذلـك: نبذٌ من كتـبِ جالينوس الطبيب اليونانيّ المشهور، وحنـين النصراني، وابنه إسحاق، وعبيـد الله بن جبرائيل بـن بختيشوع، ومن المسلمين: ابـن جلجـل، والمبشـر بن فاتـك والدّخـوار وكثيرون غيرهـم، ومـن الواضح أنَّ ابنَ أبـي أُصيبعة قد ترجمَ لأطبائه تراجـمَ دقيقة، وأنَّ ما أثبته من الكتبِ بلغَ من الثقة حـدّاً كبيراً، وهذه الكتب الوفـيرة التي أثبتها في آخـرِ كلِّ ترجمةٍ عن رجالِ الطِّـبِّ في العصرِ الإسلاميِّ تُعطينـا فكرةً صحيحة عن هـذا الإنتاجِ العلميِّ العظيم لكثـير من هـؤلاء العلمـاء وما وصلـوا إليـه في بعض الأحيان من المعرفةِ الشَّاملةِ العجيبة[١٧].

وكان ابنُ أبـي أصيبعة من العلماءِ الذين يعتقدونَ بـأنَّ النظريـةَ والتجربـة بالنسبـة للطبيـب تمثـلان قطبَـي المعرفـةِ الحقيقيّة، فبذلَ جهـدَه في هذا الاتجاه، واستطـاعَ أن يحصرَ مؤلفـاتِ الأطباءِ الأفذاذِ الأوائلِ والمعاصريـن لـه في كتابـه (**عيون الأنبـاء في طبقات الأطبـاء**)، فذكر فيه نكتـاً وعيوناً في مراتبِ المتميزين مـن الأطباءِ المتقدمـين والمحدثين، وأودعَـهُ أيضـاً نبذاً من أقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم[١٨].

فمـن ذلكَ أنه ذكر عندَ ترجمتـه لجالينوس أنَّه كان منقوشاً على فصِّ خاتمه: «مَنْ كتمَ داءَه أعياه شفاؤه».

ومـن أقـوالِ جالينوس: «الهـمُّ فناءُ القلـبِ، والغمُّ مرضُ القلب»[١٩].

ومن نـوادرِ أبقراط قولـه: «العافيةُ ملـكٌ خفي، لا يعرفُ قدرها إلا مَنْ عدمها»[٢٠].

ومن وصايا (**أبقراط**) للطبيب قوله:

«وينبغـي أن تكـونَ ثيابُـه بيضـاءَ نقيّـةً ليّنـة، ولا يكـون في مشيه مستعجلاً، لأن ذلـك دليل على الطيش، ولا متباطئاً؛ لأنه يـدل على فتور النفس، وإذا دُعيَ إلى المريـض فليقعـد متربعـاً، ويختـبر منه حالـه بسكون وتـأنّ، لا بقلـقٍ واضطـراب، فـإنَّ هذا الشـكلَ والزّيَّ والترتيبَ عنديَ أفضل من غيره»[٢١].

ونجـد مفهـوم الطبقات عنـده يختلف عـن المفهوم الـذي استخدمه غـيرُه من كتَّابِ الطَّبقـات الذي يعني: اشـتراك أناسٍ ينتمـون إلى جيـل أو طبقـة في تعاقـب زمني.

ومفهـوم الطبقـة عنده يعني: مجموعـة من الأطباء ينتمـون إلى قوميّـة معينـة أو بلد معيّن مهمـا تباعدت الأزمنـة، وربمـا يعني هـذا المفهوم عنـده مجموعة من الأطباء الذين ترجموا الكتب من لغة لأخرى.

وأحيانـاً يعنـي: اشتراك الأطباء في فـترة زمنية لم يحدَّدْ مداها بدقة.

أما الترتيب ضمن الطبقة فهو ترتيب زمني حسب القـدم والشـهـرة أو علـى أساس القرابـة، فيذكر بعد ترجمـة الأطباء تراجم للأبنـاء أو الإخوة أو الحفداء، وقد يكون الاشتراك في خدمة الخلفاء[٢٢].

تبرئة ابن أبي أُصيبعة ممَّا نسب إليه

هنـاك اتِّهامٌ يؤخـذُ على هذا الكتـاب، وهو تجاهلُه ترجمـةَ أشهرِ الأطبـاءِ الذينَ عاصرهـم ألا وهو (**ابنُ**

١٧– دائـرة المعارف الإسلاميـة، أحمد الشنتـاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، المجلد الأول ص٧٠.

١٨– قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، تأليف: د. راغب السرجاني، ص٢٢١.

١٩– عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطباء، ابـن أبـي أُصيبعة، شرح وتحقيق: د. نزار رضا، منشورات دار الحياة، بيروت ص١٣٠.

٢٠– المصدر السابق ص٥٠.

٢١– عيـون الأنبـاء في طبقات الأطبـاء، ابن أبـي أُصيبعة، تحقيق وشرح: د.نزار رضا، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٤٧.

٢٢– مجلـة مـدارات ونقوش، العـددان ٢٣،٢٢ مقالـة إلكترونية للكاتبة ريم جمعة عبد الله.



النفيس) رغم أنَّهما درسا معاً، إذ كان معلِّمُهما ابنَ الدخوار رئيسَ أطباءِ البيمارستان النوريّ الكبير في دمشق، فمن ذلك ما قالته (**زيغرد هونكه**):

«لقد كتبَ ابنُ أبي أُصيبعة الطبيب، ومؤرِّخُ الطِّبِّ العربيّ، وابنُ أحدِ أطبّاءِ العيون، ونسيبُ مديرِ عيادةِ العيونِ في دمشقَ، موسوعةً تاريخيةً جمعَ في جوانبها أسماء (٣٩٩) طبيباً عربياً، وتراجم حياتهم، دونَ أن يشيرَ ولو إشارةً واحدةً إلى الاسم اللامع الذي كان لعظيم الأطباء في عصره، وإنّه لأمرٌ يدعو إلى العَجَب، ولا سيَّما أن ابنَ النفيس هذا كان معاصراً ومواطناً لابن أبي أُصيبعة، بل زميلاً له في مدرسة الطّب أولاً، وفي المستشفى ثانياً.. فكلاهما من مواليد دمشق، وتحت سمائها ترعرعا»(٢٣).

كما ذكر محققا كتاب (**المهذَّب في الكحل المجرَّب**) لابن النفيس أن كلاً من ابن النفيس وابن أبي أُصيبعة قد تتلمذا على يد مهذب الدين الدخوار فقال المحققان:

«ثم تألَّقَ ابنُ النفيس، ولم يَسْمُ ابنُ أبي أُصيبعة سموَّه، فوغرَ صدره على ابن النفيس. ولعلَّ هذا سبب إهمال ابن أبي أُصيبعة ذكر ابن النفيس في كتابه عيون الأنباء، وكذلك شأنُ الحسد بين الأقرانِ إذا تألَّقَ بعضُهم وتخلَّف بعض»(٢٤).

على أن مخطوطة (**عيون الأنباء**) المحفوظة في مكتبة الأسد قد ورد في نهايتها ترجمة لابن النفيس، فمن ذلك قوله في آخرها في الصفحة (١٠٤):

«علاء الدين بن أبي الحزم القَرْشيُّ المتطبب: كان شيخاً فاضلاً كالبحرِ الخضم والطَّود الأشم للعلوم، ولم يكن منفرداً بفنٍّ من الفنون، ولو لم يكن له غيرُ شرحِ غوامض القانون لكَفَى به دليلاً على غزارة فضلِه ونزارة مثله»..

وصف النسخة الخطية الموجودة في مكتبة الأسد الوطنية:

هذه النسخة لا تشملُ أطباءَ المغرب والأندلس، وهي ضمن مجموع برقم: ٤٨٨٣، عدد أوراقها ١٠٤ ورقة من [١ ! ١٠٤]، مسطرتها: ٢١ سطراً، قياسها: ١٩×١١سم.

نسخة مصححة، على هوامشها تعليقات كثيرة، في أولها فهرس بعناوين الأبواب، عليها تملك لمصطفى مسعود سنة ١٢٢١هـ، رؤوس فقرها وأسماء الأعلام مكتوبة بالحمرة، كتبت بخط فارسي، غلافها مزخرف.



٢٣– شمس العرب: زيغرد هونكه ص٢٦٣.

٢٤– المهذب في الكحل المجرب، ابن النفيس، تحقيق: د. محمد ظافر الوفائي، محمد رواس قلعه جي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص١٢.

النسخ الخطية لهذه المخطوطة في العالم

ـ نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢١٠٤ تاريخ.
١٨٨ ورقة، ٣١ سطراً.
نسخت سنة ١٠٠٣هـ.
الخط نسخي.

ـ نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢١٩ تاريخ.
نسخت سنة ٧٠٧هـ.
وهي عبارة عن الجزء الثاني فقط.
الخط نسخي قديم.
٢٣٨ ورقة، ١٩ سطر.

دار الكتب رقم ١٨٢ تاريخ.
نسخت سنة ١٢٤٦هـ .
الخط نسخي.
٢٥٨ ورقة، ٣٣ سطراً.

دار الكتب رقم ١٣٤١ تاريخ تيمور.
نسخت سنة ١٢٧٠هـ.
الخط نسخي.
٦٥٧ صفحة، ٢٧ سطراً.

نسخة مصورة عن معهد المخطوطات العربية.
١١٤٤ / ١ / تاريخ عن أصلها بتوبنجن / ألمانيا ١٤.
تاريخ نسخها ١٢١٨هـ.
١٠٠ ورقة، ٢١ سطراً.

نسخة مصورة عن معهد المخطوطات العربية.
تحت رقم ١١٤٤ / ٢ / تاريخ عن أصلها بكوبنهاجن.
٣٢٧ صفحة، ١٥ سطراً.
نسخة تركية بمكتبة أحمد الثالث بتركيا.
٧١ / ٢٨٦٠ / تاريخ.
نسخت سنة ٨٢١هـ.
الخط نسخي.
٢٤٩ ورقة، ٢١ سطراً.

نسخة استكتبها (راغب باشا) لمكتبه، فيها الجزء الأول فقط.
رقم القرص المدمج: ٥٣٧٠٩.
كتبت سنة ١١٧٣هـ، عدد لقطاتها: ٣٥٣.

نسخة مصورة في مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي، أصلها من مكتبة ليدن في هولندا.
عدد لقطاتها: ٣٥٣ لقطة.

نسخة أحمد الثالث بتركيا.
رقم ٧٠ / ٢٨٥٩ بتاريخ.
نسخت سنة ٧٣٥هـ.
هي قطعة من السفر الثالث فقط.

طبعات الكتاب وآراء العلماء فيه

تكمن أهميةُ هذا الكتاب في كون مؤلفه عاصر الاجتياحَ المغوليّ للعالم الإسلاميّ، الذي تمخض عنه قيامُ التتار بإحراق مكتبة (**بيت الحكمة**) في بغدادَ سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م[٢٥]، التي كانت تضمُّ أهمَّ الكتب العلميّة والتَّاريخية.

ـ جُمِعَ الكتابُ أوَّلَ مرة وطُبِعَ على يدِ امرئ القيس ابن طحَّان سنة ١٨٨٢م، ثم أعاد المستشرق الألماني مولر طبعه مع إضافات عثر عليها في مخطوط آخر سنة ١٨٨٤م، وفي عام ١٣٠٠هـ طبعته المطبعة الوهبية نقلاً عن طبعة مولر، ثم طَبَعَهُ الدكتور (نزار رضا) في بيروت دون تحقيق، وأصدرت دار الفكر ببيروت الطبعة القديمة نفسها في ثلاثة أجزاء:

الأوَّل عام ١٩٥٦م، والثاني والثالث عام ١٩٥٧م.

وفي عام ١٩٨٧ عثر الأستاذ سميح الزين على نسخة قديمة من هذا الكتاب، فقدَّم منه نسخةً إلى صاحبِ دارِ الثقافة ببيروت، فصوَّر الكتاب ونشره.

ولعلَّ أهمية كتاب «**عيون الأنباء**» ترجع إلى أن صاحبه حفظ لنا كثيراً من النصوص، ونقل عن أعلام

٢٥– تاريخ العراق بين احتلالين: حكومة المغول، عباس العزاوي، مطبعة بغداد، ١٩٣٥م، ص ٣٧.

المؤلفين في الطب، فنقل عن ابن المطران في «**بستان الأطباء**» و«**مختصر كتاب الأدواء للكلداينين**»، ونقل كثيراً عن أبي الوفا المبشر بن فاتك في كتابه «**مختار الحكم ومحاسن الكلم**»، والشيخ أبو سليمان المنطقي في «**تعاليقه**» أو «**صوان الحكمة**»، وعن عبد الملك بن زُهر في «**التيسير**»، وعن ابن ملكا العبري في «**المعتبر**»، وأبي معشر البلخيّ في «**الألوف**»، ونقل كثيراً عن حنين بن إسحاق في «**نوادر الفلاسفة والحكماء**»، وابن جلجل في «**طبقات الأطباء**».

للكتابِ قيمةٌ علميّةٌ فريدة، وهو من المراجع المهمة التي يعتمد عليها الباحثون والعلماء والمؤلفون في سائر الفنون، ويعرِّفُ بالحكام الذين شجّعوا المهنةَ والمدارسَ والمستشفياتِ التي تعلموا ومارسوا الطبَّ فيها، كما يلقي الضَّوء على أسماءِ الكتبِ الطبيّةِ ومضامينها.

قصيدة بعنوان: (الطبيب المؤرخ)

قال الشاعر السوري (محمد خطيب عيان) في تقريظِ صاحب الكتاب:

اللّيلُ ليلُ العبقريِّ نهارُ
والصَّمتُ فكرٌ ثاقبٌ وحوارُ
أبداً على سفنِ الخيالِ مسافرٌ
لموانئٍ ما مسّها بحّارُ
يا راقداً أغضى العيونَ بصرخدٍ
وحروفُه في العالمين منارُ
أضحى كتابُكَ مفرداً فله على
مرّ العصورِ أبوّةٌ ووقارُ
أرَّخْتَ علمَ الطّبِ في طبقاته
فلكلِّ فذٍّ منزلٌ ووقارُ
وحفظتَ للأممِ الأوائلِ ذكرَهم
وجمعتَ ما عكفتْ عليه نزارُ
كم مقلةٍ رمداءَ غام ضياؤها
ورجتْ فماطلَ صبحَها الإسفارُ
فغدوْتَ بالكحلِ العجيبِ تعودها
وبمرودٍ كمنتْ به الأنوارُ
وكشفْتَ في كفِّ المسيحِ ظلامَها
فانشقَّ فجرٌ وانجلى إبصارُ

المصادر والمراجع

١- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

٢- الدارس في تاريخ المدارس، تأليف: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية، الجزء الثاني.

٣- دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، مراجعة: د. محمد مهدي علاّم، المجلد الأول.

٤- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، تأليف: ابن العماد، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير: دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، المجلد: السابع.

٥- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تأليف: ابن أبي أُصيبعة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م، الجزء الأول.

٦- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تأليف: ابن أبي أُصيبعة، شرح وتحقيق: د. نزار رضا، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تأليف: ابن أبي أُصيبعة، نسخة خطية محفوظة بمكتبة الأسد برقم: ٤٨٨٣.

٨- فهرس الطب والصيدلة، إعداد: د. سامي حمارنة، تصحيح: أسماء الحمصي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٩م.

٩- قصة العلوم الطبيّة في الحضارة الإسلامية، تأليف: د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، ٢٠٠٩م.

١٠- مجلة مدارات ونقوش، العددان: ٢٢و٢٣، مقالة إلكترونية للكاتبة الإماراتية: ريم جمعة عبد الله.

١١- المهذَّب في الكحل المجرَّب، تأليف: ابن النفيس، تحقيق: د. محمد ظافر الوفائي، محمد رواس قلعة جي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

صناعة الكتاب والمخطوطات بدمشق في القرن التاسع عشر

دراسة ومسرد مصطلحات

إيـاد خالـد الطبّـاع*

مقدّمات

١- الحدود الظرفيَّة للبحث

- **الحـدود الزمنية:** القرن التاسع عشر الميلادي = (١٢١٤ - ١٣١٧) هـ، من بداية القرن الثالث عشر إلى بداية القرن الرابع عشر الهجريّ.

- **الحـدود المكانيـة:** مدينـة دمشق ومـا حولها: (ريف دمشق).

٢- أهمّيّة البحث ومسوّغاته

تبرز أهميـة صناعة الكتـب والمخطوطات في القرن التاسـع عشـر في أنّه قـرن مفصلـيّ سياسيـاً وتقنيّاً، فسياسيـاً قرنُ الدولة العثمانية الأخير؛ وتقنيّاً: عصرُ تراجـع الاهتمـام بالمخطوط صناعةً، وتقـدّم الاهتمام بالطباعـة علـى حسـاب النَّسْـخ، وظهور مهـن جديدة مرتبطة بآلة الطباعة بديلاً عن النُّسَّاخ.

كمـا لُوحـظ في هذا القـرن وجـود مكتبـات عائليّة مهـمّـة، والاتجاهُ نحو تأسيسـ مكتبة عامة (= وطنيّة) بالمفهـوم الاصطلاحـيّ المعاصـر لـهذه الكلمـة تجمع النتاج الوطنيّ في قبّة الملك الظاهر.

* عضو هيئة التحرير.

٣- مفهوم صناعة المخطوط

تُعنـى صناعـة المخطـوط بدراسـة أحوالـه مـن التدويـن والكتابـة حتَّـى طريقـة الإتاحة لـه، فيشمل الكتابة، وأدوات الكتابة وصناعتها، وحوامل الكتابة، والنسـخ، والخـط، والتجليـد، والنقـش، والتذهيـب، والزخرفـة، وكلّ مـا يلـزم لإتاحته بين يـدي المستفيد النهائيّ.

٤- بيئة القرن التاسع عشر في دمشق

يُعـدّ القـرن التاسـع عشـر الميـلادي عصـر إحياء حركـة العنايـة بالكتـاب ؛ ففيـه اتخذ وجهـاء دمشق القـرار بإنشـاء دار الكتـب الظاهريّـة، وفيـه نشطت الطباعـة، وظهر فيهـا حرفيون وورّاقـون وجمّاعون للكتب ومكتبات خاصة.

لقـد بـدأت في القـرن التاسـع عشـر نظـم التربية والتعليـم تتغير بتغير معطيات العلـم والحضـارة الجديـدة في العالم، وصـارت الكتب تطبـع في المطبعة، وأنشئـت مدارس العلـم الحديثة في العـالم الإسلامي، وقـلّ اهتمـام النـاس بالمخطوطات، وانصـرف معظم طلاب العلم من المدارس القديمة، فضعف لذلك شأنها،

واختل نظامها، واستهان بها الرجال الذين كانوا يتولون أمرها وبما حفظ فيها من أسفار مخطوطة. فأخذت هذه الأسفار تتفرق شيئاً فشيئاً، وامتدت إليها الأيدي الطامعة بالربح من ثمن بخس تبيعه به، فضاع شيء كثير منها. فانتبه لذلك بعض النابهين من أولي الأمر والسلطة ومن ذوي الفضل والكرم، وفكروا في حفظها والإبقاء عليها.

وكان معظم المخطوطات في بلاد الشام مجموعاً محفوظاً في دمشق وحلب، وهما العاصمتان الثقافيتان الكبيرتان، وهذا لا ينفي أن تكون هناك مخطوطات في أماكن غير هاتين العاصمتين. ولكن عددها قليل، وشأنها ضعيف ضئيل، فلا تستحق لذلك الذكر والبيان[1].

عُرف في دمشق كثير من الفقهاء والأدباء واللغويين والكُتّاب، مثل:

سليم العطار: محدث فقيه.

ومحمود الحمزاوي: فقيه أديب له مصنفات.

وبكري العطار: إمام العربية ولا سيما النحو والتصريف ثم الفقه والحديث.

وحسن البيطار: فقيه متفنن.

ومحمد الطنطاوي: عالم بالعربية والأصول والفقه والفلك والميقات.

وحسن الشطي: فقيه.

ومحمد الجوخدار: فقيه.

وعبد الله الحلبي: فقيه أصولي.

وأحمد الحلواني: شيخ القراء.

ومحمد الخاني: متصوّف فقيه.

وعمر العطار: فقيه عالم بالعربية.

وعبد الرحمن الطيبي: فقيه.

ومحمد المرعشلي: أديب وفقيه.

وعبد الرحمن البوسنوي عالم بالعربية.

وأحمد فوزي الساعاتي: عالم بالعلوم المادية والدينية.

وعبد المجيد الخاني: أديب شاعر.

وعبد الحكيم الأفغاني: عالم بالفقه والأصول.

وملا عيسى الكردي: فقيه أصولي.

ومحمد محمود الأتاسي: فقيه أصولي.

وعلاء الدين عابدين: فقيه أديب.

وصالح قنباز: عالم بالتربية والطب له عدة رسائل وكتب.

عبد الله الركابي السكري: فقيه.

محمد المنيني: فقيه محدث[2].

وانتشرت فيها مؤلّفات المصنّفين منهم المكثرين من التصنيف والإفادة ؛ مثل المفتي محمود حمزة (= حمزاوي)، وعبد الله الركابي السكري، وعلاء عابدين، وحسن الشطي، وغيرهم، وقد رأينا كتبهم منتشرة في المكتبات الخاصة والعامة، مطبوعة ومخطوطة.

وأمّا الشعر والأدب فقد كان يُعدّ سوقاً كاسدة في هذه الفترة، فلم يُنشر إلا النزر اليسير فيها، فقد طُبع من مقامات السيد أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البربير الحسني البيروتي مقامة (المفاخرة بين الماء والهواء) في دمشق سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣). وله بديعية علّق عليها شروحاً مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحي تصان بين مخطوطات برلين (ع ٧٣٨٨)[3]. كما انتشر كثير من شعر الفقهاء ؛ ومن أبرزهم المفتي محمود حمزة.

٥- الطباعة في دمشق

دخلت المطبعة دمشق حينما أسّس حنّا الدوماني سنة ١٨٥٥ م = ١٢٧١ هـ مطبعة سُميت **بالمطبعة الدومانية** انتقلت بعد ذلك بالشراء إلى حنا الحداد ثم إلى محمد الحفني، ثم جلبت ولاية سورية مطبعة سنة

١ المخطوطات العربية وفهرستها في دمشق، عزة حسن.

٢ خطط الشام ٤ / ٦٣.

٣ تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، لويس شيخو، ص ٢٦.

١٨٦٤ م، نشرت فيها جريدتها الرسمية «سورية» مع عدّة مطبوعات أخرى[٤].

وتورد بعض المصادر أنّ المطبعة دخلت دمشق بدخول إبراهيم باشا ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢ م[٥].

وقد طُبع في المطبعة الدومانية أوّل كتاب بدمشق وهو (أوراد الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي) سنة ١٨٦٤ م في ٣٢ صحيفة من القطع الصغير. وكُتب في خاتمته:

«وهذا أول كتاب طُبع بدمشق المحمية بالمطبعة الدومانية في مدة خلافة تاج الملوك والسلاطين مولانا السلطان عبد العزيز خان أعز الله به المسلمين، في أيام ولاية فخر الموالي العظام السيد محمد رشدي باشا الشرواتي حفظه الرب القريب الداني، آمين»[٦].

وقد بلغ **النتاج العربي المطبوع من الكتب في سورية حتى نهاية القرن التاسع عشر** في المطابع السورية (حلب ودمشق..) (٢٧٣) عنواناً[٧]. وهو يشكل ما نسبته نحو ١٠٪ من المطبوعات المنشورة في بلاد الشام (سورية، ولبنان، وفلسطين).

وأمّا **الدوريات** فقد طُبع بدمشق «الشام» لمصطفى واصف الشقللي، و«العالم» لسليم إبراهيم الترك، و«النجاح» لإلياس خليل ترتر، و«العروس» لماري عبده عجمي، وغيرها[٨].

٤ مجلة المشرق ٤ / ٨٧٩، تاريخ الآداب العربية، شيخو، ص ٧٧-٧٨.

٥ الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ياسين صلاواتي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي ٥ / ٢٣٢٥.

٦ انظر راموزها في النتاج الفكري للكتاب العربي المطبوع منذ نشأة الطباعة حتى نهاية القرن التاسع عشر، إياد خالد الطباع، ٢١.

٧ النتاج الفكري للكتاب العربي المطبوع منذ نشأة الطباعة حتى نهاية القرن التاسع عشر، إياد خالد الطباع، ١٨.

٨ انظر: النتاج الفكري للكتاب العربي المطبوع منذ نشأة الطباعة حتى نهاية القرن التاسع عشر، إياد خالد الطباع، دمشق: دار الفكر، وبواكير الطباعة والنشر في بلاد الشام في العهد العثماني، إياد خالد الطباع، Proceedings of the International Symposium on BILAD AL-SHAM DURING THEOTTO ERA Damascus, 26-30 September 2005, Istanbul 2009.

٦- من مطبوعات دمشق في تلك الفترة

١- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، طبعت في ٤ج في دمشق سنة ١٣٠٢هـ.

٢- ديوان أحمد بن أبي القاسم الأندلسي المعروف بالخلوف في بيروت سنة ١٨٧٣م وأيضاً في دمشق سنة ١٢٩١هـ.

٣- نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، لعبد الغني النابلسي المتوفى ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م طبع في دمشق ١٢٩٩هـ، في ٥٠٤صحيفة، وهي مطوَّلة في فنِّ البديع، ولها فهرستٌ مستوفٍ، وفي مقدمتها ذكر المصنفات في البديع التي سبقت عهد المؤلف.

٤- مولد النبي، عائشة الباعونية، طبع في دمشق ١٣٠٢هـ.

٥- القصيدة النونية الهزلية، تأليف أبي القاسم الحسين الواساني، من أهل القرن الرابع للهجرة. يصف فيها الضيافة التي اضطر أن يضيف بها أهل قرية جمرايا. طبعت في دمشق سنة ١٣٠٢هـ.

٦- ديوان صفي الدين الحلي. طبع ديوانه في دمشق سنة ١٣٠٠هـ مع القصائد الأرتقيات.

٧- ديوان الكيواني، طبع في دمشق الشام ١٣٠٠هـ.

٨- تحفة الإخوان في حفظ صحة الأبدان، تأليف داود أبو الشعر الدمشقي الطيب، طبعت في دمشق بدون ذكر السنة.

٩- بديع التلخيص وتلخيص البديع، وهي في علم البديع، تأليف الشيخ طاهر الجزائري، طبعت على البلاطة في مطبعة ولاية سورية سنة ١٢٩٦هـ.

١٠- إتمام الأنس في حدود القدس، وهو رسالة في علم العروض والقوافي، تأليف الشيخ طاهر الجزائري، طبعت بمطبعة ولاية سورية.

١١– تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز،، تأليف الشيخ طاهر الجزائري.

٧– تحليل النتاج الفكري المطبوع حتى نهاية القرن التاسع عشر

جدول إنتاج الكتب المطبوعة في سورية من بدأ الطباعة حتى نهاية القرن التاسع عشر

الفترة	الإنتاج		
	إنتاج الفترة	نسبة الإنتاج	الإنتاج التجميعي
١٧٠٦–١٧٦٠	٦	٢٪	٦
١٧٦١–١٨٧٠	٣٢	١٢٪	٣٨
١٨٧١–١٨٨٠	٣٠	١١٪	٧٠
١٨٨١–١٨٩٠	١٥٧	٥٨٪	٢٢٥
١٨٩١–١٩٠٠	٤٦	١٧٪	٢٧٢
المجموع	٢٧٢	١٠٠٪	٢٧٢

جدول تصنيف المطبوعات حسب العلوم حتى نهاية القرن التاسع عشر

تصنيف المطبوعات		
الموضوع	عدد المطبوعات	النسبة من المجموع
المعارف العامة	٥	١,٨٪
الفلسفة	٤	١,٤٪
الديانات	١٨٥	٦٥,٦٪
الاجتماعيات	٨	٢,٨٪
الآداب واللغات	٥٤	١٩,١٪
العلوم والفنون	١٤	٥,٠٪
التاريخ والجغرافية والتراجم	١٢	٤,٣٪
المجموع	٢٨٢	١٠٠٪

• **الاتجاهات الموضوعية**: يلاحظ استئثار الكتب الدينية بالنسبة العالية من النشر، بينما لم تستأثر العلوم الأدبية واللغوية إلا بـ ٢٠٪، تليها، الفنون ٥٪، بينما تقاربت الموضوعات الأخرى في النسب، فبلغت المعارف العامة ١,٨٪، والفلسفة ١,٥٪، والتاريخ والجغرافية ٤,٣٪.

اللطيفه ، والصلوات الشريفه ، محمد بلغت في الصحة النهايه وفي
الضبط النهايه * اسال الله تعالى العظيم . متوسلاً اليه بنبيه
الكريم * أن ينفع بها جميع العباد . من حاضر وباد . في سائر
البلاد * انه أكرم الأكرمين . وارحم الراحمين * ولما والى طبعها
حد التمام . وفاح منها عبير مسك الختام . انشد عند ذلك
حقير الانام ، العبد الضعيف ، العاجز النحيف ، ابن الشطي
عبد السلام * ختم الله تعالى له بحسن العمل : وانطق لسانه
بالشهادتين عند انتهاء الاجل ، فقال
بالطبع أوراد زهت | حتى غدت روضاً جني
قد حاز فضلاً كل من | قد كان فيها يعتني
لما انتهت قالت لنا | تحكي بلفظ بيّن
يا أيها الباني اعلو | لفضلي وقدري اثني
لي نسبة تاريخها | لسيدي عبد الغني
حرر في ١٠ را ١٤ ٧٦ ١٠٩١
وهذا أول كتاب طبع بدمشق المحمية بالمطبعة الدومانيه في مدة
خلافة تاج الملوك والسلاطين * مولانا السلطان عبد العزيز
خان أعز الله به المسلمين * في ايام ولاية فخر الموالي العظام السيد
محمد رشدي باشا الشرواني حفظه الرب القريب الداني * امين

ويقيّم كرد علي هذه المطابع فيقول: «ربما بلغ عدد المطابع في الشام ثمانين مطبعة من أهمها المطبعة الأدبية في بيروت، وقل جداً فيها المطابع التي طبعت الكتب النافعة ولاحظت نفع جمهور الناس قبل منفعتها الخاصة. طبعت قصصاً معربة وأشعاراً ودواوين قديمة وحديثة وكتباً دينية ورسائل علمية في المعارف العامة وقليلاً من كتب العرب التي لا يزال ألوف منها محفوظاً في خزائننا وخزائن الغرب».

ويشكو كرد علي حال الناشرين الطابعين: «ذلك لأن بعض من يرجى منهم خدمة الطباعة بنشر الكتب النافعة لا يجدون من يطبع لهم ما يريدون إحياءه من كتب القدماء، أو ما يؤلفونه هم على النمط الحديث، لأن الطابعين ينظرون إلى أرباحهم أولاً، وأرباحهم موقوفة على كثرة ما ينصرف من مطبوعاتهم، والجمهور بالطبع كما هو في كل بلد لا يقبل على الجد إقباله على الهزل، ولا يقدر أن المنفعة له في الصعب قبل السهل، وأكبرُ الظن أن كثيراً من أرباب المطابع هم من العامة أو يقربون منهم في الفكر والتعلم».

ومن الجميل أنّ الأستاذ الرئيس، كما يحلو أن يُسمّي نفسه، يُسمّي الأعلام الذين كان لمؤلفاتهم قيمةٌ فيقول: «ليس في كل ما طبعته المطابع الشامية منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهو عصر النهضة عندنا، سوى كتب قليلة تستحق العناية، وتستوقف القارئ للأخذ منها، مثل كتب محمد عابدين، أحمد فارس، فانديك، ورتبات، بوست، بورتر، لامنس، شيخو، مشاقة، إبراهيم اليازجي، إبراهيم الحوراني، طاهر الجزائري، عبد الرحمن الكواكبي، سعيد الشرتوني، جمال الدين القاسمي، رفيق العظم، شبلي شميل، شكيب أرسلان، نجيب الحداد، يعقوب صرُّوف، عيسى المعلوف، إسعاف النشاشيبي، إبراهيم الأحدب، يوسف الأسير، بطرس وسليمان وعبد الله البستاني، أحمد حمدي الخياط، مرشد خاطر، جميل الخاني، شفيق جبري، سليم الجندي، خليل مردم بك، أمين الريحاني، خليل سعادة وأضرابهم ممن أبرزوا تآليف منقَّحة، وفي بعضها إبداع وإيجاد، وذلك لأنهم هضموا العلوم التي عُرفوا بها، وجاؤوا بالجديد، وفيها أفكار علمية أو مدنية أو دينية صحيحة»(٩).



بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

أوراد الشيخ عبد الغني النابلسي أول كتاب طبع بدمشق ١٢٨١هـ = ١٨٦٤م

٨- الكتابة والتدوين: طريقة النسخ

يتبع الورّاقون والنُّسَّاخ الطرق الآتية في نسخهم الكتب وتكثيرها:

الأولى: المقابلة: ينسخ فيها الوراق المخطوط مباشرة بنقله من مخطوطة أخرى ودون مساعدة أحد ثم يراجعه شخص آخر بعد الفراغ منه للتأكد من صحة النسخ وضبط النص.

والطريقة الثانية: الإملاء: وتكون بجلوس عدد من الوراقين متحلّقين حول شخص يملي عليهم وهم يكتبون. وتستعمل هذه الطريقة عندما يراد الحصول على عدد من النسخ للمخطوطة الواحدة. وعندئذ يكون عدد النساخ بعدد المطلوب من النسخ.

٩ خطط الشام ٤ / ٨٦.

ثم تجري المقابلة كذلك بعد الفراغ[١٠]. وقد وجدنا عدداً من النسخ من كتاب المفتي محمود حمزة في «الأحاديث الأربعين المتواترة»، مكتوباً منه عدّة نسخ، وفق هذه الطريقة فيما يبدو.

والطريقة الثالثة الجديدة في دمشق في تكثير النسخ: هي **الطباعة** للحصول على مئات من النسخ، كما بيّناه في بحثنا هذا.

٩- صناعة الورق في دمشق

الوراقةُ صناعة دمشقيّة قديمة، دخلت الشام في القرن الثاني الهجريّ، والوراقة: هي صناعة عمل الورق. فقد كانت من الصناعات التي تعدّها من حاجياتها. وكانت العرب تكتب أولاً في أكتاف الإبل والحجارة الرقيقة البيض وعسيب النخل، بعدما كانت الكتابة في الأديم والرقوق. وفي أيام بني أُمية عمل الورق من الكتان وسمي بالخراساني. والغالب أن الشام أخذت في صنع الورق في دمشق وطبرية وطرابلس وحماة ومنبج قبل هذا التاريخ. وعامة المؤرخين من الفرنج على أن الورق من اختراع أهل الصين سنة ١٢٣ ق. م، ونقل صنعه أسرى من الصين إلى سمرقند في سنة ٧٥١، وفي سنة ٧٩٤م أُسس معمل للورق في بغداد ثم في دمشق، ويظهر من بيت طرفة في معلقته أن القرطاس ينسب للشام والبيت:

وخَدٌّ كقِرْطاسِ الشّآمي ومِشْفَرٌ
كسِبْتِ اليماني، قَدُّهُ لم يُجَرَّدِ[١١]

وقد تعلَّم صنع الورق في دمشق أسيران فرنسيان على عهد الحروب الصليبية، فلما عادا إلى ديارهما نشرا صناعته في فرنسا، ومنها انتقل إلى جميع أوربا، فلدمشق على فرنسا بل على المدنية بأسرها الفضل الأول في تعليم هذه الصناعة للغربيين، وناهيك بأنها أهم صناعة نشرت العلم والأفكار في العالم.

وقد حمل الشاميون الوراقة إلى الأندلس وصقلية في جملة ما حملوه من صناعتهم، على نحو ما حملوها إلى شمالي إفريقية. وكانت شاطبة من مدن الأندلس تصدر منذ سنة ١٠٠٩م الورق بكثرة، ويحمل منها إلى سائر أرض الأندلس.

وقد قام في أوائل القرن التاسع عشر رجل بيروتي من بيت الباحوط، فأسس معملاً مهماً في أنطلياس على ساحل البحر، وأصدر ورقاً جيداً كورق النمسا وفرنسا، لكن معامل الورق في الغرب أرخصت صادراتها من الورق إلى الشام، فاضطر هو أن يُنزل أيضاً ثم خفضت السعر ولم تزل تخفضه، حتى قضت على هذا المعمل النافع في زمن أصبح المجلوب من الورق كل سنة يساوي عشرات الألوف من الدنانير إلى الشام، وأصبح الورق حاجة من حاجات المدنية[١٢].

١٠- تركيب الورق والمواد المصنوعة منه

كان الورق يُصنع أشكالاً في مكابس صغيرة، ويُعمل من الخروق البالية أو الحرير، واستبدل

---

١٠ حركة الوراقين ١٤٥، المخطوطات الدمشقية، الطباع، ص.

١١ ديوان طرفة، ٢٣، القرطاس: الورق. المشفر للبعير كالشفه للإنسان. السِّبت: جلد البقر المدبوغ. وهنا المنسوب إلى اليمن. قال ناصر الدين الأسد: قال الأعلم في شرحه الديوان «وقوله: وخد كقرطاس الشآمي، شبه بياض خدها ببياض القرطاس، ويقال: أراد أنه عتيق لا شعر فيه، وإنما قال: الشآمي، لأنهم نصارى أهل كتاب». وقال أبو زيد القرشي: «شبه خدها بالقرطاس وهو الورق من جهة الشام» مصادر الشعر الجاهلي، ٩٢.

ونحن نرجح أنه أراد بالقرطاس هنا ورق البردي -لا الجلد- لأنه ذكره في مقابل «السِّبت»، وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ، فحينما أراد تشبيه خدها شبهه في نقائه وبياضه بالورق، ثم شبه مشافرها بالجلد المدبوغ بالقرظ.

ولعل من الأمثلة التي يرد فيها القرطاس بمعنى الورق ما ذُكر من أن أبا بكر الصديق «كان جمع القرآن في قراطيس».

فنحن نرجح إذن أن المقصود بالورق وبالقرطاس -في بعض أنواعه- ورق البردي.

١٢ خطط الشام ٤ / ٢٢٢-٢٢٣.

ورق القطن الذي منه الورق الدمشقي، بالحرير في سنة ٧٠٦ هـ رجل اسمه يوسف بن عمرو. ولايزال في خزانة [المكتبة الظاهرية] بدمشق كتاب «مسائل الإمام أحمد بن حنبل»، الذي كُتب سنة ٢٦٦هـ، على ورق يُظنّ أنّه من الورق الشامي وهو أقدم مخطوط عُرف بالشام ولا يزال على متانته(١٣).





١٣ خطط الشام، محمد كرد علي، ٤ / ٢٤٣.

١١- أنواع الورق

الورق الشامي رقيق للغاية، وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام: ورق الطير.

وهذا هو الورق الرقيق، والورق القديم أشبه بالبُردي أو الرقوق بمتانته. ولا نعلم في أي زمن انقرضت هذه الصناعة.

مدح المؤرّخون العرب الورق الدمشقيّ وأطروا محاسنه، قال أبو البقاء البدريّ «**من أهل المئة التاسعة للهجرة**»: وفيها تُعمل صناعة القرطاس بحسن صقاله ونقي أوصاله(١٤).

وقد أشار القلقشنديّ إلى الورق الشاميّ فقال: «وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً، متناسب الأطراف، صَبوراً على مرور الزمان، وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه **البغداديّ**، وهو ورق ثخين مع ليونة ورقّة حاشية وتناسب أجزاء، وقَطعه وافر جداً، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة، وربما استعمله كُتَّاب الإنشاء في مكاتبات القانات ونحوها.

ودونه في الرتبة الشاميّ؛ وهو على نوعين:

نوع يعرف بالحَموي، وهو دون القطع البغداديّ.

ودونه في القدر وهو المعروف بالشاميّ، وقطعه دون القطع الحمويّ.

ودونهما في الرتبة الورق المصريّ؛ وهو أيضاً على قطعين:

القطع المنصوريّ.

وقطع العادة.

والمنصوريّ أكبر قطعاً، وقلَّما يُصقل وجهاه جميعاً»(١٥).

١٤ نزهة الأنام في محاسن الشام، البدري، ص ٣٦٣، القاهرة ١٣٤١ هـ.
١٥ صبح الأعشى، القلقشندي، ٢ / ٤٧٦.

١٢- تجارة الورق الشاميّ

كانت تجارة الورق الشَّاميّ رائجة رواجاً عظيماً، فقد كانت أوربة الشرقيّة تبتاع ورقها من بلاد الشرق الأدنى مباشرة[١٦]. فقد عُرف الورق الدمشقيّ في بلاد أوربة سنة ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م، وكانوا يسمونه على ما يشهد لذلك اسم الورق الدمشقيّ (شارتا داماسينا) (Charta Damascena)[١٧]. لكنّ هذه التجارة تراجعت، ولعلّها زالت مع دخول المصانع الأوربية على خط التجارة؛ لكنّ الذي رأيناه أنّ الكثير من الوثائق السلطانية كانت تكتب على ورق محلي.

١٣- الوَرّاقات: مصانع الورق في دمشق

وفي كتب الأخبار ذكرٌ لأربعة معامل للورق بدمشق وكانوا يسمّونها (الوَرّاقات):

١- **الأولى: الوَرَّاقة القديمة**: وهي عند عين تسمى (عين كمشتكين)[١٨]، و تقع هذه العين في زقاق يسمّى اليوم (زقاق العين)، وهو زقاق على يمين الخارج من باب السَّلام الذاهب شمالاً نحو مسجد القصب[١٩]. ذكرها ابن عساكر (ت ٥٧١)[٢٠].

٢- **الوَرَّاقة الثانية: تسمى (العوينة)**: وتقع هذه الوَرَّاقة في البقعة التي فيها المدرسة الشّامية البرَّانية[٢١]، وفي هذه البقعة عين تسمّى اليوم عين علي لعلّها هي العوينة، وهي تقع الآن في حيّ العُقيبة.

١٦ كرد علي، محمد، المصدر نفسه ١ / ٢٤٠.

١٧ الزيات، حبيب بن نقولا، المصدر نفسه، ص ٩٢.

١٨ ذكرها ابن عبد الهادي في: ١١٢ وورد اسمها كمشلين، وهو غلط، كما أفاد الدكتور صلاح الدين المنجد في خطط دمشق، ص ١١١.

١٩ المنجّد، صلاح الدين، خطط دمشق: نصوص ودراسات في تاريخ سورية وآثارها القديمة، ١٣٦٩، ص١١١.

٢٠ ابن عساكر، عليّ بن الحسن، ٥٧١ه / ١١٧٦م، تاريخ مدينة دمشق، مخطوطة الظاهرية، المجلد الأول، الورقة ١٦٤ / ب.

٢١ النّعيمي، عبد القادر بن محمد، ٩٢٧ه / ١٥٢٠م، الدارس من أخبار المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٣، ١ / ٢٧٧، و المنجّد، المصدر نفسه، ص١١٢.

وهاتان الورَّاقتان؛ ومن خلال الكتابة على عتبة المدرسة النورية، كانتا موجودتَين زمن السلطان نور الدّين زنكي (ت ٥٦٩)؛ لأنّ الكتابة هذه مؤرّخة سنة ٥٦٧ هـ[٢٢]، ولكن لا يُدرى بالضبط متى كانت بدايتهما ومَن أسّسهما، وإذا كان ابن عساكر (٥٧١ هـ) يُسمّي الوَرَّاقة عين كمشتكين بالوَرَّاقة القديمة= فمعنى هذا أنّ زمناً طويلاً أتى عليها، وربّما هو أوّل مصنع للورق في دمشق.

٣- **الوَرَّاقة الثالثة: تقع تحت المدرسة العزّيّة البرّانيّة**[٢٣]، ذكرها ابن كثير[٢٤]، وحَدّد النُّعيميّ مكان هذه الوَرَّاقة عندما تحدّث عن الزاوية اليُونُسيّة، فقال «إنّها بالشرق الشماليّ غربيّ الوَرَّاقة والمدرسة العزّيّة[٢٥]، وكانت هذه الوَرَّاقة تحت المدرسة العزّيّة على الشرق الشماليّ، وكان عندها عين تسمّى عين الوَرَّاقة»[٢٦].

وقال بدران: الْمدرسَة العزية البرانية: كَانَت فَوق عين الوراقة بالشرف الْأَعْلَى شمَالي ميدان الْقصر خَارج دمشق قَالَه النعيمي.

أَقُول [القائل عبد القادر بدران]: أما عين الوراقة فَهِيَ مَشْهُورَة الْآن، والميدان هُوَ المرج الْأَخْضَر غربي التكية، وموضعها كَانَ قصر الْملك الظَّاهِر بيبرس، وَأما الْمدرسَة فقد وقفت على رسومها وأطلالها[٢٧].

قلت: تقع المدرسة البرانية اليوم عند الزاوية

٢٢ كرد علي، محمد، ١٣٧٢ه / ١٩٥٣م، خطط الشّام، ٣ج، دمشق: مكتبة النوري، ١٤٠٣، ط٣، ص ١١٢.

٢٣ النّعيمي، المصدر نفسه، ١ / ٥٥٠.

٢٤ ابن كثير، المصدر نفسه، ١٣ / ١٧٤. في الحديث عن الأمير عز الدين أيبك (ت ٦٤٥ هـ) الذي «دفن بباب النصر في مصر، ثمّ نُقل إلى تربته بدمشق فوق الوَرَّاقة».

٢٥ النّعيمي، المصدر نفسه، ١ / ٢١٤.

٢٦ المنجّد، المصدر نفسه، ص ١١٢.

٢٧ منادمة الأطلال، عبد القادر بدران، ١٨٣.

الجنوبيـة الشرقية لثانوية جـودت الهاشمي، وكانت على وَشْكِ الانهيار، ثم تمّ تجديدها.

٤- الوَرَّاقة الرابعة: ذكرها ابنُ عساكر (ت٥٧١) في كلامـه علـى عليّ بـن محمّـد الأنطاكيّ فقـال: «تُوفّي في الوَرَّاقـة التـي **خارج باب الفراديس** عقيب صلاة الجمعة الثامن من رجب سنة ٤٩١»[٢٨].

وقد ظلّت صناعة الورق قائمة في دمشق حتّى القرن التاسع، بـل ظلّت مزدهرة، إذ يذكره البدريّ (ت ٨٩٤ هـ) في تاريخه ويعـدّه من جملة المـواد المشهورة التي تميزت دمشق بتصديرهـا إلى سائر الأقطار، وخاصّة مصر[٢٩].

١٤- العلامـات والخطـوط المائيّـة في الـورق الشّاميّ

يعود انتشار هذه العلامات في المخطوطات إلى وقت متأخّـر، فقد ظهـرت في المخطوطات التي كُتبت في وقت متأخّر نسبيّاً فضلاً عن المطبوعات التي طُبعت في أوائل عصـر الطّباعة، وقد ظهرت فيما يبـدو بدءاً من القرن السادس عشر الميلادي في أوربة.

وتُعدّ العلامـات المائية من التقنيـات المتأخّرة التي استعملـت في صناعـة الـورق، وهـي علامـة قـد تكون بمنزلـة شعـار لصانـع الـورق، تُوضع أثنـاء صنعه، تظهر أثناء عرضه على الضوء.

وأمّـا أقدم علامة مائيّة معروفة في هذا النوع، فهي خطوط مائيّة، ترجـع إلى القرن السَّابع الهجريّ، غير أنّ هذه العلامات قد ظلّت حتى القرن التالي غير مهذّبة، ثـمّ بدأ رسمها يتحسَّن بعد ذلك، ويرى السَّامُرائيّ[٣٠] أنّ ظهورهـا كان أولاً في الكاغـد الشَّامـيّ، وليـس في مصنع فابريانو بإيطاليا.

ومـن الأمثلة المتقدّمة على ظهور الخطوط المائيّة في الشرق مشاهدتها في كتاب (الغاية في اختصـار النهاية) للعـزّ بن عبد السّلام (ت ٦٦٠)هـ، في نسخة الظاهرية المنسوخة في حياته سنة ٦٤٥، إذ لاحظتُ فيها الخطوط المائية المتوازية والمتقاطعة على شكل مربعات.

وهـذا المثـال متقـدّم (أقـدم) ممّـا ذكـره قاسـم السامرائي بقولـه: «إنَّ بعض **الكواغد الشامية** التي كانـت تصنـع في طرابلـس وحماة، وربمـا في غيرهما، تظهـر فيهـا الخطـوط المائيـة البدائيـة الثنائيـة أو الثلاثيـة المتقاربـة المسافات، ولا تظهـر هذه الخطوط في الورق البغـدادي أو الأندلسـي أو المغربي أو اليمني والفارسـيّ، وقد بدأت هذه الخطـوط بالظهور فيها في حدود سنة (٧٢٠) للهجرة»[٣١].

١٥- الخط والنقش في دمشق

قال كرد علـي: واشتهر في دمشـق وحلب وبيروت خطاطـون كثـيرون في العهـد الأخـير، ومنهـم: أمـين زهـدي. مصطفـى السباعي. مراد الشطـي. مصطفى القبـاني. محمد علي الحكيم. نجيـب هواويني. حسين البغجاتـيّ. ممـدوح الشريـف. سليم الحنفـي. محمد علي الخطيب. زكي المولـوي. حنا علّام. يوسف علّام. نسيـب مـكارم. مشكـين قلـم. محمـد يحيـى. صادق الطرزي. موسى الشلبي.

وكان فـن الخـط إلى عهد بعيـد صناعـة يتنافس بهـا، وكثير مـن البارعين فيها كانت مـدار معاشـهم ينسخـون الكتـب وغيرها، فلمـا جـاءت الطباعة ثم الآلات الطابعة بطل التنافس بالخط العربي الجميل، وقلّ الراغبون فيه[٣٢].

---

٢٨ ابن عساكر، المصدر نفسه، مخطوطة الظاهرية، تراجم من اسمه علي.

٢٩ البـدري، المصدر نفسـه، ص ٣٦٣، تقنيـات صناعة المخطوط العربي في بلاد الشام، إياد الطباع.

٣٠ السامرائـي، قاسم، علم الاكتناه العربي الإسلامي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، ٢٠٠١، ص٢٩٥.

٣١ السامرائي، قاسم، مصدر سابق.

٣٢ خطط الشام ٤ / ١١٧.

١٦– مهن الوراقة في دمشق

لمّا كانت لصناعة الكتاب والمخطوط مهن تندرج تحتها، كان من اللازم تتبّع الصنائع التي تقود هذه الحركة، وقد اعتنى القاسمي في «قاموس الصناعات الشامية» بذكر المهن والصناعات في مدينة دمشق خلال الفترة المدروسة ؛ بلغ عدد هذه الصناعات السائدة في دمشق (٤٣٥) مهنة وصناعة.

وهذه المهن، كما أرّخ القاسميّ، منها ما يجلب ربحاً وفيراً، ومنها المتوسط، ومنها دون ذلك.

ومن هذه المهن ما يُعدّ شريفاً بالموضوع ؛ كالطب والوراقة، ومنها ما يعدّ دون ذلك. بل منها ما هو شريف كالتجارة، ومنها ليس بشريف كالحجّام والإسكاف،، ومنها ما هو دنيء كالقمّيمي، كما يقول القاسمي[٣٣].

وقد استقرأنا هذه المهن والصناعات الشاميّة فوجدنا ما له صلة بالكتب والمخطوطات والوراقة = ثماني مهن ؛ هي:

١– الحبَّار: ويقال له (حِبْرِيّ) وهو اسم لمن يصنع الحبر ويبيعه.

قال القاسمي: وثمنه [أي الحبر] على حسب حُسنه وجودته. ثم منه ما يكون مائعاً، وهو الأروج للمبيع، ومنه ما يُعمل جامداً يابساً محبّباً كرأس الأنملة أو الحصاة الصغيرة، يوضع في نحو كيس، لأجل الختم به بلا مشقة. ومنه ما يرد من البلاد كالمسمى بـ (الكوبيا)، فيُجلب من أوربة في حِقق صغيرة من خزف بنفسجيّ اللون، إلى الحمرة أقرب. وهذا الجنس رائج جداً، يستعمله التجار للكتابة، ولطبع المكاتيب.

وقد يُنوّع الحبر ألواناً: فيكون أحمر، وأخضر، وأزرق، ومُذهَّباً وشبيهاً بالذهب، كالنحاس، وغير ذلك.

وبالجملة فهذه الصنعة من ضروريّات الحضارة وغيرها غالباً، وأهلها يتعيّشون منها على حسب أحوالهم[٣٤].

٢– الدَّلّال: وهو اسم لمَنْ يبيع حوائج الناس، فيطوف على مَنْ يرغب في الشراء من الذوات وغيرهم في بيوتهم ومتاجرهم ومراكزهم[٣٥]، ومنه مهنة: **دلال الكتب.**

٣– الصحَّاف: وهو بائع الكتب على أصنافها.

ولبائعي الكتب بدمشق سوق مخصوص يُعرف بـ «المسكيّة»، هو غربي جامع بني أميّة، يتعاطون به بيع الكتب. قال القاسمي: وهي حرفة شريفة، تنتج ربحاً وفيراً[٣٦].

٤– طابع الكتب: هو من يطبع الكتب.

قال القاسمي: وقلّ من يعتني بهذه الحرفة بدمشق. والقائم بها أكثر ما يطبع ما يلزم التجار من «بوالس» ودفاتر وإعلانات، مع أوراق الزيارات المعروفة بالكارت فيزيت، بواسطة المطبعة الحجرية. ومطبعة الحكومة السنيّة تطبع جريدتي «سورية» و«الشام» مع جميع ما يلزم للحكومة من المطبوعات. فهي حرفة لطيفة، يتعيّش بها من يتعاناها[٣٧].

٥– الظرَّاف: بائع ظروف المكاتيب والأوراق المعدّة لها أيضاً، مع كل ما يلزم للكتابة من أقلام، وريش حديد، وأقلام الرصاص، وأنواع الورق، وأشكال الحبر ؛ فهو الذي يتّجر في أدوات الكتابة.

---

٣٣ قاموس الصناعات الشامية، ٢٨.

٣٤ قاموس الصناعات الشامية، ٨٨.

٣٥ قاموس الصناعات الشامية، ١٤٦.

٣٦ قاموس الصناعات الشامية، ٢٦٩.

٣٧ قاموس الصناعات الشامية، ٢٨٦.

قال القاسمي: وهي حرفة ليست دنيئة، تكسب ربحاً حسناً، يتعيّش منها كثيرون. ولها رواج تامّ، وحوانيتها عديدة[٣٨].

٦- **الكتبي:** بائع الكتب. وللكتب سوق بدمشق يُعرف بـ «المسكيّة»، عند باب الجامع الأمويّ الشهير المعروف بباب البريد، يبيعون به الكتب.

قال القاسمي: وهي حرفة قديمة شريفة، وقد ازداد رواجها بواسطة كثرة المطابع الحادثة في هذا العصر. ولباعتها أسلوب في الاتجار بها، والربح منها[٣٩].

٧- **المجلِّد:** هو من يجلّد أصناف الكتب والدفاتر.

قال القاسمي: فيجمع منها كراريس، ويضمّها لبعضها، غبّ ضبطها، ويضعها ضمن آلة تعرف **بالمكبس** فتكبسها، فإن زاد شيء من الورق عن بعضه يقصّه **بالمقراض**، حتى يُساوي بعضه، وإن كان الزائد قليلاً ينحته في **مبرد من حديد**، حتى يساوي بعضه، وحينئذ يضع ذلك المصنوع ضمن **جلد** من **ورق سميك**، يعرف بـ **الكرتون** ملصوق عليه من أصناف **الورق الملون**، أو يصنع **جلداً رقيقاً أو قماشاً**، وذلك بغاية الضبط. ثم يحبكه في بعضه، أو يخيطه. ومن الناس من يرغب في **تذهيب** جلد الكتاب إن كان نفيساً[٤٠].

٨- **الورَّاق:** كان الورَّاق يطلق قديماً على المجلّد ؛ وقد وصّف القاسمي عمله فقال: يُلصق الأوراق بعضها، بجانبي الكتاب. وذلك قبل أن يحدث هذا المقوّى المجلوب من معامله. وقد يُطلق الآن على (الظرّاف)؛ وهو بائع الظروف والورق بأنواعه[٤١].

٣٨ قاموس الصناعات الشامية، ٣٠٠.

٣٩ قاموس الصناعات الشامية، ٣٨٣.

٤٠ قاموس الصناعات الشامية، ٤١٦.

٤١ قاموس الصناعات الشامية، ٤٩٥.

١٧- صناعة التجليد في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين

وفي الوقت الذي استمرت فيه صناعة الأغلفة الجلدية الكلاسيكية في القرن التاسع عشر الميلادي، فإن تجليد أسلوب (يك شاه)= (الملكي) و(باروك- روكوكو)[٤٢] للقرن الثامن عشر لقي رواجاً أكثر.

وفي الحقيقة فإنه لا يمكن الحديث عن أي نوع من الأساليب أو مدارس التجليد للعهد الأخير من التجليد التركي الذي انقطعت فيه الصلة بين الأصول الجديدة للتجليد وبين العهد الكلاسيكي. والزخارف الموجودة على الأغلفة صنعت بعض منها حسب الأساليب التركية القديمة، والأغلب منها بقي متأثراً بالتجليد الألماني والفرنسي. ومن أنواع التجليد التي ظهرت في الفترة الأخيرة من خلال استخدام أدوات الضغط الحديثة في أغلب الأحيان: جلد أبليكة، جلد روليف، قماش نصف جلدي، نصف جلدي مجزع أو منقش، الجلد الصناعي، المغلف بالورق[٤٣].

وقد شهد القرن الحادي عشر الهجري تقارب الفنّ في بلاد الشّام مع التجليد العثمانيّ، وقد ظهر لنا من المجموعات المتوافرة في الجامع الأموي بدمشق، ومجموعات المكتبة الظاهرية بدمشق أنّ هذا التقارب

٤٢ الركوكو: كلمة معناها الصدفة أو المحارة غير المنتظمة الشكل ذات الخطوط المنحنية التي استمدت منها زخارف في تلك الفترة، ويعدّ فن التزيين الداخلي. ظهر هذا الطراز من الفن في القرن الثامن عشر، ويعد امتداداً للباروك ولكن بمقاييس جمالية تتسم بالسلاسة والرقة. واستمر هذا الطراز مزدهراً في ألمانيا وفرنسا بصفة خاصة، واختفى من فرنسا بعد قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩. وهو فن ينتمي إلى الزخرفة في العمارة والديكور الداخلي والخارجي وكذا الأثاث والتصوير والنحت، هو فن منبثق من المحارة غير المنتظمة، وقد كانت بداية ظهور هذا الفن في فرنسا إبان القرن الثامن عشر الميلادي، ويرجع إلي الأصول الكلاسيكية، وهو يعدّ من الأساليب الزخرفية التى تعالج الأنماط الساكنة ليكسبها الحركة والحيوية، وهذا الفن استُقي من فن الزخرفة العربي التقليدي الأرابيسك.

٤٣ المخطوطات الدمشقية.

ليس على درجة عالية من الفنّ الذي نلمسه عند التجليد العثماني، وإن كان يُقاربه.

إنّ التطور الذي حصل مرتبط بالتطوّر الذي أحرزته صناعة الجلود العثمانيّة التي تمكّنت من إنتاج الألوان جميعها. وظهر ذلك من خلال الشّمسات المفصولة من تحت أو فوق.

والشمسات في هذا العهد بيضاوية فقط.

وعلى الرغم من أنّ المساحة الواقعة بين الشّمسات الناتئة البارزة وبين الزوايا أبقيت فارغة على الأغلب، وصنع في بعض الأحيان تجليد ملئت فيه تلك المسافات الفارغة بالزخارف الناتئة والمذهّبة الملمّعة الشّمسات.

وبدا التأخّر واضحاً في القرن الثاني عشر الهجريّ ؛ سواء في تركيب العناصر، أم في تزيين الأشكال. فأُلغيت في قسم من الأغلفة الزّوايا والإطارات، وتحوّلت الشّمسات إلى مستطيلات، وفي بعضها إلى أشكال بيضاوية، ووضع الجنزير بدل الإطارات في المحيط.

وظهرت في القرن الثالث عشر الهجري تقنيات وأساليب جديدة للتجليد في هذا العهد، منها تجليد اللاك، واستمرت في القرن الرابع عشر الهجري صناعة الأغلفة الجلدية، حسب الأساليب التقليديّة.

• **أساليب التجليد:** من خلال التطوّر التاريخيّ فإنّ الأساليب المشهورة المتّبعة في فنّ التجليد الإسلاميّ هي: الخطاي، والعربي، والملوكي، والمغربي، والعثماني، والبخاري؛ وفي بلاد الشّام اشتهرت الفنون الآتية:

١– **الأسلوب العربيّ:** وقد تطور في بلاد الجزيرة وحلب والشّام. وجلود التجليد وزخرفتها بارزة. وتأثر هذا بالأسلوب التركي الذي بدأ مع العباسيين. ومستلهم من الأسلوب الأويغوري [تركستان الشرقية].

٢– **الأسلوب المملوكيّ المخلوط بالأسلوب العربيّ الذي مارسه المماليك في مصر**، وهو يشبه في كثير من الأوجه الأسلوب الروميّ.

٣– **الأسلوب الروميّ:** هو التجليد المتّبع في إمارات الإلخانيين والإمارات الأناضوليّة التي استمرّت في تأثّرها بالسّلاجقة بعد الاستيلاء السّلجوقيّ والمغوليّ على الأناضول(٤٤).

٤– **الأسلوب العثمانيّ:** وقد ظهر ابتداء في دياربكر وبورصة وأدرنة وإستانبول.

■ أنواع التجليد

يمكن تقسيم أنواع التجليد الذي تطور معظمه في العهد التقليدي للأسلوب التركي، من حيث الأدوات وفن التزيين إلى مجموعتين اثنتين:

أ– حسب الأدوات: الجلد، والقماش، والمجزَّع، والمرصع، واللاك.

ب– وحسب فن التزيين: ذو شمسة، وذو بهار، ويك شاه (ملكي)، وزردوز (طَرّاز: مطرز بالذهب)، وجاركوشه.

١– **جلد التجليد:** الجلد هو أكثر الأدوات استخداماً وأساساً في عملية التجليد. وجلود التجليد على مختلف الأنواع:

أ– **جلد ذو شمسة: ويأخذ اسمه من الشمسة التي توضع على الجلد. وتسمى هذه الجلود** بمختلف الأسماء حسب طرز وصم الجلد بها. منها:

---

٤٤ تأثرت الأغلفة التركية أيضاً بأساليب الزخرفة الفارسية، ولم يستمر الوضع طويلاً، فبعد امتداد الدولة التركية إلى المشرق العربي واحتلالها مصر والشام ووصولها إلى حدود طنجة والمغرب بدأت تتأثر بفنون التغليف العربية، كما تأثرت إلى حد ما بفنون الزخرفة الإغريقية والصينية لتبدأ في تطوير أسلوب خاص بها يمكن أن نطلق عليه أسلوب الزخرفة التركية تمثل في أغلفة الساز. وقد تنوعت أساليب الزخرفة التركية ما بين المستوحي من زهرة اللوتس والقريب من الأساليب الصينية، ومثلها أيضاً أسلوب «التيهي» أو السحب الصينية والرومي.

١- الشمســة المفصولة من الأسفل. وفيها يترك الجانب البارز من الجلد على لونه. وتذهّب الأرضية.

٢- الشمســة المفصولة من الأعلى. وفيها تترك الأرضية على لون الجلد، وتذهب النقوش.

٣- الجلــد ذو شمسة ملمّعة. وفيهـا يتم تذهيب النقوش والأرضيـة كلهـا. وفي هـذه الحالـة يمكـن استخدام لونين من التذهيب.

٤- الشمسة الملونة. وفيهـا يتم تغليف الشمسة والكعب وغيرهما من الجوانب بتجليـد من لون آخر، غـير التجليـد الأساسـي المستخدم في الغـلاف. وفيها طرز، مفتوحة من الأعلى والأسفل.

٥- الشمسة البــاردة. وتطبع الشمسة فيها على غـلاف الجلـد دون استخدام الذهـب. ولذلك فلا يكون التجليد بلون مخالف عن لون الجلد.

٦- المشبّـك بشمسة (قطعية). وتظهر الشمسة على الأغلـب في الجانب الداخلي من الجلد. فبعدما يتم نحت الجلد مثل الدانتيل، يلصق على الغلاف الداخلي من أرضية الجلد أو القماش المختلف في لونه.

ب- جلــد ذو البهــار. وقـد أخـذ اسمه مـن نوع التزيـين الذي يطلق عليـه أيضاً في الأوســاط الشعبية «شمســة قفص»، والذي ظهـر في أواخر القرن الثامن عشـر، ولا سيما في القرن التاسع عشر الميلادي. حيث يتـم وضع خطوط على شاكلة الورق المشرح على أربع قطع على الغـلاف. وهذا التزيين يمكن أن يضم وسط الجلـد والأرضيـة بالكامل. والفجـوات الموجودة بين المستطيـلات التـي شكلت فيمـا بعد، تمـلأ بنجوم، ما يضفي على الغلاف ثراءً في المظهر.

ج- جلد يك شاه: تتم النقوش من خلال الضغط بمعدن حاد - يسمى يك شاه - على الجلد. ويتم أحياناً إجراء هذا الطراز م ن النقوش على شمسات ذي البهار أيضاً.

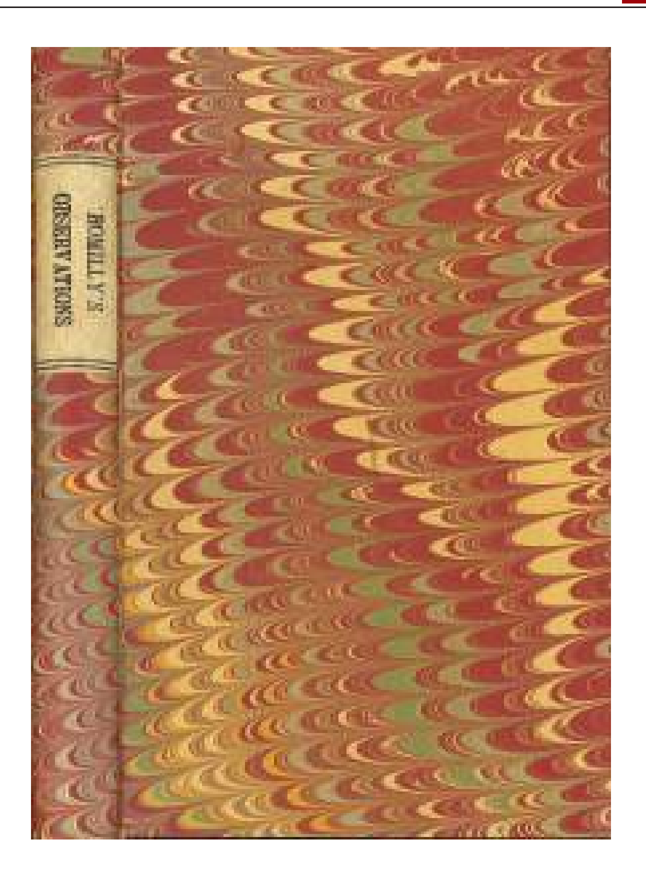
د- جلــد زردوز (مطرز بالذهــب): وهي الجلود التـي يتـم نقش الإطـارات باللـون الأصفـر والوردي والأخضر عليها بطراز (ذهب) واقعي.

٢- تجليد جــار كوشه □بأربــع زوايا○: وهو نـوع من التجليـد المخملي أو المطـرز، مغطى بالقماش المطـرز أيضــاً، شكلـت الجوانـب مثلثـات في الزوايـا مغطاة بالجلد. ويأخذ اسمه من الزوايا.

٣- تجليــد القماش: وهـو التجليـد الــذي يتـم باستخدام الكتـان أو الحرير أو القماش المخملي على الورق المقوّى وتغليفه به.

٤- التجليــد المجــزع (الإيــبرو): مـن المعلـوم أن تاريـخ المجـزع يعـود إلى القـرن الخامـس عشـر الميـلادي، وله مـكان مهـم في صناعة التجليـد. وحتى يتحمـل التجليد المجـزع أكثر، فإنـه كان يستخدم فيه فن الزوايـا الأربع. وكما يستخـدم المجزع في الغلاف الخارجـي والداخلـي للتجليـد، فإنـه كان يرجح على غيره في صناعة محافظ الكتب.





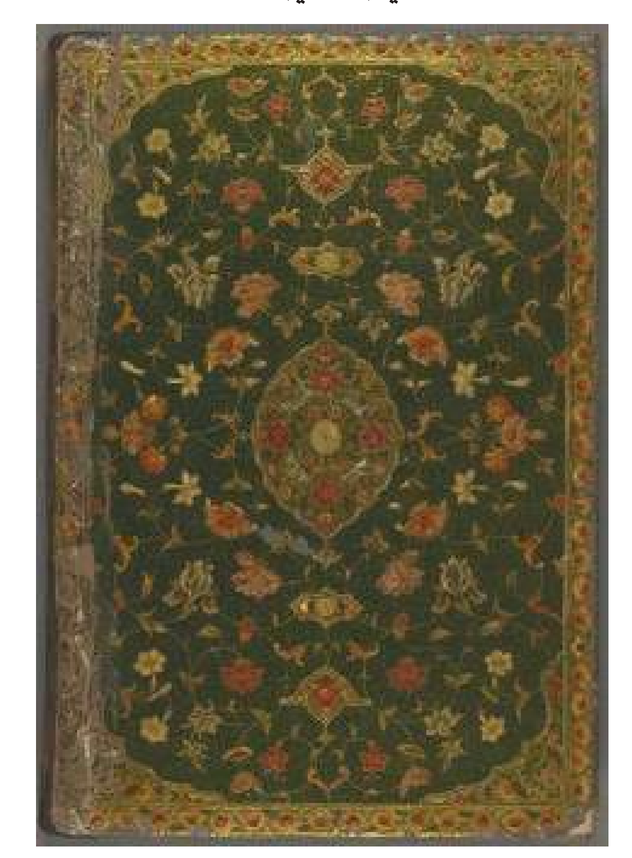
٥- **التجليد المرصع:** وهذا النوع من التجليد يتعلق في الحقيقة بصناعة الذهب أكثر من فن التجليد؛ إذ إنه نوع من التجليد الفاخر للغاية، وقيمته المادية عالية. وله أنواع، منها ما هو مصنوع من العاج المحفور، ومنها ما هو مغطى بالذهب، والموزائيك، والبارز النافر، ومنها ما هو مزين بالياقوت والزمرد، واللؤلؤ والألماس. وقد نفذ هذا النوع من التجليد على الأغلب في أغلفة المصاحف الشريفة.

٦- **تجليد اللاك:** أخذ اسمه من كلمة اللاك (ورنيس)، وهو صقل الورق المقوى الذي يشكل الجلد المسمى روغاني (الزيتي) أو أدرنه كاري. إذ يُنقش هذا السطح الملمع بمختلف النقوش من الذهب والصبغ إلى أن يصل إلى مستوى القزاز في لمعانه، ويصقل بالورنيس عدة طبقات. وأولى نماذج هذا النوع من التجليد ظهر لدى العثمانيين والتيموريين في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد طبق بعد ذلك العصر لدى الصفويين والبابوريين.

وإضافة إلى ما سبق ذكره، يمكن تناول التجليد الخاص بمحافظ الكتب و«جلدبند» ضمن التجليد أيضاً. فجلدبند هو تصنيع غلافين من الجلد مثل الكتب، وله مدخل داخلي، يتم وضع الأوراق فيه؛ حتى لا تبلى أو تتمزق وتتلف. ويمكن عدّ هذا النوع من المحافظ من الشنط التي توضع [أثناء الحمل] تحت الإبط، دون أن يكون له ممسك. أما محافظ الكتب، فهي العلبة الخاصة بحفظ الكتب المخطوطة، بحيث يوضع فيها المخطوط بالطول.



التجليد الروغاني (الزيتي)



١٨- التذهيب والزخرفة

التذهيب والزخرفة فن من فنون الكتاب التي تكسبه الروعة والجمال، ويتحقق ذلك باستخدام الألوان المختلفة وورق الذهب بعد سحقه وتحويله إلى سائل يدهن بالفرشاة، ويجد هذا الفن ساحة واسعة لتطبيقه في التراكيب المعدة بالوحدات الزخرفية بالأسلوب النباتي(٤٥).

وقد كانت عملية إخراج المخطوط العربي تمر بعدة مراحل يأتي في مقدمتها الكتابة ثم التصوير والرسم، وغالباً ما يكون عمل الناسخ منفصلاً عن عمل الرسام، أما المرحلة الثالثة فهي الزخرفة والتحلية أو التذهيب، فالزخرفة عبارة عن أشكال هندسية أو نباتية تعرف باسم الأرابسك تزين بها المخطوطات العربية. وقد بدأت هذه الزخرفة في أول الأمر على هيئة أشكال بسيطة لم تلبث أن تطورت، فأصبحت فناً له أصوله وأبعاده المختلفة.

وأغلب الظن أن الزخرفة والتحلية بدأت بالقرآن الكريم؛ إذ لم يكن يصح أن يكون فيه صور أو رسوم، فاستغل المزخرفون هذه الفرصة في التأنق في زخرفة المصحف بأشكال نباتية وهندسية، وكانت بدايات السور وعلامات الوقف ميداناً خصباً لعملية الزخرفة هذه، وزيادة في التقرب إلى الله كانت هذه الزخارف تكتب بماء الذهب، وقد أمعنوا في هذا الجانب بعد ذلك فكتبوا المصحف كله بماء الذهب، وقد استخدم العرب في زخرفة المخطوطات - ومنها المصاحف - ألواناً مختلفة من الأحبار والأصباغ ولكن عدد هذه الألوان كان محدوداً، وكانت الألوان الغالبة هي الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر(٤٦).

وكان التذهيب في أول الأمر مقصوراً على أجزاء معينة من الصفحات مثل الأشرطة التي تفصل السطور بعضها عن بعض، والفواصل بين الآيات، وبعض العناصر الزخرفية التي تدل على أجزاء المصحف وأقسامه، وكان الشريط أهم هذه الأجزاء جميعاً وقد زين بعناصر زخرفية مختلفة(٤٧). وجرى تذهيب الصفحات الأولى والأخيرة للقرآن الكريم، كما زينت وذهبت علامات نهاية الآيات، وتقسيمات القرآن الأولية على شكل (نصف وثلث وربع.. إلخ) وبمرور

٤٥ أوغلي، أكمل الدين إحسان / الدولة العثمانية: - نقله إلى العربية: صالح سعداوي - إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٩٩م، ٢ / ٧٥١.

٤٦ خليفة، شعبان عبد العزيز ومحمد عوض العايدي / الفهرسة والتصنيف للمكتبات.. الرياض: دار المريخ للنشر، (د. ت)، ص ٣١٤، ٣١٥.

٤٧ الأصمعي، محمد عبد الجواد / تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام - القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ٧٨.

الزمن ذُهِّبَ فهرس السور وفهرس عدد الآيات والكلمات والأحرف المكتوبة على صفحات مزينة[٤٨].

تفنن أهل الشام في تجليد المصحف، واخترعوا صنع اللسان، وهو امتداد في الجلدة اليسرى، وهكذا وجدت صناعة التجليد في أفياء المصحف الشريف نمواً وازدهاراً، فازدهرت بلاد الشام ومصر واليمن بالجلود، وامتازت دمشق وزبيد وصعدة بالأدم، وعدن بجلود النمور، وإذا كان الزمن لم يُبْقِ لنا من تجليدات القرون الأولى شيئاً ذا بال، فإنه قد من علينا ببعض النماذج التي تدل على مدى تطور فن التجليد في المصاحف، وهكذا لم يبلغ القرن الرابع الهجري مداه حتى كان تجليد المصاحف قد بلغ مبلغاً كبيراً من الجمال؛ فازدان بألوان من الزخرفة لا تقل عن الزخارف الداخلية روعة وجمالاً.

لقد اتبع مجلدو المصاحف في عملهم أسساً تدل على عمق وفهم. فقسموا سطح الغلاف إلى متن وحاشية، والمتن هو الصرة الكبيرة المتمركزة فيه، وتملأ عادة بالزخارف الهندسية النجمية الشكل وبالزخارف النباتية وقوامها الفروع المتشابكة.

والحاشية شريط زخرفي يسير بموازاة الخط الرئيسي للغلاف، وهذا التقسيم في الغلاف ما هو إلا استمرار للتقسيم القديم الذي كان شائعاً في زخرفة غلافات المصاحف، وتحتل زوايا المتن من الداخل زخرفة مستمدة من زخرفة الصرة الوسطى.

ولقد تطور فن التجليد وازدهر في المناطق الشرقية من بلاد فارس، وكان تيمور لانك الذي اجتاح المنطقة، ووصل إلى دمشق سنة ثلاث وثمانمئة هجرية (٨٠٣هـ) قد أخذ معه مجموعة من خيرة الصناع

٤٨ العبادي، صادق – تاريخ تطور كتابة القرآن الكريم في بلاد فارس مجلة الفيصل – ع ٢٨٢ (ذو الحجة ١٤٢٠هـ / مارس – أبريل ٢٠٠٠م) ص ١٢.

والمجلدين الدمشقيين فعلَّموا الإيرانيين هذه الحرفة.

١٩- مصطلحات الوراقة والثقافة المتعلّقة بها المستخدمة في دمشق في أدبيات القرن التاسع عشر

١- أدوات الكتابة

٢- أشعار

٣- إعلانات

٤- الآلات الطابعة

٥- أوراق الزيارات أو الكارت فيزيت

٦- بائع الكتب

٧- بديعية

٨- البَردي

٩- بطائق الحمام

١٠- بوالس

١١- التاجر (الناشر أو بائع الكتب)

١٢- تآليف منقحة

١٣- التجليد

١٤- التذهيب

١٥- تذهيب

١٦- تناسب أجزاء

١٧- الجريدة الرسمية (سورية)

١٨- جلد الكتاب

١٩- جمعيات المستشرقين

٢٠- الحبَّار: ويقال له (حِبْرِيّ) وهو اسم لمن يصنع الحبر ويبيعه.

٢١- الحبر

٢٢- الحبر الأحمر

٢٣- الحبر الأخضر

٢٤- الحبر الأزرق

٢٥- الحبر الشبيه بالذهب، كالنحاس

٢٦- الحبر المُذهَّب
٢٧- الحبر ألواناً: فيكون
٢٨- حروف الطباعة
٢٩- حِقّة (الجمع: حِقق).
٣٠- حوامل الكتابة
٣١- الختم
٣٢- خزائن الغرب
٣٣- الخط
٣٤- دفاتر
٣٥- الدّلّال
٣٦- دلال الكتب
٣٧- دواوين حديثة
٣٨- دواوين قديمة
٣٩- رداءة التآليف المطبوعة
٤٠- رسائل علمية
٤١- رقّة حاشية
٤٢- الرقوق
٤٣- الزخرفة
٤٤- الصحَّاف: وهو بائع الكتب على أصنافها.
٤٥- الطابع
٤٦- طابع الكتب: هو من يطبع الكتب.
٤٧- الطباعة
٤٨- الظرَّاف: الذي يتّجر في أدوات الكتابة
٤٩- ظروف المكاتيب
٥٠- علماء المشرقيات
٥١- القرطاس
٥٢- قصص معرّبة
٥٣- قطع العادة
٥٤- القطع المنصوريّ
٥٥- قَطع الورق
٥٦- الكارت فيزيت: أوراق الزيارات
٥٧- الكتابة
٥٨- كتب العرب
٥٩- كتب العلم والأدب
٦٠- كتب دينية
٦١- الكتبي: بائع الكتب
٦٢- الكرتون
٦٣- الكوبيا
٦٤- اللغات الغربية
٦٥- المجلِّد: من يجلّد أصناف الكتب والدفاتر
٦٦- المصاحف الشريفة
٦٧- المصنّف
٦٨- المطابع الشامية
٦٩- مطبعة
٧٠- المطبعة الحجرية
٧١- مطبعة الحكومة السنيّة
٧٢- مطبعة يدوية على الحجر
٧٣- المعارف العامة
٧٤- المقابلة
٧٥- مقامة
٧٦- المقراض
٧٧- المكاتيب: جمع مكتوب: الرسالة البريدية
٧٨- المكبس: من أدوات التجليد
٧٩- المؤلف
٨٠- النَّسخ
٨١- النقش
٨٢- الورَّاق
٨٣- الوَرَّاقة
٨٤- الوراقة: صناعة عمل الورق
٨٥- الورق

٨٦- الورق البغدادي: ورق ثخين مع ليونة ورقّة حاشية وتناسب أجزاء، وقَطعه وافر جداً، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة، وربما استعمله كُتّاب الإنشاء في مكاتبات القانات

٨٧- الورق الحمويّ

٨٨- الورق الدمشقيّ

٨٩- الورق الرقيق

٩٠- الورق الشامي: رقيق للغاية وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام. وهذا هو الورق الرقيق، والورق القديم أشبه بالبَردي أو الرقوق بمتانته

٩١- ورق القطن: الذي منه الورق الدمشقي

٩٢- ورق سميك

المصادر والمراجع

١- بواكير الطباعة والنشر في بلاد الشام في العهد العثماني، إياد خالد الطباع،

Proceedings of the International Symposium on BILAD AL-SHAM DURING THEOTTO ERA Damascus, September 2005, Istanbul 2009.

٢- تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، لويس شيخو.

٣- تاريخ تطور كتابة القرآن الكريم في بلاد فارس صادق العبادي، - مجلة الفيصل - ع ٢٨٢ (ذو الحجة ١٤٢٠هـ / مارس - أبريل ٢٠٠٠م).

٤- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر.

٥- تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام، محمد عبد الجواد الأصمعي، - القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م،

٦- ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ابن عبد الهادي، دمشق: المعهد الفرنسي.

٧- حركة الوراقين.

٨- خزائن الكتب في دمشق وضواحيها، حبيب الزيات.

٩- خطط الشام، محمد كرد علي، دمشق: مكتبة النوري.

١٠- خطط دمشق: نصوص ودراسات في تاريخ سورية وآثارها القديمة، صلاح الدين المنجّد، ١٣٦٩.

١١- الفهرسة والتصنيف للمكتبات، شعبان عبد العزيز خليفة، ومحمد عوض العايدي، الرياض: دار المريخ للنشر، (د. ت).

١٢- الدارس من أخبار المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٣.

١٣- الدولة العثمانية: أوغلي، أكمل الدين إحسان / - نقله إلى العربية: صالح سعداوي - إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٩٩م.

١٤- ديوان طرفة.

١٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، القاهرة: دار الكتب.

١٦- علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي،، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، ٢٠٠١.

١٧- قاموس الصناعات الشامية، محمد سعيد القاسمي.

١٨- مجلة المشرق.

١٩- المخطوطات الدمشقية، إياد خالد الطباع، دمشق: وزارة الثقافة.

٢٠- المخطوطات العربية وفهرستها في دمشق، عزة حسن.

٢١- مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، القاهرة: دار المعارف.

٢٢- الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ياسين صلاواتي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

٢٣- النتاج الفكري للكتاب العربي المطبوع منذ نشأة الطباعة حتى نهاية القرن التاسع عشر، إياد خالد الطباع، دمشق: دار الفكر.

٢٤- نزهة الأنام في محاسن الشام، البدري، القاهرة ١٣٤١ هـ.

منهج تحقيق المخطوط عند المحدثين

د. مزيـــد إسماعيل نعيـــم*

يقصـد من تحقيق المخطـوط ردّه إلى الصورة التي كان عليها، وأصبـح تحقيق المخطوط علْماً يقوم على أسس علميّة أَرسى أُصولها المحققون.

وقد نشـطت حركة بعث التراث العربي نشـاطاً كبيراً في إظهار مجموعـة من المخطوطات، وقد أفاد منها الباحثون في الدراسات اللغوية والنحوية.

ومـن هنـا كانت الحاجـة ملحة إلى الحفـاظ على هذا الـتراث، ومتابعة هـذه المخطوطات في مراكزها المتناثرة.

وقـد تطـورت طـرق التحقيـق، وأصبحنـا نتطلع إلى تدريـب جيل من الباحثين في مجـال تحقيق التراث وإحيائـه. ويظن بعض الباحثـين المحدثين من العرب، أنّ فنّ تحقيق النصوص فنّ حديث، ابتدعه المعاصرون مـن المحققـين العـرب، أو اسـتقوه من المسـتشرقين، الذيـن سـبقونا في العصـر الحـاضر بعضـ الوقت، في تحقيق شيء من تراثنا ونشره بين الناس.

ولكـن الحقيقـة بخلاف ذلـك؛ فقد قام فـنُّ تحقيق النصـوص عنـد العرب مع فجـر التاريخ الإسـلامي، وكان لعلماء الحديث اليد الطُّولى في إرسـاء قواعد هذا الفـن في تراثنا العربي، وتأثر بمنهجهم هذا أصحـاب العلوم المختلفة.

وإنّ كثـيراً ممـا نقـوم به اليوم من خطـوات في فنّ تحقيق النصـوص ونشرها، بدءاً من جمع المخطوطات والمقابلـة بينهـا، ومـروراً بضـبط عباراتهـا وتخريج نصوصـها، وانتهاءً بفهرسـة محتوياتها، لمِمَّا سبقنا إليه أسلافنا العظام من علماء العربية[1].

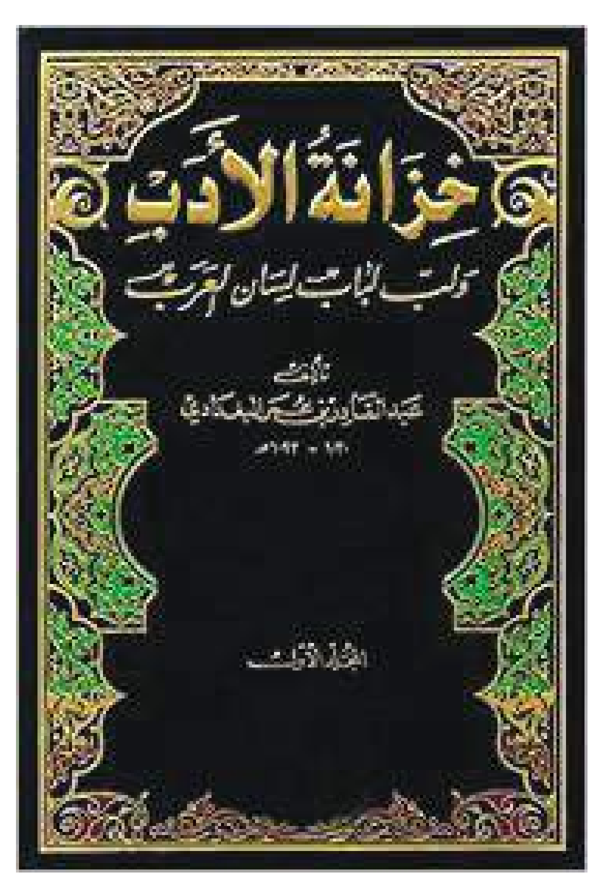
ويعدّ عبـد القادر البغدادي المتوفَّى سـنة ١٠٩٣ هـ في كتابـه «**خزانـة الأدب ولبّ لباب لسـان العرب**» مثـالاً لعلمائنـا القدمـاء الذيـن برعـوا في التحقيـق، فـكان يقابل بين النسـخ، ويترجم للعلماء والشـعراء، ويُخَرِّجُ شواهد الشعر، ويُنْشِدُ نصوصـها التي وقعتْ فيها، وينسـب الأبيات المجهولة، ويشـير إلى اختلاف الروايـات في البيـت الواحـد، وغير ذلك ممـا ينادي به علماء هذا الفن في العصـر الحديث[2].



* أستاذ في قسم اللُّغة العربيّة وآدابها في جامعة دمشق.

١– انظر مقدمة مناهج تحقيق التراث، الدكتور رمضان عبد التواب.

٢– مناهج تحقيق التراث، ص ٥٠.



المؤلفات الحديثة في تحقيق التراث:

١- أصول نقد النصوص ونشر الكتب للمستشرق الألماني (برجشتراسر)، إعداد وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري، ط القاهرة، سنة ١٩٦٩م.

٢- تحقيق النصوص ونشرها، للأستاذ عبد السلام هارون، ط القاهرة، سنة ١٩٧٧م.

٣- منهج تحقيق النصوص ونشرها، للدكتور نوري حمودي القيسي، والدكتور سامي مكي العاني، مطبعة المعارف ببغداد، سنة ١٩٧٥م.

٤- تحقيق التراث العربي؛ منهجه وتطوره، للدكتور عبد المجيد دياب، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.

٥- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، للدكتور محمود الطناحي، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.

٦- مناهج تحقيق التراث، للدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

وإذا نَهَضَ باحث لتحقيق نصٍّ، فإنّ هذا العمل يتطلب من المحقق أن يقدِّم النص مضبوطاً محرراً، وأن يرمَّ ما كان قد سقط من نصوص المخطوط، وأن يصحح أخطاء الناسخ في رسم الكلمات، بالإضافة إلى إصلاح ما وقع في المخطوط من تصحيف وتحريف.

جمع نسخ المخطوط:

يُفَضّل قبل جمع نُسخ المخطوط أن يطلع المحقق على المصادر الآتية:

١- كتاب تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان.

٢- تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين.

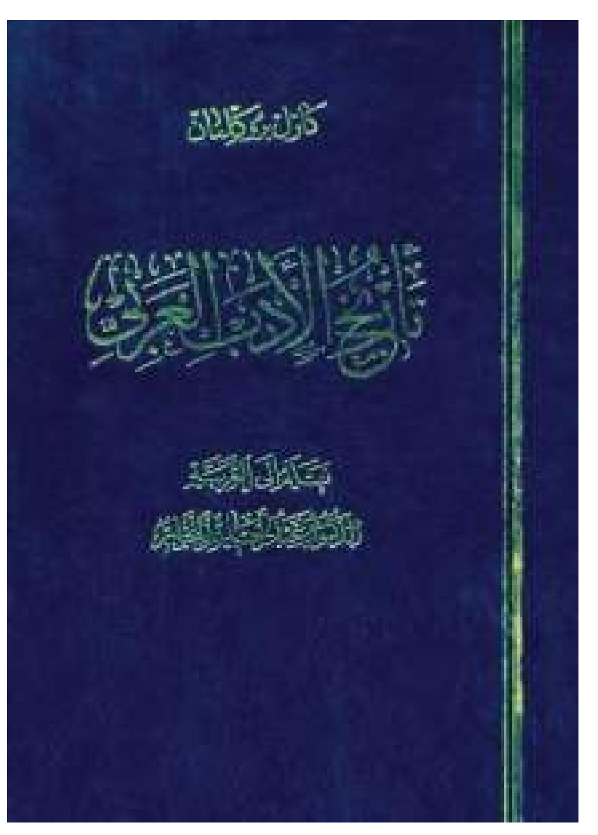
٣- فهارس المكتبات التي بها مخطوطات عربية، وهي غير قليلة.

ويحسن بالمحقق أن يدرس النسخ المخطوطة للكتاب قبل جمعها أولاً، عن طريق وصف الفهارس لها، فقد يرى مثلاً من هذا الوصف أنّ بعضها قد نقل عن بعضٍ، وعندئذ فلا داعي للحصول عليها كلها، بل يكفي في هذه الحالة استخدام الأمهات فحسب، إلا إذا كان بعض النسخ الحديثة، قد كتبها علماء معروفون، أو سمعت على علماء مشهورين؛ ففي هذه الحالة لا بدَّ من الحصول على هذه النسخ كذلك.

وإذا كان الكتاب نسخة فريدة، فلا يضير تحقيقه عن هذه النسخة وحدها. أمَّا إذا كان للكتاب أكثر من مخطوطة، فمن الخطورة التعويل على نسخة واحدة من نسخه، لأننا لا نضمن أن تكون هذه النسخة مستوفيةً لكل النص الذي كتبه مؤلف الكتاب[٣].

وإذا كان للكتاب نسخ خطية كثيرة فإننا نراعي في ترتيب النسخ قدم النسخة، ويعرف ذلك من التاريخ المدوّن في آخرها، وقد يعرف قدم النسخة من شكل ورقها، وتكون أعلى النسخ النسخة التي بخط المؤلف.

٣- مناهج تحقيق التراث، ص ٦٥.



المستشرق الألماني كارل بروكلمان



توثيق اسم الكتاب:

يحسن أن يرجع المحقق إلى مؤلفات صاحب الكتاب، أو كتب التراجم، أو كتب الفهارس مثل: الفِهْرِست للنَّديم، وكشف الظنون، وغير ذلك.

وأحياناً، ينسب الكتاب إلى غير صاحبه، ولهذا لا بدَّ من البحث والتدقيق في هذه المسألة، مثل: الكتاب الذي طُبِعَ بعنوان «إعراب القرآن المنسوب إلى الزَّجَّاج»، والصَّحيح أنَّهُ «جواهر القرآن ونتائج الصَّنْعة»، لمؤلِّفه جامع العلوم أبي الحسن عليّ بن الحسين الأصبهانيّ الباقوليّ المتوفَّى سنة ٥٤٢ هـ.

أسلوب المؤلف:

يفضل الوقوف على أسلوب المؤلف، وعلى غرضه من الكتاب، وقراءة الكتب التي ألفها، فهذا مِمّا يُعِينُ المحقِّق على توثيق نصِّه ونسبته إلى صاحبه.

وتبدو الحاجة ملحة إلى فهم النص لأنه الطريق إلى تحقيقه على الوجه الصحيح.

تصحيح الخطأ الواقع في متن المخطوط:

ذهب أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب – رحمه الله – إلى أن الخطأ إذا وقع من المؤلف فإننا لا نصلحه في متن الكتاب، وإنما نبقي عليه كما هو، ونشير إلى وجه الصواب فيه في هوامش الكتاب.

فقد قال: «إذا تأكدنا من أن الخطأ قد وقع من المؤلف، فإننا لا نصلحه في متن الكتاب، وإنما نبقي عليه كما هو، ونشير إلى وجه الصواب فيه في هوامش التحقيق»[٤].

أقول: إني لا أميل إلى الأخذ بهذا الرأي، لأنه إذا كان الهدف من التحقيق ردّ النص إلى الصورة التي عليها حين أصدره مؤلِّفه، ثم إخراجه على الوجه الصحيح، فلا بدَّ من إصلاح الخطأ الذي وقع فيه



٤- مناهج تحقيق التراث، ص ٩٨.

المؤلف أو الناسخ في متن الكتاب، ثم نشير إلى هذا الخطأ في هوامش التحقيق.

لأنه لو افترضنا أن المؤلف أو الناسخ قد قال في المخطوط: جاء أربعين رجلًا، والصواب أن يقول: جاء أربعون رجلًا، تساءَلْنا ما عمل المحقق؟ ولهذا أكرر وأقول: عمل المحقق أن يحقق النص على الوجه الصحيح، وأن يعمل على إصلاح هذا الخطأ الذي وقع في متن الكتاب، وأن نذكر وجه الصواب في متنه، وأن نثبت ما وَقَعَ مِنْ سَهْوٍ في الحاشية.

مصادر المؤلف:

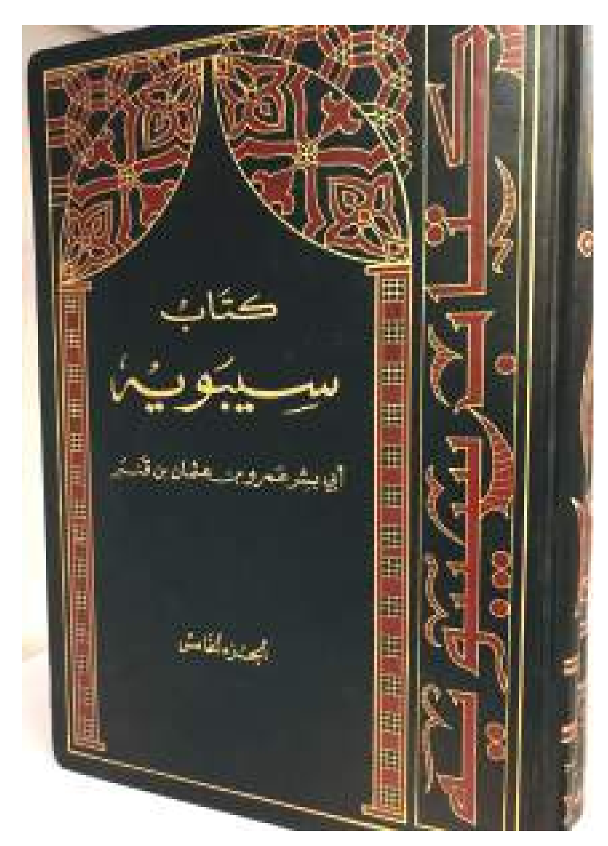
من أهم وسائل تحقيق النص مراجعته على مصادره، التي استقى منها المؤلف مادته العلمية.

وإن إهمال الرجوع إلى مصادر المؤلف، ليؤدي إلى كثير من الأوهام والخلل في تحقيق النص، والإبقاء على ما أصابه من تحريف وتصحيف، أو سقط واضطراب[٥].

ولتوثيق نصوص الكتاب، وتعرُّف مصادر المؤلف، يحسن أن يراجع المحقق نصوص الكتاب على أبرز كتب النحو والتصريف – المطبوعة – المؤلفة في المدة السابقة على المؤلف.

فإذا كان المخطوط في النحو والصرف مثلاً، يفضل مراجعة الكتب الآتية:

الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، والأصول لابن السّرّاج، وكتب أبي عليّ الفارسيّ: الحُجَّة، والشّعر، والإغفال، والإيضاح، والتكملة، والعَضُديَّات، والحلبيَّات، والعسكريَّات، والبغداديَّات، والشِّرازيَّات، والبصريَّات، والمنثورة، والتَّعليقة، ومقاييس المقصور والممدود، والجمل للزجاجي، والتصريف الملوكي، وسر صناعة الإعراب لابن جني، والمفصل للزمخشري،



وأمالي ابن الشّجريّ، والإنصاف لأبي البركات الأنباري، وشرح المفصل لابن يعيش، والشافية لابن الحاجب، والممتع في التصريف لابن عصفور، وشرح الشافية الكافية لابن مالك، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، وارتشاف الضرب وكلاهما لأبي حيان، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

تخريج الشواهد:

النصوص التي ينبغي تخريجها في الكتاب المحقق:

١– الآيات القرآنية.

٢– الأحاديث.

٣– الأمثال العربية.

٤– الأشعار.

٥– الأعلام.

٦– الأمكنة والبقاع والجبال والأودية وما إليها.

ويستعان في تخريج الآيات القرآنية من مواضعها

٥– مناهج تحقيق التراث، ص ٩٩.

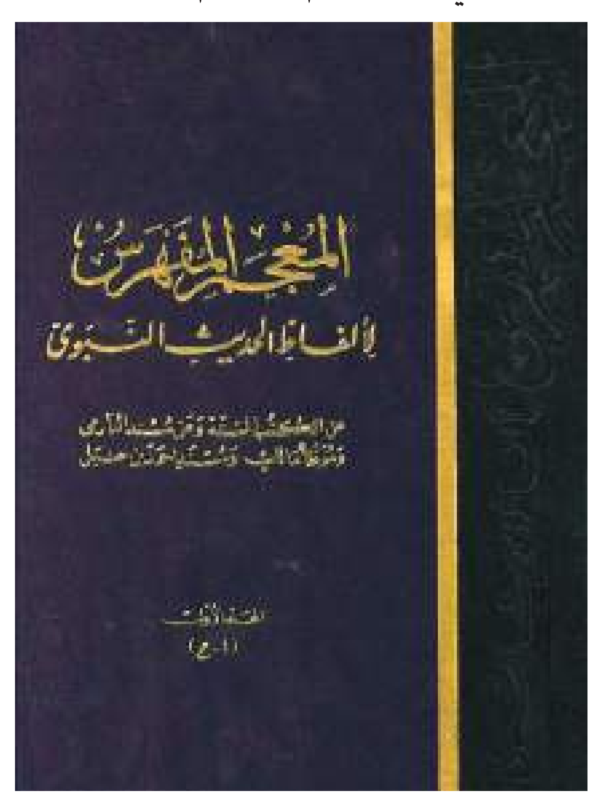
من المصحف بكتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، وغيره.

وينبغي أن نشير إلى اسم السورة ورقم الآية.

أمّا القراءات المتواترة فنُخَرِّجُها مِنْ مظانِّها: السَّبعة لابن مجاهد، والمبسوط في القراءات العشر لابن مهران الأصبهاني، وكتب معاني القرآن للأخفش وللزّجّاج وللفرَّاء وللنّحّاس، وكتب أعاريب القرآن ولا سيَّما البحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسيِّ (ت ٧٤٥ هـ).

أما القراءات الشاذة، فنستعين في تخريجها بكتاب: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه، والمحتسب في تبيين وجوه القراءات لابن جني.

أما تخريج الأحاديث النبوية فيستعان في تخريجها بكتاب: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وموطأ الإمام مالك، والجامع الصغير للسيوطي، وغريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلّام، وغريب الحديث



لابن قتيبة، والفائق في غريب الحديث للزمخشري، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

والأمثال العربية يستعان في تخريجها بكتب الأمثال، وذلك مثل: الأمثال لأبي عُبيد، ومجمع الأمثال للميداني، والمستقصى للزمخشري، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، وأمثال العرب للمفضل الضّبي، والأمثال الصّادرة عن بيوت الشّعر لحمزة الأصفهانيّ، والأمثال المولَّدة للخوارزميّ، وغير ذلك.

الشاهد الشعري: حظيت الشواهد الشعرية باهتمام كبير من الباحثين، فقد لاحظوا أن الشاهد النحوي في كتب النحو يختلف عنه في كتب الأدب، وديوان الشاعر أحياناً، «فإذا كان لا بدَّ من رواية صحيحة للبيت فلتكن تلك التي في ديوان الشاعر، أو في كتب الأدب، وما عدا ذلك يعدّ خطأً أو تحريفاً للرواية» وهو قَوْلٌ لا يخلو من شَطَط أَوْ غُلُوّ[٦].

وخلاصة القول لا بدَّ أن يرجع المحقق إلى ديوان الشاعر إن كان له ديوان، وإذا لم يكن له ديوان فإنه يستعين بالرجوع إلى المصادر الآتية:

جمهرة أشعار العرب، والأصمعيات، والمفضليات، وحماسة أبي تمام، والحماسة البصرية، وحماسة البحتري، والأشباه والنظائر للخالديين، وحماسة ابن الشجري، وغير ذلك.

فإن الاطلاع على مثل هذه المصادر يجعل الباحث واسع الاطلاع، ومتمكناً من تقويم ما اعوجَّ من نصِّ المخطوط.

تخريج الأمكنة:

وهذا يقتضي الرجوع إلى كتاب معجم ما استعجم لأبي عُبيدٍ البكريِّ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي،

٦- انظر مقدمة كتاب تغيير النحويين للشواهد، د. محمد علي فاخر.

والأماكن للحازميِّ، وبلاد العرب للُغْدة الأصفهانيّ، وصورة الأرض لابن حوقل، والروض المعطار للحميريّ. ولتاج العروس للزَّبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ) عنايةٌ بضبط أعلام المواضع وتحليتها.

تخريج الأعلام:

يقع التحريف أو التصحيف في أسماء الأعلام كثيراً، وهذا الأمر يقتضي الرجوع إلى كتب التراجم، مثل: معجم الأدباء لياقوت الحموي، ووفيات الأعيان لابن خَلِّكان، وبغية الوعاة للسيوطي، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلّام الجمحيّ، وسير أعلام النُّبلاء للذهبيّ، وإنباه الرُّواة للقفطيّ، وغير ذلك. ويُذْكر أنَّ رجال كلِّ علْمٍ مِنَ العلوم أُفْرِدُوا في تصانيف على حِيالها.

وهكذا نرى أن تحقيق النص يتطلب معرفة واسعة بالمصادر العربية، والإفادة منها في تصحيح النص.

التصحيف والتحريف:

التّصحيف والتحريف مِنْ أخطر قضايا تحقيق النُّصوص، لأنَّها وثيقة الصّلة بسلامة النّصّ وتأديته على نحوٍ قريبٍ من السَّلامة.

والتصحيف: تغييرٌ في نَقْط الحروف أَوْ حركاتها مع بقاء صورة الخطِّ، نحو: نَمَتْ ونِمْتُ، والثّوريّ والتَّوَّزيّ، ولعلَّه ولعلّة.

والتحريف: العدولُ بالشّيْءِ عن جهته؛ بالزيادة في الكلام أَوِ النَّقص منه أو تبديل بعض كلماته أَوْ حَمْله على غير المراد منه.

على أَنَّ الأقدمين رادفوا بين المصطلحين.

وقد اجتهد الدكتور محمود الطناحيّ في التماس الأسباب الّتي أدّت إلى التصحيف والتحريف، فانتهى إلى أنَّها عشرة أسباب[٧]:

١- تشابه رسم الحروف وتساويها عدداً مع إهمال النَّقْط: مثال قول عُمر: لا يُوَرَّثُ حَمِيْلٌ إلّا ببيِّنة. صُحِّفَ إلى: لا يرث جميلٌ إلّا بُثينة.

٢- اختلاف الخطّ بين مشرقيّ ومغربيّ: فالمغاربة ينقطون القاف بنقطةٍ واحدة من فوق، والفاء بنقطة واحدة من تحت.

٣- عدم المعرفة بلغات القبائل: مثال «تحسبُ عنِّي نائمة» يريد: تَحْسَبُ أَنِّي نائمة، على لغة تميم في إبدالهم العينَ من الهمزة، وهي العنعنة، فصُحِّفَ إلى: تحسب عيني نائمة!

٤- قُرْبُ الحروف وبُعْدُها في الكلمة الواحدة، أو الكلمتين، فتهجم العينُ على الكلمتين، فتقرؤهما كلمةً واحدةً، أَوْ تلتقط جزءاً من الكلمة الواحدة، فتقرؤه كلمةً مستقلّة. مثال:

على ظَهْرِ عاديٍّ تُحَارِبُهُ القطا
إذا ساقَهَ العَوْدُ الديافيُّ جَرْجرا

صوابه: تحارُ بِهِ القطا.

ومنه: والجرُّ: أصلُ الجبل. صوابه: والجُراصِلُ: الجبل.

٥- خداع السَّمْع أو التَّصحيف السّمعيّ: يقع من طرق الإملاء. مثاله:

كأَنَّ في ريقته لمّا ابتسمْ
بلقاءةً في الخيل عَنْ طِفْلٍ مُتِمّ

صوابه: بلقاءَ تَنْفي الخيلَ عَنْ طِفْلٍ مُتِمّ. تنفي: أَيْ تَطْرُدُ.

٦- خفاء معنى الكلمة عند الناسخ أو القارئ، فيعدل إلى كلمة مأنوسة.

مثال: قال عمر: اللّهمّ إنّا نتقرّبُ إليك بعمِّ نبيِّك وقَفيَّةِ آبائِه، وكُبْرِ رِجَاله.

٧- مدخل إلى نشر التُّراث العربيّ، للدكتور محمود الطّناحيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م. ص ٢٩٩ - ٣١٣.

قوله: قفيّة آبائه، أي تلْوُهم وتابعُهم الذي يقفوهم. صُحِّفَ في بعض الكتب إلى: وبقيّة آبائه.

٧- الجهل بغريب كلام العرب. مثال: احتُضِرَ سنةَ كذا. صوابُهُ: اخْتُضِرَ بالخاء المعجمة؛ يقال: اخْتُضِرَ الشابُّ: أي مات فتيًّا؛ كَأَنَّهُ أُخِذَ طَرِيّاً غَضّاً.

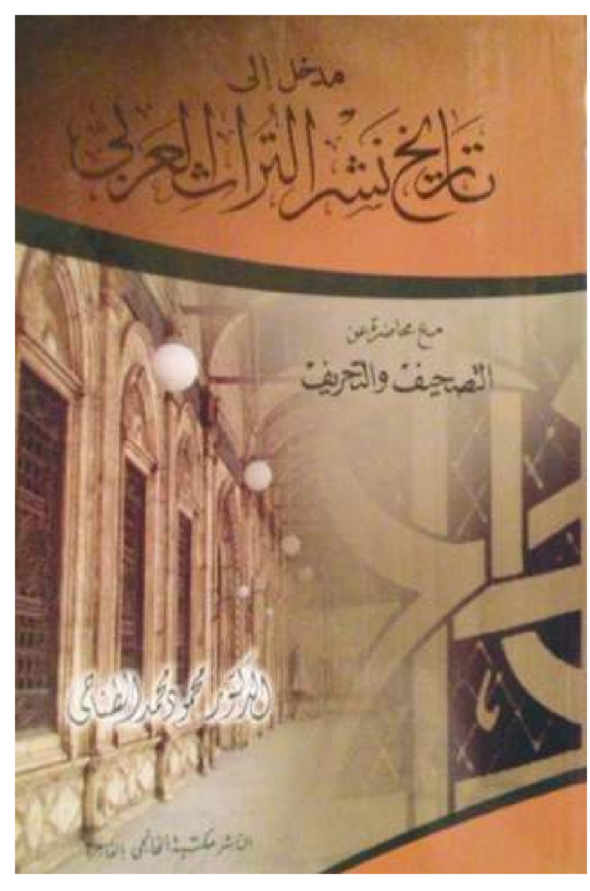
٨- الجهل بمصطلحات العلوم. مثال: وفَقَدَ سُمْعَتَهُ في البلد الفلانيّ. صوابه: وفَقَدَ أَسْمِعَتَهُ، أي سماعاته ومرويَّاته التي حصّلها من شيوخ ذلك البلد، والأَسْمِعَةُ جَمْعُ سَمَاع.

٩- الجهل بأسماء البُلْدان. مثال: بقراءتي عليهما، ببيتٍ لها مِنْ غوطة دمشق. صوابه: بِبَيْتِ لِهْيا، قرية مشهورة في غوطة دمشق.

١٠- الإِلف. مثال: يقولون في ترجمة ابن النَّفيس الطبيب المشهور: عليّ بن أبي الحزم القُرَشيّ. صوابه: القَرْشِيُّ، نسبة إلى قَرْش، وهي بلدة فيما وراء النَّهر. ويقولون: عُبيدة بن عمرو السَّلْمانيّ الفقيه الكوفيّ (ت ٧٢ هـ)، وهو عَبِيدة، بفتح العين وكسر الباء.

وإتماماً للفائدة العلمية في تحقيق التراث، فإن أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب، قد عدَّ عدة مقالات في تحقيق التراث، وأودّ أن أذكر شيئاً منها.

يقول: وكتاب: «**رسائل في اللغة**» الذي نشره الدكتور إبراهيم السامرائي، يضم أربعة كتب مهمة في نصوص اللغة؛ أولها كتاب: «**خلق الإنسان**» لأبي إسحاق الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ. وثانيها: كتاب «**القول في ألفاظ الشمول والعموم والفيصل بينها**»، لأبي علي المرزوقي المتوفَّى سنة ٤٢١ هـ. وثالثها: كتاب «**ما يذكر وما يؤنث من الإنسان واللباس**» لأبي موسى الحامض المتوفَّى سنة ٣٠٥ هـ. ورابعها: «**مقتطفات من كتاب المسائل والأجوبة**» لابن السِّيْد البطليوسيِّ المتوفَّى سنة ٥٢١ هـ.



وفيما يلي نماذج من المآخذ التي أخذها على تحقيق الكتاب الأول، وهو: «**خلق الإنسان**» لأبي إسحاق الزجاج.

أولاً: في ترجمة «**الزجاج**» لم يرَ الدكتور السامرائي كتاب بروكلمان «**تاريخ الأدب العربي**»، ولذلك فاته ذكر كتبه المخطوطة التي ذكرها بروكلمان، وهي: «**الإبانة عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم**»، و«**معاني القرآن**» و«**حروف المعاني**».

ثانياً: لم يهتمّ الدكتور السامرائي بالترجمة للأعلام الواردة في النص: فصحّف وحرّف في كثير من هذه الأعلام، مثل: وأخبرنا الشيخ أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن سوّار المقرئ. وصوابه كما في المخطوطة دار الكتب: «أبو طاهر بن علي بن عبيد الله ابن سوّار المقرئ».



الفهارس الفنية للنص المحقق

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الأمثال.

٤- فهرس الشواهد الشعرية.

٥- فهرس الأعلام.

٦- فهرس القبائل.

٧- فهرس الأماكن.

٨- المصادر والمراجع.

٩- فهرس الموضوعات يكون ترتيبها حسب ورودها في الكتاب المحقق.

والآيات القرآنية ترتب وفق ورودها في المصحف، لا حسب ورودها في النص المحقق. والأحاديث الشريفة ترتب حسب أول حرف في أول كلمة وردت فيها.

وفي الشعر ترتب قوافي الشعر ترتيباً هجائياً على حروف الروي، وفي داخل كل حرف يكون الترتيب بالرويّ الساكن فالمفتوح فالمضموم فالمكسور، ثم ترتب كل حركة على حسب البحور بترتيب الخليل بن أحمد[٨].

٨- انظر مناهج تحقيق التراث، ص ٢١٤.

ويصبح عمل المحقق جاهزاً، وذلك بعد أن ينجز المقدمة ثم الفهارس الفنية.

المقدمة: هذه المقدمة تتضمن حياة صاحب الكتاب، وبيان قيمة الكتاب، وفائدته.

وحياة صاحب الكتاب تتضمن الأمور الآتية:

١- اسم صاحب الكتاب وتاريخ تأليفه.

٢- نشأته ووفاته.

٣- شيوخه.

٤- تلاميذه.

٥- مكانته العلمية.

٦- مؤلفاته، مع بيان المطبوع، والمخطوط منها.

المراجع

١- تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.

٢- تغيير النحويين للشواهد، للدكتور علي محمد فاخر، القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

٣- مدخل إلى نشر التُّراث العربيّ، للدكتور محمود الطّناحيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.

٤- مناهج تحقيق التراث، للدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

إنجازات ابن ماجد في الملاحة البحريّة

د. عبَّاس مرهج فرج*

أسهمت البيئة الجغرافيـة العربية الغنيـة بصحاريها وجبالها وبحارهـا وسهولها في خلق منـاخ فكري وعلمي واستكشافي، فقد امتاز العرب قديمـاً بنصيب وافر من حب العلم، والسعي من أجل تحصيله، والإقبال على مصاحبة العلماء، ومكابدة أعباء السفر، والصبر على مخاطر المغامـرة والترحـال في سبيل طلب المعارف المختلفة التي تُسهـم في بناء الأمم وتقدّم الحضارة الإنسانية عامة.



* مدرِّس في قسم التاريخ، كلّيّة الآداب الثّانية، جامعة دمشق.

إن موقع البلاد العربية المُحاط بالبحار والمحيطات من مختلف الجهات فرض على العرب التغلب على رهبة الماء، والإصرار على ركوب البحر طلباً للتجارة والسفر والاستكشاف، من هنا نمت معارفهم حول عالم البحار والمحيطات ووسائل الإبحار، وكان لهم أثر في تطوير وسائل الرصد والملاحة: مثل الإسطرلاب، والبوصلة المعروفة بالحُقَّة أو بيت الإبرة، ولمع من بينهم ملّاحون وبحّارة يشهد لهم التاريخ بالجسارة والفضل وتوطيد أركان الملاحة العربية وعلومها.

نبتغي في هذا المقام أن نضيء على جهود أحد العلماء العرب وأشهر ملّاحيهم الذين خلّفوا للحضارة العربية والإنسانية مؤلّفات قيّمة في مجال الملاحة البحرية، والجغرافية، وعلم الفلك، والشعر، وغير ذلك من العلوم المختلفة، وهو الملَّاح العربي أحمد بن ماجد بن محمَّد السعدي بن أبي الركائب النجدي، المعروف بلقب شهاب الدين، وأسد البحر الهائج، والسائح[١]، وناظم القبلتين، وحاجّ الحرمين، والمعلِّم العربي، ورابع الثلاثة[٢]، وكثرةُ الألقاب تدلُّ على شرف الملقَّب بها.

ينتسب ابن ماجد المولود في جلَّفار الواقعة على الساحل الجنوبي من الخليج العربي (الخليج العُماني) سنة ٨٣٦هـ، إلى عائلة مرموقة ومشهورة في ميدان الملاحة البحرية، فشبَّ ابن ماجد على حبِّ الملاحة منذ نعومة أظفاره، وصَحِب والده في رحلاته، وقاد المراكب وهو في العاشرة من عمره، وحصَّل معرفة كبيرة بمطالع النجوم الملاحية ومغاربها وهو في سن السابعة عشرة[٣]، وها هو يفتخر بنفسه في مؤلَّفه حاوية الاختصار[٤]، ويعرِّفنا بشغفه بطلب العلم، إذ يقول:

قد راح عمري في المطالعات
وكثرة التساؤل في الجهات
وكم رأيت في خطوط الشول[٥]
ونظمه والنثر والفصول
وكم نظرت في الحساب العربي
وحسبة الهند منذ كنت صبي

نستشفُّ من هذا النظم أن ابن ماجد قد عاش وترعرع في مجتمع عربي مطَّلع على الثقافة الهندية نتيجة اتصاله بها ومعرفته بعلومها التي حصل عليها بالسفر واجتياز البحار، ما يعني أن الفاصل المائي بين العرب والهند لم يكن حائلاً دون تواصلهما وتفاعلهما.

كما لمع نجم ابن ماجد وذاع صيته، حتى فاق، في مجال قياس مواقع النجوم، علم أبيه وجدِّه، وقد ألمح إلى ذلك في مؤلَّفه «**الفوائد في أصول علم البحر والقواعد**»:

«كان جدّي عليه الرحمة محققاً ومدقِّقاً، وزاد عليه الوالد بالتجريب والتكرار، وفاق علمه علم أبيه، فلما

١- الدفاع علي بن عبد الله، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية، كتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، ص٢٣٣.

٢- فارس محمد، موسوعة علماء العرب والمسلمين، الطبعة الأولى، الموسوعة العربية للطباعة والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عُمان، ١٩٩٣م، ص٤٩.

٣- الدفاع علي بن عبد الله، المرجع نفسه. الملاحون الثلاثة المشهورون في البحر قبل ابن ماجد هم: محمد بن شاذان، وسهل بن أبان، وليث بن كهلان.

٤- يُعدُّ مؤلَّف حاوية الاختصار في أصول علم البحار من المؤلَّفات المُهمّة التي ألَّفها ابن ماجد، وقد ضمَّنه كل معارفه عن البحر في أيامه، ولا سيما من الناحية التقنية التي تفيد الملَّاح، وتيسِّر له سبل السير في أودية البحر ودخول الموانئ إلى جانب القياسات الفلكية للنجوم الملاحية المختلفة، ومواعيد فتح البحر وغلقه.

٥- الشول أو الشوليان: طائفة من الهنود يقطنون على الساحل الشرقي للهند (ساحل كروماندل)، انظر: عبد العليم أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة كتب عالم المعرفة، العدد ١٣، ١٩٧٨م، الكويت، ص١٩٥.

جاء زماننا هذا وكرّرنا وكنت قريباً من أربعين سنة، انكشف لنا عن أشياء وحكم».

يتضح لنا من الاقتباسات السابقة أن ابن ماجد هو وريث عائلة لها باع طويلة في الملاحة البحرية، ولا سيما أن أباه قد لُقِّب برُبَّان البَرَّين (**برِّ العرب وبرِّ العجم**).

أما عن سمات ابن ماجد التي كانت سبباً في نجاحه، فقد عُرِف عنه، كما وصفه الباحث أنور عبد العليم[٦]: أنه قضى أغلب حياته في البرِّ يتنفَّسُ الهواء النقيّ، ويعيش عيشة بسيطة، متفرِّغاً للعلم والعمل، لا يشغل باله بمظاهر الدنيا وزينتها، فقد كان – رحمه الله – عفيف النفس وَرِعاً، تقيّاً، مخلِصاً لربِّه ومهنته، زاهداً بالمال، رجل بحر، مجرِّباً، موهوباً، خبيراً بالنجوم، وبمسالك الملاحة الساحلية في أعالي البحار، وبالبحر وعواصفه وتقلّب أحواله، مشغولاً بقياساته الفلكية التي أنفق عمره فيها.

كان لنشأة ابن ماجد على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية المتاخِم للمحيط الهندي والموازي للخليج العربي، أثرٌ كبير في توجّه ابن ماجد إلى الملاحة العالمية، لأن الطرق المائية العالمية النشِطة كانت تمرُّ آنذاك بالخليج العربي ثم ببلاد فارس.

وقد ترك ابن ماجد مجموعة قيّمة من الكتب والرسائل[٧] تتناول علوم البحر والملاحة وفنونهما، وقد فاقت الخمسة والعشرين مخطوطاً، معظمها منظومٌ شعراً، وبعضها نثري، وهي:

١– أرجوزة برّ العرب في خليج فارس (مئة بيت).

٢– أرجوزة في قسمة الجمّة على أنجم بنات نعش (مئتان وواحد وعشرون بيتاً).

٦– عبد العليم أنور، ابن ماجد الملاح، أعلام العرب، العدد ٦٣، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٧– عبد العليم أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص١٢٢.

٣- أرجوزة في النتخات لبرِّ الهند وبحر العرب (مئتان وخمسة وخمسون بيتاً).

٤- أرجوزة مخمَّسة في شؤون البحر (سبعة عشر بيتاً).

٥- الأرجوزة المعرَّبة (مئة وثمانية وسبعون بيتاً).

٦- البليغة في قياس السهيل والمرامح (أربعة وستون بيتاً).

٧- التائية (خمسة وخمسون بيتاً).

٨- تصنيف قبلة الإسلام في جميع الدنيا، وتُسمَّى أيضاً تحفة القضاة (مئتان وخمسة وتسعون بيتاً).

٩- حاوية الاختصار في أصول علم البحار (ألف واثنان وثمانون بيتاً).

١٠- الذهبية في المرق والمغزر (مئة وثلاثة وتسعون بيتاً).

١١- السبعية في سبعة علوم من علم البحار (ثلاثمئة وسبعة أبيات).

١٢- ضريبة الضرائب في القياسات الفلكية (مئة واثنان وتسعون بيتاً).

١٣- عدّة الأشهر الرومية (ثلاثة عشر بيتاً).

١٤- الفائقة في قياس الضفدع وقيده سهيل (سبعة وخمسون بيتاً).

١٥- القافية في قياس النجوم المشهورة (ثلاثة وثلاثون بيتاً).

١٦- القصيدة المكيّة (مئة وواحد وستون بيتاً- السفر من جدّة لسواحل المحيط الهندي).

١٧- كنز المعالمة في علم المجهولات بالبحر (واحد وسبعون بيتاً).

١٨- كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (في العلوم البحرية).

١٩- كتاب المول (سواحل المحيط الهندي).

٢٠- المعلقيّة (أرجوزة من مئتين وثلاثة وسبعين بيتاً تصف المجاري وقياساتها من برِّ الهند إلى برِّ سيلان وناج باري وسمطرة وبرِّ السيام وملعقة وجاوة وما كان في طريقهم من الجزر والشِّعاب).

٢١- السفالية (أرجوزة من ثمانمئة وسبعة أبيات تصف المجاري والقياسات من مليبار وكنكن وجوزات والسند والأطواح إلى السيف الطويل والسواحل والزنج وأرض السفال والقمر وما إلى ذلك).

٢٢- ميميّة الأبدال (أربعة وستون بيتاً – ارتفاع النجوم بست طرق متنوعة).

٢٣- الهادية (مئة وخمسة وخمسون بيتاً في قياس النجوم والنتخات والأسفار).

٢٤- نادرة الإبدال (سبعة وخمسون بيتاً في الواقع وذبان العيوق).

٢٥- الفصول (وعددها تسعة متنوعة المواضيع).

سنتوقَّف بعد هذا الاستعراض السريع لمؤلَّفات الملَّاح ابن ماجد عند أهم كتبه في المِلاحة البحرية، وهو كتاب «**الفوائد في أصول علم البحر والقواعد**»، الذي نشر مخطوطه أوَّل مرة المستشرق والباحث الأوروبي جبرابيل فران عام ١٩١٢م، يضمُّ هذا المخطوط بالإضافة إلى كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، قصيدةً طويلة هي: حاوية الاختصار في أصول علم البحار، فضلاً عن عدد من الأراجيز والقصائد التي ذكرناها أعلاه، والتي تصف مسالك الملاحة في المحيط الهندي بين الجزيرة العربية




كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد

وسواحل إفريقيا والهند والملايو وسيام وجزر إندونيسيا.

يُعدُّ هذا المخطوط أهم وثيقة في الجغرافيا الفلكية والملاحية التي وصلت إلينا من العصور الوسطى، فهي أقدم الوثائق التي اختصَّت بالملاحة في البحار الجنوبية، ولا سيما أنها تُلقي الضوء على ما بلغه العرب من تقدّم واكتشافات في عالم البحار وفنون الملاحة في تلك الحقبة الزمنية، فضلاً عمّا يحتويه هذا المخطوط من مصطلحات علمية وفنية استُخدِمت في تلك الآونة.

قسَّم ابن ماجد كتاب «**الفوائد في أصول علم البحر والقواعد**» إلى قسمين، أحدهما نظري والآخر عملي في الشؤون الملاحية والفلكية والجغرافية، وقد ضمَّ هذان القسمان اثني عشر فصلاً أطلق عليها ابن ماجد اسم الفوائد.

بيَّن ابن ماجد الغاية من تأليف هذا الكتاب في قوله: «ألَّفته وصنَّفته لركَّاب البحر ورؤسائه وفيه ما اشتبه من الحاوية (المقصود بذلك حاوية الاختصار)، وغيرها من الطالبين وسمَّيناه كتاب الفوائد، وهو مشتمِل على فوائد كثيرة غوامض وظواهر».

كما ضمَّن مقدِّمة كتابه ذكراً لفوائد علوم البحار، ومنزلتها الرفيعة بين العلوم، وحاجة الناس إليها في قضاء حوائجهم وتأدية فرائضهم، إذ قال: «إن العلوم في الدنيا أسمى مفخراً وأربح متجراً، وأجل مرتبة وأشرف منقبة: فعلوم البحر هي من العلوم التي تُعرِّف قبلة الإسلام بأصح منها، فما أوتي بالمراكب من الهند والشام والزنج وفارس والحجاز واليمن وغيرها بقصد لا يميل عن الجهة المطلوبة بأموال وأرواح، يُعد دليلاً مؤكداً

علـى أن هـذا العلم يدل على معرفـة القبلة، فيحتاج إليه أهل الفرائض».

أمـا مضمون كتـاب الفوائد فيتمحور حـول نشأة الملاحـة والإبـرة المغناطيسيـة والمشـكلات البحريـة، ودورة الريـاح والأخنان (أجزاء الدائـرة المقسَّمة إلى اثنـين وثلاثين قسماً، وكل خنّ يحمل اسماً من أسماء النجـوم) المبنية على رصد نجـم الجاه (النجم القطبي في الدبّ الأصغر)، والنجوم الدالَّة على النجم القطبي، وغير ذلك من علامات الإرشاد الملاحية، وقد وضّح ابن ماجـد في هذا الكتاب أهمية علم الملاحة، لأنه من العلوم المضبوطـة والفعلية التـي تمكِّن الرُّبَّان مـن الوصول إلى البلـد المطلـوب دون ميـل أو انحـراف، كما تُعرف بـه خطوط الطـول والعرض، وكذلك مواسـم السفر الملائمة من الموانئ المختلفة وإليها وفقاً لهبوب الرياح واتجاهها وقوتها.

يضيـف ابـن ماجـد إلى ذلـك مـا يُسمِّيـه بعلـم الإرشـادات، الذي يقصد به معـالم السواحل والجزر وخصائص المياه وطبيعـة القاع، وقدراً من المعلومات عـن الأسماك وحشائش البحر التـي تعين الربان على تعرُّف السواحل المختلفة.

يمكننـا أن نعرِّف ببعض الأساليب الملاحية التي ابتكرهـا ابن ماجـد، وأهمهـا تقسيمه خـط الاستواء وخط الـزوال إلى أصابع تبلغ مئتين وأربعة وعشرين إصبعـاً (بدلاً من ثلاثمئة وستـين درجة حسب النظام الستيني الذي عمل به بطليموس)، ذلك أنّ كل خنٍّ من دورة الريـاح يقابله سبعـة أصابع (والإصبع يساوي درجـة وسبعـاً وثلاثـين دقيقـة، أو مـا يعـادل سبعـة وتسعين ميلاً بحرياً).

كما يرجع الفضل إلى ابن ماجد في تطوير البوصلة الملاحيـة، إذ اختـرع إبرة جالسة تتحـرك حركة حرة



دون الحاجـة إلى وعاء ماء، فقد قـال في كتابه الفوائد: «ومـن اختراعنا في علـم البحر تركيـب مغناطيس على الحُقَّة، ولنا فيه حكمة كبيرة لم تُودَع في كتاب قبله».

تضمَّن كتـاب الفوائـد أيضـاً وصفـاً لسواحـل الجزيـرة العربيـة، ومدغشقـر، وزنجبـار، وجزيـرة القمر، وسومطرة، وجاوة، ومسالك البحر الأحمر.

بالإضافة إلى الموضوعـات السابقة نجد ابن ماجد قـد أولى اهتمامـه لأركان الملاحة البحريـة، التي يأتي علـى رأسهـا، وفي مقدمتهـا الرُّبَّـان أو قائـد السفينة الـذي يتحمَّـل مسؤوليـة الأرواح والأمـوال في البحر أثنـاء الإبحار، لذا يشترط ابـن ماجد في اختياره توفر مجموعـة سمـات أساسيـة، منهـا: أن يكـون ذا خلـق رفيع، ومتمكِّناً في مجال الفنون الملاحية وعلم الفلك كي يعـرف طريقـه في البحر ليلاً ونهـاراً، وأن يتدرَّب على علـوم البحر وفنون الإبحار مـن خلال مواصلة التعلم وتحصيل المعـارف، وأن يتمتَّع بطهارة النفس والبدن وحسـن النية؛ يقـول في كتابه الفوائـد: «ينبغي لك إذا ركبت البحر أَنْ تلتزم الطهارة، فإنك في السفينة ضيف من أضياف الباري عزَّ وجلَّ، فلا تغفل عن ذكره».

كما ضمّـن كتابه مجموعة وصايـا للربابنة جاءت خلاصة تجاربه وزبدة رحلاته وأسفاره، قال: «وتأمَّل في جميـع الأشيـاء لتكون عالماً بها عنـد الشدة... وكن حازماً وقوياً في كلامك وأقوالك وأفعالك، لَيِّنَ الطبيعة، لا تصحـب مـن لا يطيعك فيمـا يعنيك... وكـن شجاعاً حازماً ذا بأس، قليل الغفلة كثير الهمة».

بالإضافـة إلى سمـات الفطنـة واليقظـة الذهنيـة والقـوة والشجاعة والإقدام ثمّة سمات أخرى أوصى ابـن ماجـد بتحلـي الرُّبَّان بها مثـل: «وينبغـي للمعلِّم (الرُّبَّـان) أن يعـرف الصبر من التـواني، ويفرِّق بين العجلـة والحركـة، ويكـون عارفـاً بالأشيـاء، عزَّاماً، فتَّاكاً، ليّناً في قوله، عادلاً لا يظلم أحداً لأحد، مقيماً على الطاعـة لربه، أديباً لبيباً، كثـير الاحتمال، عالي الهمة، صبوراً، مقبولاً بين الناس».

كمـا أوصـى بضـرورة تأهيـل الرُّبَّـان نفسـه عن طريق مداومة العمـل والتحصيل، إذ قال: «فاجتهدوا فيـه (أي في علـم البحـر) فإنـه علـم نفيس لا يتـم إلا بتمام العمر»، كما نبَّـه على أهمية التجربة والمحاولة، فقد قـال: «ينبغي أن تعـرف جميع الـبرور وندخاتها وإشاراتهـا كالطـين والحشيش والحيتـان والحيات والأريـاح وتغيير الأمـواه ومـد البحر وجـزره في كل طريقة... فوالله ما صنَّفت هذه القياسات المُنتَخَبَات إلا بعد أن كررت عليهم عشرين سنة».

يلتفت ابن ماجـد إلى المسؤولية الكبيرة الملُقاة على عاتق الرُّبَّان، فقـد أكّد مراراً وتكراراً ضرورة اليقظة وقلـة النـوم، وأن يكون هنـاك نائب ينوب عـن الرُّبَّان في قيـادة السفينـة عند الضـرورة، وأوصى بضرورة الإخلاص في هذا العمل، وعـدم التهاون في ارتكاب أي خطأ، لأن الخطـأ في عمل الرُّبَّان غير مقبول ولا يُغتفَر، فهـا هو ابـن ماجد يقول: «لا تكن ذا غفلـة، فإن الخطأ فيـه داعٍ لتلـف الأرواح والأموال، وهـو أصعب شيء بعد خدمة الملـوك، وسائر العلوم خطؤها لفظي يمهلك المراجعة، وهذا لا يمهلك، والعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيَهُ كُلَّكَ».

في مقابـل ذلـك قـدَّم ابـن ماجـد مجموعـة وصايـا تحذيريـة أوصـى الرُّبَّان بتجنّـب ارتكابهـا وتفاديها، وأولهـا: «الحـذر كل الحذر مـن صاحب السـكان لئلا يغفـل عنه فإنه أكبر أعدائك، وما صنَّفت هذا الكتاب إلا بعد أن مضت لي خمسون سنة، وما تركت فيها صاحب السكان وحده إلا أكون على رأسه أو من يقوم مقامي».

كما حذَّر ابن ماجد من أخطار البحر وعلل الملاحة،

كالخطأ في رصد النجم القطبي، وعدم القدرة على تحديد موقعه.

استكمالاً للسمات التي يجب أن يتحلّى بها الرُّبَّان، ينعطف ابن ماجد إلى تقسيم الربابنة إلى ثلاث طبقات كالآتي:

١- ربَّان قليل الخبرة (يروح ويجيء سالماً وغير سالم على حد قوله).

٢- ربَّان حاذق ماهر (يسافر إلى أماكن قد جرّب السفر إليها من قبل).

٣- ربَّان خبير لا يخفى عليه شيء من مشكلات البحر، ويزيد على ذلك أن هذا الطراز الأخير من الربابنة يدوِّن خبرته في مصنَّفات ينتفع بها الناس في حياته وبعد مماته.

إلى جانب اهتمام ابن ماجد بالربابنة وسماتهم، نجده قد اهتم أيضاً بالسفينة وبحمولتها من ركَّاب وحمولة مادية، فأوصى بعدم إثقال السفينة بما يزيد على حمولتها طمعاً في مزيد من الأرباح، إذ ينجم عن ذلك التعرض للخطر والهلاك في عرض البحر، وعليه تجب صيانة السفينة باستمرار، وفحص آلاتها، وقد قال ابن ماجد في مؤلَّفه «حاوية الاختصار في أصول علم البحار»:

وجود الآلة قبل السفر
كحُقة أو قياس أو حجر
والبلد والفانوس والرهمانج
أن تكن سافرت كمن حجج
واحرص على الجلسة للقياس
لأنها للعلم كالأساس

يُوصي ابن ماجد في هذه الأبيات التي ذكرها في الفصل الأول من مؤلَّفه، أن يهتم الرُّبَّان بفحص السفينة، وتجهيز الآلات الملاحية قبل السفر مثل البلد (آلة سبر الأعماق)، والفانوس (المصباح)، وبيت الإبرة أو الحُقَّة، والمُرشِد الملاحي (الرهمانج).

كما نبَّه ابن ماجد على ضرورة معاينة المكان المُخصَّص لبيت الإبرة خشية أن يكون صانع السفينة قد أخلَّ بالقاعدة التي تحكم اتزان الآلة، فنجده يقول: «وجلِّس الحُقّة في مكانها، وتفقَّد كل التفقد أولاً في نصب الحُقّة، لأن من المراكب ما يكون في تجارته خلل، فيعدل عن مجراه، فاستدرك الأمر في أوله».

جعل ابن ماجد صيانة السفينة وإصلاح أيِّ خللٍ فيها مهما صَغُر من أولويات مهام الرُّبَّان قبل الإبحار، خشية أن يتفاقم ذلك الخلل، ويتعذّر إصلاحه في لُجّة البحر، كما أوصى بحسن اختيار الموسم الملائم للسفر في قوله: «لا ترى خللاً في السفينة وتهملها إلى وقت آخر عند الضرورة أشد ما أنت فيه وجود الموسم، واختصر الشحنة، واحسب حساب العازمين العارفين».

قدَّم ابن ماجد في كتابه «**الفوائد في أصول علم البحار والقواعد**» فوائد كبيرة لركَّاب البحر، من خلال تفصيل الحديث عن علوم الفلك والملاحة البحرية والجغرافية، إذ تحدّث عن الأخنان والمسافات والقياسات والإشارات والباشيات (ارتفاع النجوم فوق الأفق في حالات معينة)، وحلول الشمس والقمر، والرياح ومواسمها، وآلات السفينة ولوازمها، وسمات الربابنة وكفاءاتهم.

ثمّ اختتم ابن ماجد كتابه بالقول:

«وختمنا هذا الكتاب عام خمسة وتسعين وثمانمئة على الاختصار بقولي أوصيكم بتقوى الله وقلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام، ونستغفر الله في التقصير والزيادة والنقصان».

إن كتاب الفوائد الذي استعرضنا مقتطفات وجيزة

مـن صلب فصوله ومحـاوره يشـهد خـير شـهادة على جهـود هذا الملّاح وسعة معارفه، وطول باعه في الملاحة البحريـة والعلوم الأخرى التـي تلازمها، لكنه بالرغم مـن ذلك ليس المؤلَّـف الأهم والأوحد، بـل هناك قائمة طويلة من الكتب التي صبَّ فيه زبدة معارفه، فقد عُثِر على ثلاث مخطوطات أخـرى في مكتبة لينجراد، وعلى أرجـوزة علـى شـكل مخطـوط في إستانبـول، نشرها وعلَّق عليها المستشرق الروسي ثيودور شوموفسكي في موسكـو ولينجـراد سنة ١٩٥٧م، في كتـاب أسماه: «**ثـلاث زهـرات في معرفة البحار**» لأحمـد بن ماجد: ملاح فاسكـودي جاما، وقد وصـف في هذه الأرجوزة طـرق الملاحـة المختلفـة عـبر البحـر الأحمـر والمحيط الهنـدي في نهاية القـرن الخامس عشـر وبداية القرن السادس عشر الميلادي.

في الختام لا بد أن نُشيد بجهود ابن ماجد وفضله في إرسـاء قواعـد المِلاحـة وأسسـها وتقاليدهـا منذ العصـور الوسطى، ولا سيما أنه تـرك لنا مصنَّفات كثـيرة تحفـظ خلاصـة تجربتـه الملاحيـة في المحيط الهنـدي، وزبدة أسفـاره وعلومه ومعارفه، وقد خلَّد التاريـخ اسم ابـن ماجد إكرامـاً لتفانيـه وإخلاصه وتعاليمـه التي ظلّت مرعية زمناً طويلاً بين الملَّاحين، من هنا يمكن القول: إن ابن ماجد أسدى بما قدّمه من جهود ومؤلَّفات خدمة كبيرة لعلم الملاحة البحرية من جهة، وخدمة أكبر للحضارة العربية والإسلامية من جهـة أخرى، إذ مثّل مثالاً ناصعاً يشهد على مشاركة الحضـارة العربيـة والإسلاميـة في تقـدم الحضـارة الإنسانية عامة.





الدكتور صلاح الدين المنجد وجهوده في تحقيق التراث

د. محمـــود الحســـن*

المقدمة

تميَّز العرب منذ القديم بالاهتمام بسِيَر العلماء ورجال الفكر والأدب، والمكتبة العربية تذخر بكتب التراجم والطبقات، التي حفظت لنا أسماء العلماء والأدباء والشعراء، وما خلَّفوه من تراث وآثار وإنتاج فكري في مجالات الحياة كلّها.

وفي هذه الصفحات الموجزة حاولتُ الإلمام، بما يسمح به المقام وطبيعة المجلة، بسيرة عَلَم من أعلام الفكر المعاصر، هو العلامة الدمشقيّ الدكتور صلاح الدين المنجد، أستاذ المُحققِّين والمؤرِّخين، وقدوة الأدباء والمفكِّرين، ورجل العلم والثقافة الموسوعية، الذي زاد إنتاجه العلمي على مئتي عمل في مجالي التأليف والتحقيق.

ومما لا شكَّ فيه أن الحديث عن عَلَم بهذا الوزن والمستوى يحتاج إلى مؤلَّف مستقلّ، أو عدّة مؤلَّفات، ولذلك فإن ما أُقدِّمُه في هذه الصفحات ليس إلا من باب التذكير بفضله، والإشارة إلى جهوده، وتزويد القارئ بنموذج للشخصية العربية في عطائها وتفانيها في التحصيل ونشر العلم، آملاً أن أكون، فيما قدَّمته من سيرةِ هذا العالم الجليل وجهوده العلمية، قد استطعتُ أن أنقل صورة واضحة لتلك الشخصية الشامخة الفذة، والقدوة الحسنة في طريق العلم والعمل والعطاء.

حياته وسيرته العلمية[1]

وُلد الدكتور صلاح المنجد عام ١٩٢٠م في حيٍّ مشهور من أحياء دمشق القديمة يُعرَف بحَيِّ القيمرية، إلى الجنوب من الجامع الأموي الكبير.

وكان والدُه عبد الله بن محمد سليم المنجد قد انصرف منذ صغره إلى طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم، والقراءات السبع، ثم العشر، ثم الأربع عشرة، وأصبح شيخَ القرّاء والمُقرئين بدمشق. وأتقن مع القراءات العربية والتفسير والحديث والفقه الشافعي وما يتصل بالعلوم الدينية والعربية، وأجازه عدد من أكابر العلماء في دمشق،

* عضو الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية بدمشق.

١- المصدر الذي اعتمدتُ عليه في الحديث عن سيرة الدكتور المنجد هو كلمته التي تحدَّث فيها عن نفسه، وألقاها في حفل تكريمه في جدة بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨٥م، وهذه الكلمة محفوظة في إضبارته بمجمع اللغة العربية بدمشق، بين الأضابير الخاصة بالأعضاء المراسلين للمجمع.

وأخذ عنه العلم كثير من التلاميذ، وحصلوا منه على إجازات[٢].

وقد كان لرعاية الشيخ عبد الله لولده وتوجيهه له الأثر الكبير للنشأة العلمية للدكتور المنجد، وسلوكه طريق العلم والتحصيل، فدرس الابتدائية في مدرسة البحصة، التي كان يُدرِّسُ فيها والدُه، والثانوية في مكتب عنبر، ثم أتمَّها في الكلية العلمية الوطنية، وفيها من أساتذته: الشيخ محمد بهجة البيطار، والشاعر الكبير خليل مردم بك. وكان لهما تأثير كبير في شخصيته العلمية وميوله الأدبية.

وبعد حصوله على الثانوية انتسب إلى دار المعلمين العليا، وعُيِّن بعد تخرُّجه منها سكرتيرًا للتعليم العالي والفني في وزارة المعارف السورية.

وفي أثناء عمله في وزارة المعارف انتسب إلى معهد الحقوق، فقضى فيه ثلاث سنوات.

وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق تدرَّج في عدد من الوظائف: فكان سكرتيرًا للتعليم العالي، ثم رئيسًا لديوان وزارة الإعاشة، ثم رئيسًا لديوان مديرية الآثار القديمة، ثم مديرًا للآثار بالوكالة، ثم مديرًا للعلاقات الثقافية والبعثات في وزارة المعارف.

ثم أُوفِد إلى باريس للحصول على الدكتوراه، فحصل عليها في القانون الدولي العام، وفي

٢- ترجَم الدكتور صلاح الدين المنجد ترجمة وافية لوالده الشيخ عبد الله وشيوخه وتلاميذه في ذيل كتاب «دور القرآن الكريم بدمشق» لمؤلِّفه النعيمي (ت ٩٢٧هـ)، الذي حقَّقه الدكتور المنجد ونشره عام ١٩٥٩م. ثم طُبعت الترجمة في كتيِّب مستقلّ أصدرته دار البشائر بدمشق عام ٢٠١٨م.

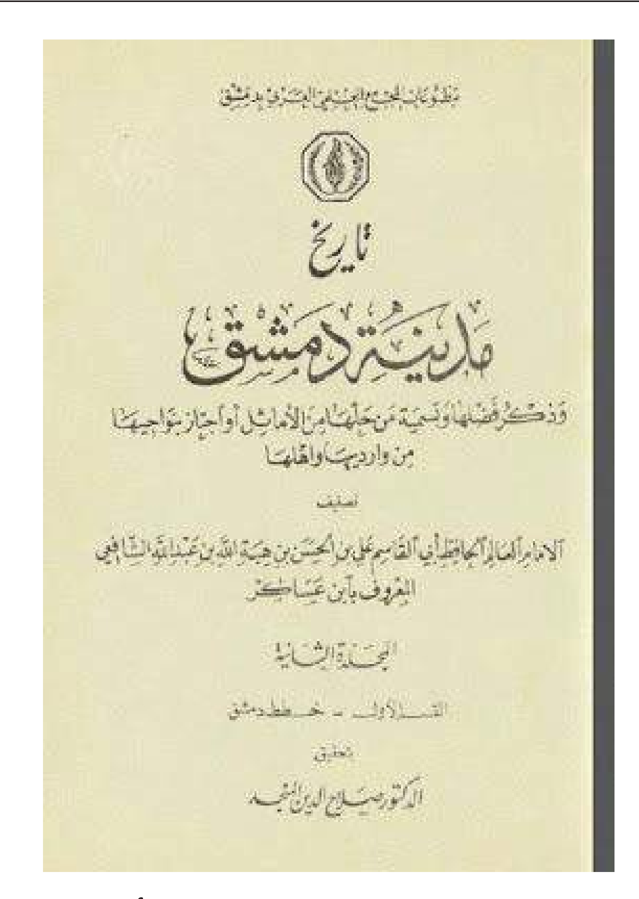


التاريخ، وكان يُتابع مع الدكتوراه دروسًا في علم المكتبات وعلم الخطوط، ويتردَّد على متحف اللوفر لدراسة الفن الإسلامي.

ولمّا عاد من باريس رُشِّحَ للعمل في جامعة الدول العربية، فتسلَّم إدارة معهد المخطوطات بالقاهرة، التابع للجامعة عام ١٩٥٥م، خلفًا للأستاذ يوسف العشّ، المدير السابق للمعهد.

وإليه يعود الفضل في استقلال المعهد عن الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، وتخصيص موازنة مالية خاصة به، وتأسيس مجلة معهد المخطوطات، واستصدار القوانين اللازمة لتنظيم عمل المعهد، وتمكينه من أداء مهامه في جمع المخطوطات وحفظها ونشرها.

واستمرَّ الدكتور المنجد في إدارة معهد المخطوطات ستَّ سنوات حتى عام ١٩٦١م،


مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

تاريخ
مدينة دمشق

وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها

تصنيف

الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي
المعروف بابن عساكر

المجلدة الثانية

القسم الأول - خطط دمشق

تحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

وكانت هذه السنوات كما يقول: «من أخصب السنوات في حياتي عملاً وإنتاجًا»، وقد ألَّف كتابًا عنوانه «**ستّ سنوات في معهد المخطوطات**» لكنّه لم يُطبع.

وقد أتاح له عمله في إدارة معهد المخطوطات زيارة كثيرٍ من مكتبات العالم في آسيا وأوربة وشمال إفريقية وأمريكية، والاطّلاع على ذخائر التراث العربي فيها، يقول في ذلك: «وتَعداد ما زُرتُه من المكتبات في العالم يطول، ولا أُبالغ إذا قلتُ إنِّي رأيتُ بعينيَّ من المخطوطات ما لم يره غيري».

وفي عام ١٩٥٩م أعارته جامعة الدول العربية أستاذًا زائرًا إلى جامعة برنستون الأمريكية، بطلب منها، فأُتيح له الاطلاع على المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبات الولايات المتحدة، وعمل لكثير منها فهارس.

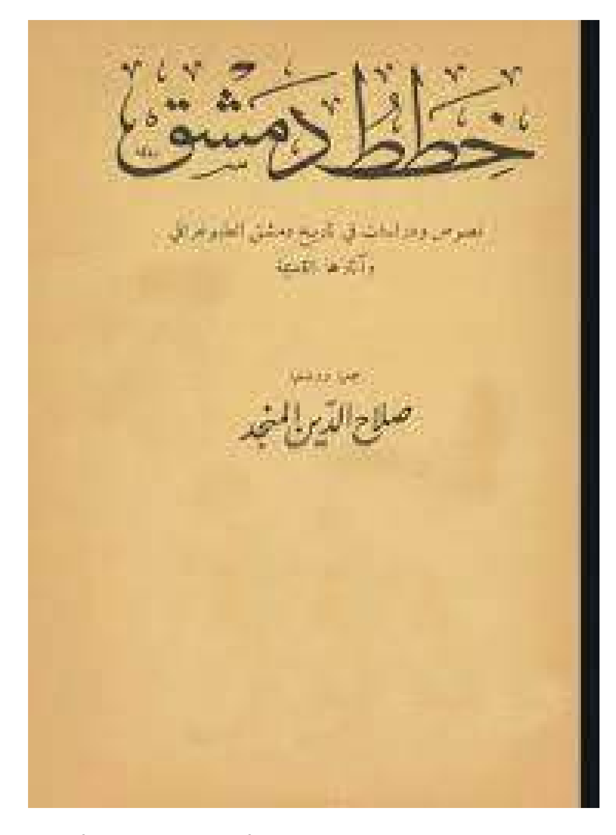
وبعد عودته من جامعة برنستون ترك إدارة معهد المخطوطات بالقاهرة، وانتقل إلى بيروت. وفي بيروت أسس دارًا للنشر سماها «دار الكتاب الجديد»، وكان غرضُه من تأسيس الدار نشرَ أعماله في التأليف والتحقيق، التي تراكمت بين يديه ولم تُنشر بعدُ.

وفي بيروت تابع مسيرة التأليف، والكتابة في الصحف والمجلات، وإلقاء المحاضرات، وكانت له زاوية خاصة في جريدة الحياة، يكتب فيها كلّ يوم، إلى غير ذلك من النشاطات الثقافية والصحفية.

وقد أغراه الجوّ العام في بيروت بولوج عالم السياسة، وإبداء الرأي في المشكلات التي تعانيها البلاد الإسلامية، فأصدر عددًا من المؤلَّفات في هذا المجال، لكنها كانت كما يقول: «كالحِمَم، وأصابَني بسببها كثير من الجروح، وأُحرِقَت مكاتبي، وخسرتُ الكثير، وكدتُ أفقدِ عمري».

ثم أجبرته ظروف الحرب الأهلية في لبنان وما تعرَّض له من أذًى، على مغادرة بيروت، والتوجُّه إلى المملكة العربية السعودية، حيث أمضى فيها بقية حياته، باحثًا ومحقِّقًا ومؤلِّفًا، حتى وافاه الأجل.

وكانت وفاته، رحمه الله، عام ٢٠١٠م، بعد



رحلة استمرت تسعين سنة، أمضاها في التأليف والتحقيق ونشر التراث العربي، وخدمة العلم والثقافة.

تتَّصف ثقافة الدكتور المنجد بالموسوعية، فكان يتمتَّع بذاكرة قويّة، ويُلِمّ بكلٍّ ما عرفه العرب من علوم دينية ودنيوية، مع إتقان للعربية، وتمرُّس في الأدب وأساليب التعبير، فهو يجمع بين عُمق الفكر، وإحاطة العلم، ورشاقة الأسلوب، والتمكُّن من فنّ الكتابة.

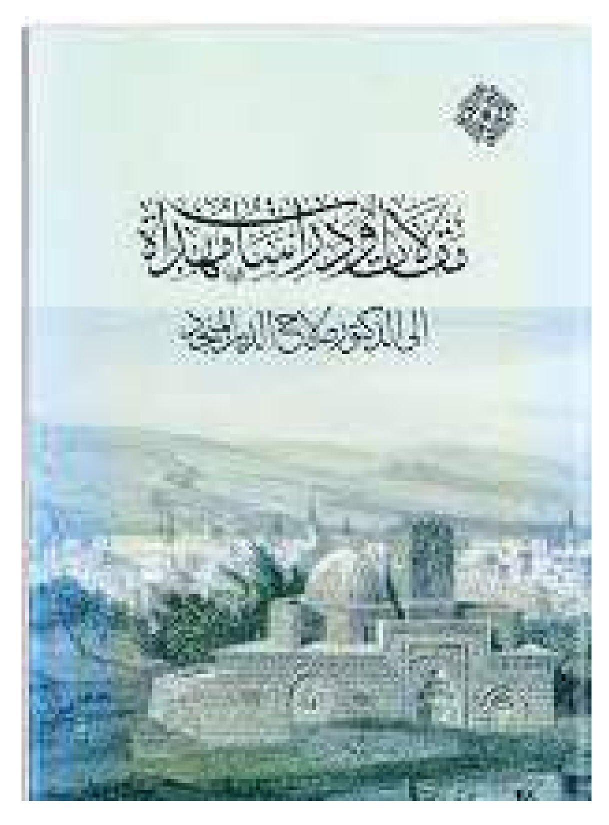
يُضاف إلى ذلك الهمّة العالية، والتفاني في نشر العلم، وأكبر دليل على ذلك رحلاته إلى مكتبات العالم، إذ كان يُمضي كلَّ أوقاته في خزائن المخطوطات، يبحث ويُنقِّب ويُصوِّر ويضع الفهارس، حتى لُقِّب بسندباد المخطوطات، فهي رحلات أمضاها في خدمة العلم والتراث، لا في خدمة رغبات النفس والسياحة.

فالدكتور المنجد اجتمعت فيه صفات عدة جعلته بحقٍّ من أعلام الثقافة وأعيان العلماء، منها: الثقافة الواسعة المتنوعة، والجدّيّة في طلب العلم ونشره، وسعة الاطلاع على التراث والمخطوطات والمؤلَّفات، والهمة العالية والنشاط اللامحدود، والتفاني في العمل، والشغف المنقطع النظير بالعلم والمعرفة والمطالعة والتأليف، والعلاقات والروابط القوية بينه وبين القائمين على المكتبات والمؤسسات العلمية، في كل دول العالم، وعلاقاته الواسعة أيضًا بكبار العلماء والمفكِّرين، وعضويته في كثير من المؤسسات والجمعيات الفكرية، ومشاركاته في كثير من الندوات والمؤتمرات في البلاد العربية والأجنبية.

وقد استطاع بهذه الصفات التي يتفرَّد بها، وهيهات أن تجتمع لغيره، وبعلاقاته العلمية، أن يُزوِّدنا بإنتاج فكريٍّ عظيم، يفوق في غزارته ما أنتجته أعرق المؤسسات العلمية، وقد أحصيتُ له في قوائم الإنتاج العلمي (١١٤) عملاً في مجال التأليف، و(٩٢) عملاً في مجال التحقيق!!

ويغلب على مؤلَّفاته وأعماله في التحقيق الصبغة الموسوعية، التي تتصف بها ثقافتُه، يُضاف إلى ذلك الإتقان في العمل، والتمكُّن من ناصية العلم، والتفنُّن في الأساليب[٣].

٣- أصدرت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن عام ٢٠٠٢م كتابًا عنوانه: «مقالات ودراسات مهداة إلى الدكتور صلاح الدين المنجد»، تضمَّن الكتاب خمسة عشر بحثًا، عن جهوده وفكره ومؤلفاته ومنهجه وأعماله في التحقيق، واحتوى البحث الأخير على قائمة بإنتاجه، وهذه القائمة موجودة أيضًا في كُتيِّب نشره مجمع اللغة العربية عن الدكتور المنجد في عام ٢٠١٥م.



رحل الدكتور المنجد رحمه الله إلى دار البقاء، وبقي بيننا عبقُ ذِكرِه ورحيق فكره وخلاصة تجاربه وفنون علمه، وكان بحقٍّ مفخرةً من مفاخر دمشق وسورية، وعَلَمًا من أعلام الفكر العربي والإبداع والتميُّز.

منهجه وجهوده في تحقيق التراث

بدأت صلة الدكتور المنجد بالتراث في العشرين من عمره، حين التقى الرئيسَ محمد كرد علي، مؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق في عام ١٩٤٠م، وقد كان العلامة محمد كرد علي صديقًا لوالده الشيخ عبد الله بن سليم المنجد الذي توفِّي عام ١٩٤٠م.

وأثمر اللقاء الأول بينهما عن تغيُّر كبير في منحى الحياة العلمية والتوجُّهات الفكرية للدكتور المنجد، إذ اتَّجه على إثره، وبتشجيع من الرئيس كرد علي، إلى الاهتمام بالتراث العربي عامة، وتاريخ مدينة دمشق خاصة[٤].

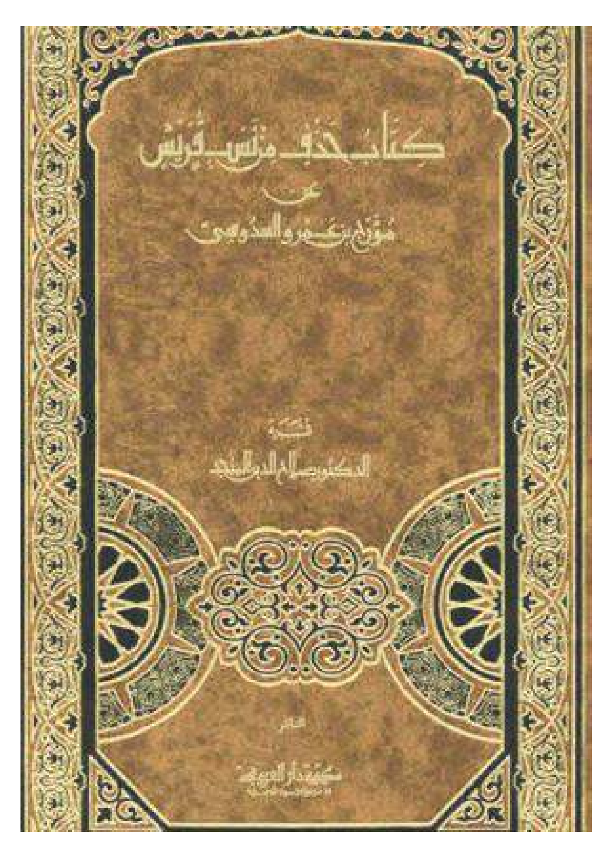
ومنذ ذلك اللقاء ازداد التصاقه بالمكتبة الظاهرية بدمشق، يطَّلع على كُتبها ومخطوطاتها، مُستفيدًا من خبرة مديرها الأستاذ يوسف العش، وكان في أثناء ذلك يتردَّد على الأستاذ كرد علي، ويستفيد من آرائه وتوجيهاته.

ومنذ عام ١٩٤٠م حتى عام ١٩٥١م حقَّق الدكتور المنجد عددًا من الرسائل التراثية، التي تتعلَّق بتاريخ دمشق، ولا سيَّما المباني والعمران، ورسمَ مخطَّطًا لمدينة دمشق، يضم أسوارها ومساجدها ومدارسها وحماماتها ومعالمها العمرانية التاريخية، وهو عمل لم يسبقه إليه أحد.

وفي عام ١٩٤٩م كان مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي سابقًا) قد شرع في

٤- ذكر الدكتور المنجد أن العلامة محمد كرد علي ألقى عام ١٩٤٠م محاضرة عن بني أمية، فحضرها الدكتور المنجد، وكتب مقالة انتقد فيها كرد علي، وأرسلها إلى أحمد حسن الزيات، فنشرها له الزيات في مجلة الرسالة المصرية، ولما نُشِرت المقالة أحسَّ بالذنب والندم لجرأته وإقدامه على نقد عالم دمشق الأستاذ كرد علي، وأخذ يُفكِّر في طريقة للاعتذار، ففوجئ بأن الأستاذ كرد علي يُرسل إليه ويطلب حضورَه، ولما حضر عنده بدأ بالاعتذار فأسكته كرد علي، وقال له: امضِ في الكتابة، فقد أعجبني أسلوبك، وسيكون لك شأن إن شاء الله، وهذه مكتبتي تحت تصرُّفك... ثم قال: قرأتُ مقالك، واستفدتُ منه في ثلاث نقاط، أما باقي الكلام فلا معنى له، وأنصحك أن تبتعد عن هذه السخافات التي يكتبها الكُتّاب المحدَثون المعاصرون، وأن تأخذ بالجِدّ.

فالمقالة التي انتقد فيها كرد علي كانت سببًا مباشرًا في لقائه وملازمته حتى وفاته سنة ١٩٥٣م. ولا يخفى ما في هذه الحادثة من دلائل على الخلق العظيم الذي يتَّصف به العلماء الحقيقيون من أمثال العلامة كرد علي رحمه الله.



مشروعه الكبير، وهو تحقيق كتاب «**تاريخ مدينة دمشق**» لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، الذي يقع في ثمانين مجلَّدًا، فكلَّف الدكتور المنجد تحقيق المجلَّد الأول، فأنجزه عام ١٩٥١م، فكان هذا التحقيق من أهم الأعمال التي أنجزها المنجد في بدايات رحلته العلمية في مجال التحقيق.

والمجلَّد الأول من تاريخ مدينة دمشق خصَّصه ابن عساكر للحديث عن أصل اشتقاق الشام وبعض نواحيها، ثم انتقل إلى الحديث عن التاريخ واشتقاقه وفائدته، واشتقاق أسماء الشهور والأيام، وختم بذكر فضائل الشام ودمشق[٥].

وقد لقي عملُه في تحقيق تاريخ مدينة دمشق استحسانَ أعضاء المجمع آنذاك، وإعجابهم بالمنهج الذي سار عليه، فكانت قيمة التحقيق لا تقتصر على إنجاز مجلَّد من هذا الكتاب النفيس فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى تأسيس منهج التحقيق الذي ما يزال يسير عليه محققو تاريخ ابن عساكر حتى يومنا هذا، مع بعض التعديل.

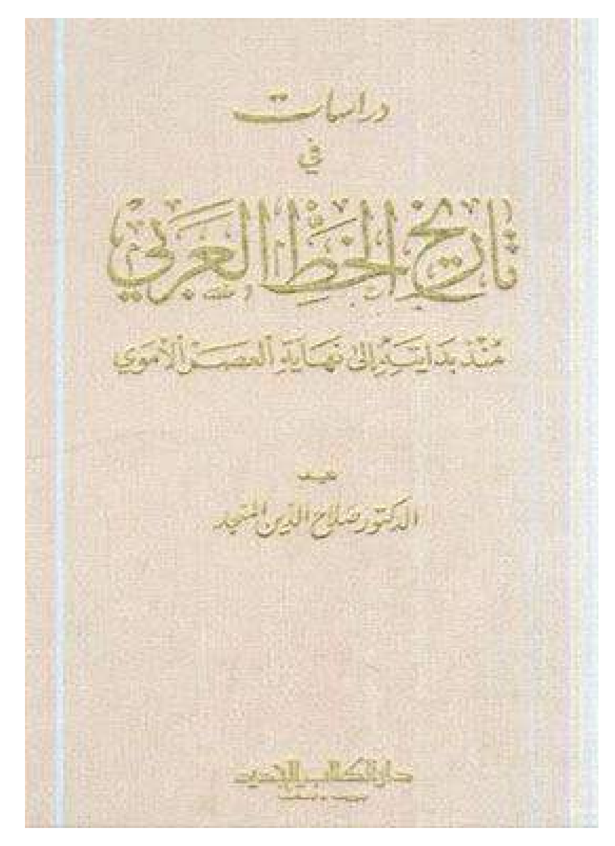
وفي عام ١٩٥٤م أنجز الدكتور المنجد تحقيق مجلَّد آخر من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، وهو المجلَّد الذي يتضمَّن خِطَط مدينة دمشق، إذ بدأ ابن عساكر فيه بالحديث عن جامعها الكبير، ثم شرع في تَعداد مساجدها في داخلها وظاهرها، وانتقل إلى الحديث عن كنائسها، ثم تكلَّم على الدُّور التي كانت داخل السور، وتلك التي كانت خارجه، ثم ذكر الأنهار المُحتفَرة للشرب وسقي المزروعات، والأقنية والحمّامات، ثم عقد بابًا ساقَ فيه ما ورد عن الحكماء والعلماء في مدح دمشق، ثم ختم بذكر أبواب المدينة ومقابرها[٦].

وبهذا يكون المنجد قد حقَّق مجلَّدين من الكتاب، وأسهم في إرساء منهج التحقيق الخاص به، في بدايات انطلاق المشروع.

وتجدر الإشارة إلى أن تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، هو أوسع تاريخ حظيت به مدينة من مدن الإسلام، تحدَّث فيه المؤلِّف عن مكانة التاريخ عند الأمم وفضائل الشام وخططها، في المجلدين الأول والثاني، كما توضَّح قبل قليل،

٥- يُنظر: تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، المجلد الأول، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، مقدمة المحقق ص٥٢.

٦- يُنظر: تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، المجلد الثاني، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، مقدمة المحقق ص١٠.



ثـم جمع في الأجـزاء التالية سِـيَر العلماء وذوي الفضـل، الذين عاشوا في الشـام أو مرُّوا بها، مع تراجمهم وأخبارهم.

ففيه أخبار الأنبياء والخلفاء والولاة والقضاة والعلماء والفقهاء والشعراء وغيرهم ممّن وُلِدوا في دمشق أو عاشوا فيها أو مرُّوا بها[٧].

وتاريخ ابن عساكر صنَّفه المؤلِّف في خمسمئة وسـبعين جـزءًا، أي إنـه كان أولاً في سـبعة وخمسـين مجلَّدًا، ثم زاد فيـه المؤلِّف، فجعله في سـبعمئة جـزء، وكل جـزء في عشريـن ورقة، ثم زاد فيه أيضًـا، فبلغ ثمانمئة جزء، أي أصبح في ثمانين مجلَّدًا[٨].

٧– يُنظر: تاريخ مدينة دمشق، المجلد الأول، مقدمة ابن عساكر ص٤.

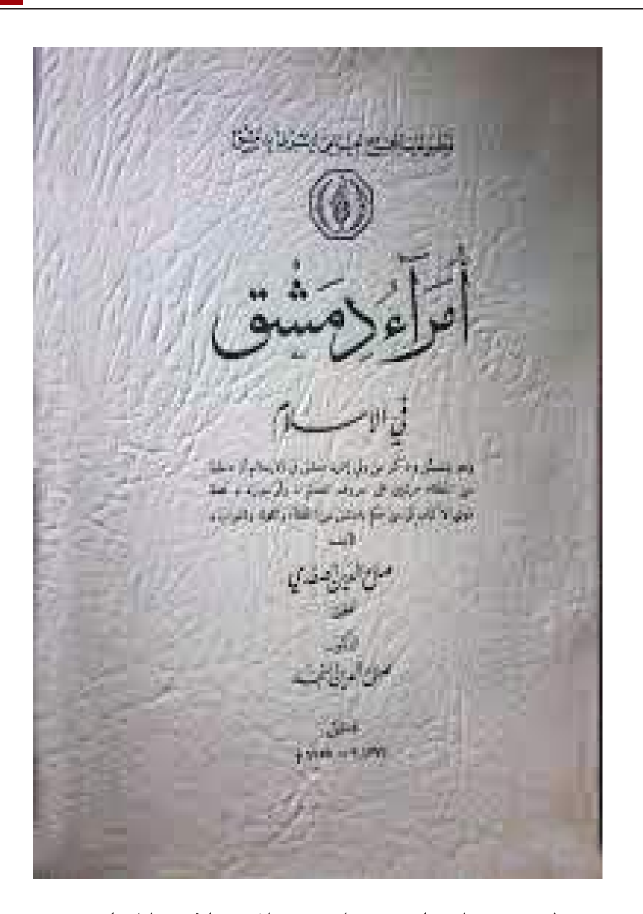
٨– يُنظر: تاريخ مدينة دمشق، المجلد الأول، مقدمة المحقق ص٣٢.

ونظـرًا لأهمية الكتاب فقـد تبنَّى مجمع اللغة العربيـة تحقيقَـه، منذ عهـد الرئيس كـرد علي، وما زال العمل في المشروع مسـتمرًّا حتى الوقت الحاضـر، وقد أشـرف المشروع علـى الانتهاء، ولم يبقَ من الكتاب سوى أجزاء معدودة مُوزَّعة على المُحقِّقين، وهي في طريقها إلى الإنجاز.

وبين المجلَّدين السـابقين كلَّفه الرئيس محمد كـرد علـي تحقيـق كتـاب «**رُسـل الملـوك ومَن يصلح للرسالة والسفارة**» للقاضـي أبي يعلى محمـد بن الحسـين، المعـروف بابن الفـراء (ت ٤٥٨هـ)، فأنجـزه ونـال عليـه من مجمـع اللغة العربية جائزة أحسن كتابٍ مُحقَّق.

وفي عام ١٩٥٥م تسـلَّم الدكتـور المنجد إدارة معهـد المخطوطـات بالقاهـرة، التابـع لجامعـة الدول العربية، كما سـلف، وبقي مديرًا له سـتَّ سنوات، حتى عام ١٩٦١م، وفي هذه المدة تعمَّقت صـلته بالمخطوطـات، وأنجـز كثيراً مـن أعمال التحقيق، بحيث يُمكـن اعتبارها المرحلة الذهبية من تاريخه الحافل في مجال التحقيق.

وقـد لمس الدكتـور المنجـد، في أثنـاء عمله في التحقيـق، وجـودَ تفـاوتٍ بـين مناهـج المحقِّقين العـرب، واضـطرابٍ في تحديـد الأغراض والأهـداف، وإهمـالٍ لقواعـد التحقيـق التـي وضعها المسـتشرقون، وانتهى إلى أن المحقِّقين يسيرون على غير هدًى، يُضاف إلى ذلك أن كثيراً من دور النشر كانت تسعى وراء الرِّبح، فطبعت كُتُبًا تراثية تفتقر إلى العناية والتحقيق بالمفهوم العلمي الدقيق.



وهذه المشكلات التي لمسها في عمل المحقِّقين دفعته في العام ١٩٥٥م، الذي تولَّى فيه إدارة معهد المخطوطات، إلى إصدار كُتيِّب مختصر بعنوان «**قواعد تحقيق المخطوطات**»، أشار فيه إلى أسبقيّة المستشرقين، وتحدَّث فيه عن الغاية من التحقيق، والملامح العامة للمنهج، والقواعد التي يقوم عليها عمل التحقيق، والخطوات التي يجب على المحقِّق مراعاتها في جمع النسخ الخطية وترتيبها، واعتماد نسخة الأصل.

ثم تحدَّث عن القواعد التي ينبغي أن يسير عليها المحقِّق عند الشروع في نسخ النص وإخراجه، وهي:

١- مراعاة قواعد الإملاء المعاصر، واستعمال علامات الترقيم.

٢- تقسيم النص إلى فقرات.

٣- تمييز العناوين بخط أكبر من الخط المعتمد في المتن.

٤- إضافة ما يحتاج إليه النص من عنوانات مناسبة ضمن عمودين [ ].

٥- المحافظة على تقسيم المؤلِّف وترتيبه وتبويبه.

٦- استعمال ما يُناسب النص من الاختصارات والرموز، مع الإشارة في المقدمة إلى ذلك.

ثم ذكر المنهج الذي ينبغي السير عليه

في الحواشي، وتتلخص أسسه فيما يأْتي:

١- تدوين الفروق بين النسخ الخطية.

٢- توثيق الآيات والأحاديث والأشعار والأمثال والنُّقول من مصادرها.

٣- التفسير اللغوي والتوضيح عندما تقتضي الضرورة.

وختم بالحديث عن الفهارس، وفائدتها، وطريقة وضعها، وهي فهرس المحتوى، والفهارس الفنية، وهذه الأخيرة هي فهارس تفصيلية للآيات والأحاديث والأشعار والأعلام التي وردت في الكتاب المحقَّق.

وتجدر الإشارة إلى أن عبد السلام هارون وضع في عام ١٩٥٤م كُتيِّبًا في قواعد التحقيق، سمَّاه «**تحقيق النصوص ونشرها**»، لكن الدكتور المنجد أخذ عليه «أنه لم يطَّلع قطُّ على ما كُتِب في هذا الموضوع باللغات الأجنبية، ليكون كتابُه تامًّا، والنهج الذي يدعو إليه كاملاً، وأنه خلط بين قواعد تحقيق النصوص، والعلوم المساعدة على التحقيق، كعلم الخطوط، أو علم المصادر، وغير ذلك، والمعروف أن هذين العِلمَين يُدرَسان دراسة طويلة على منهج علميّ، ولا يُمكن إيفاؤهما حقَّهما بصفحات»[٩].

وانطلاقًا من مآخذ الدكتور المنجد على عبد السلام هارون فقد ذكر أنه استقى قواعد التحقيق من نهج المستشرقين الألمان، ومن خطة جمعية غيوم بودة الفرنسية، ومن قواعد المُحدِّثين القُدامى في ضبط الروايات، ومن تجاربه الشخصية، وتجارب العلماء في المجمع العلمي العربي بدمشق وغيرهم[١٠].

والخلاصة أن «**تحقيق النصوص ونشرها**» لعبد السلام هارون عام ١٩٥٤م، و«**قواعد تحقيق المخطوطات**» للدكتور صلاح الدين المنجد عام ١٩٥٥م، إضافة إلى مقالين سابقين لمحمد مندور نُشرا في مجلة الثقافة عام ١٩٤٤م، هي من أوائل ما أُلِّف في مناهج التحقيق وقواعده وأُسُسه، علمًا أن ما أُلِّف في مناهج التحقيق منذ عام ١٩٥٥م حتى الآن قد بلغ المئات[١١].

ويمكن القول أخيرًا: إنَّ الدكتور صلاح الدين المنجد هو من أوائل المحقِّقين السوريين والعرب، ومن أكثرهم إنتاجًا، فضلاً عمّا يتَّصف به إنتاجُه، الذي يزيد على تسعين عملاً في مجال التحقيق، من الدقة العلمية ووضوح المنهج والدِّراية بالأعمال المحقَّقة، وتوظيف العلم والثقافة الموسوعية في خدمة التراث.

ممّا تقدَّم يظهر أن الدكتور صلاح الدين المنجد قد قدَّم للمكتبة العربية إنجازات عظيمة، وأعمالاً قيّمة، في مجالات التأليف والتحقيق والتعليم والثقافة، وهو بلا شكّ مفخرة من مفاخر دمشق وسورية، وركنٌ راسخ من أركان العلم والثقافة في العصر الحديث.

٩- قواعد تحقيق المخطوطات، للدكتور صلاح الدين المنجد، ط٧، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٧م، ص١١.

١٠- قواعد تحقيق المخطوطات ص٨.

١١- يُنظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٢، ص٢٧٦، بحث بعنوان «ما أُلِّف في مناهج التحقيق» للدكتور عباس هاني الجراخ.



ثلاثة تصحيفات أَوْدَتْ بنُصُوْصِها

محمَّد قاسم

التّصحيف تغييرٌ في نَقْط الحروف أَوْ حركاتها مع بقاء صورة الخطِّ، وهو من أَخْطَرِ قضايا التَّحقيق؛ لأَنَّ السَّلامَةَ منه عِصْمَةٌ للنَّصِّ وأَدَاءٌ له على الوَجْهِ الّذي تَقَرُّ به عَيْنُ صَاحِبِه.

وقِدْماً قال أبو عثمان الجاحظُ (ت ٢٥٥ هـ) في الحيوان ١ / ٧٩:

«ولرُبَّما أَرَادَ مُؤَلِّفُ الكتابِ أَنْ يُصْلِحَ تصحيفاً أَوْ كلِمَةً ساقطةً، فيكون إنشاءُ عشر ورقاتٍ مِنْ حُرِّ اللَّفْظِ وشريفِ المَعَاني أَيْسَرَ عليه مِنْ إتمام ذلك النَّقْصِ حتَّى يَرُدَّهُ إلى مَوْضِعِه مِنِ اتِّصَالِ الكلامِ» اهـ

المثال الأوَّل:

قال القاضي عليُّ بْنُ عَبْدِ العزيز الجُرْجَانيُّ (ت ٣٦٦ هـ) في ديوانه ١٣٢ – ١٣٣:

فَحَباك مِنْ نَسْجِ العُقُوْلِ بِغَادَةٍ ... قَطَعَتْ إليكَ مَقَاصِدًا وعُزُوما

لَمَّا تَبَيَّنَتِ الكَفَاءَةَ أَقْسَمَتْ ... أَلَّا تُغَرِّبَ بَعْدَها وتُقيما [كذا]

وهو تصحيفٌ أَزَالَ البَيْتَ عَنْ مَعْنَاهُ، وطَمَسَ صَبَاحَةَ وَجْهِه، وصَوَابُهُ:

أَلَّا تَعَزَّبَ بَعْدَها وتَئِيْما

تَعَزَّبَ: أَيْ تَتَعَزَّبَ، حَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ للتَّخفيف، تَتْرُك الزَّوَاجَ. تَئِيْمُ: آمَتِ المَرْأَةُ تَئِيْمُ: مَكَثَتْ زَمَاناً لا تَتَزَوَّجُ.

المثال الثّاني:

وَقَعَ بيت جَزْءِ بْنِ ضِرَارٍ أَخي الشَّمَّاخ في ضرائر الشّعر لابْنِ عُصْفُوْرٍ ٦٥، والبحر المحيط ٧ / ١٥١، وارتشاف الضَّرْب مِن لسان العرب لأبي حيَّان ٥ / ٢٣٩٥، والدّرّ المصون ٩ / ٢٠ على النَّحْوِ الآتي:

أَمْهَرَ منها حَيَّةً ونينانْ

والبيتُ مِنْ شَوَاهِدِ النُّحاة على زيادة «مِنْ» دُوْنَ أَنْ تُسْبَقَ بنَفْيٍ، أَيْ أَمْهَرَها.

وهُوَ في هذه الكُتُبِ مُحَرَّفٌ مُزَالٌ عَنْ وَجْهِهِ إزالَةً جَعَلَتْهُ بلا مَعْنًى.

واتَّفَقَ البيتُ في سِيَاقِ خَبَرٍ رَوَاهُ الجاحظُ في البيان والتَّبيين ٤ / ٣٤ – ٣٥ مَفَادُهُ أنَّ ضِرَارَ بْنَ ثعلبةَ ماتَ وتَرَكَ الثَّلاثَةَ الشُّعراءَ صِبْياناً، وهم: شَمَّاخٌ، ومُزَرِّدٌ، وجَزْءٌ، ثُمَّ أَرَادَتْ أُمُّهم – وهي أُمُّ أَوْسٍ – أَنْ تتزوَّجَ رَجُلاً يُسَمَّى أَوْساً، وكان أَوْسٌ هذا شاعراً، فَلَمَّا رَآهُ بنو ضِرَارٍ بفناء أُمِّهم للخطبة، تَنَاوَلَ شَمَّاخٌ حَبْلَ الدَّلْوِ ثُمَّ مَتَحَ، وهو يَقُوْلُ:

أُمَّ أُوَيْسٍ نَكَحَتْ أُوَيْسا

وجاءَ مُزَرِّدٌ، فتَنَاوَلَ الحَبْلَ، فقال:

أَعْجَبَها حَدَارَةً وكَيْسا

وجاء جَزْءٌ، فتَنَاوَلَ الحَبْلَ، فقال:

أَمْهَرَ منها لَجْبَةً وتَيْسا

فلَمَّا سَمِعَ أَوْسٌ رَجَزَ الصِّبْيَانِ بها هَرَبَ وتَرَكَها.

النِّينان: الحُوْتُ. الحَدَارَةُ: الامتلاءُ واجتماعُ الخَلْقِ في سِمَنٍ. اللَّجْبَةُ: الشَّاةُ القليلةُ اللَّبَنِ.

فانظرْ ما أَصْلُ البَيْتِ، وإلى أَيِّ شيءٍ صار بِهِ التَّصْحيفُ؟!

المثال الثالث:

قال بعض مَنْ يهجو الحَجَّاج بْنَ يوسف (إكمال تهذيب الكمال لمُغُلطاي ٣ / ٤٠٦، وغُرر الخصائص الواضحة للوطواط ١ / ١٩١):

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زَمانَ الهُزَالِ ... وتَعْلِيْمَهُ سُوْرَةَ الكَوْثَرِ
رَغِيْفٌ لَهُ فَلَكٌ دائِرٌ ... وآخَرُ كالقَمَرِ الأَزْهَرِ

يُشير الهاجي إلى أصلِ ما كان يَعْمَلُهُ الحَجَّاجُ، واسمُهُ كُلَيْبٌ، مِنْ تعليم الصِّبيان، وما يَتَقَاضَاهُ مِنْ خُبْزِ المُعَلِّمِيْنَ؛ فإنَّهُ مُخْتَلِفٌ في الصِّغر والكِبَرِ على قَدْرِ بيوت الصِّبيان.

فظاهر ما في البيت الأَوَّلِ مِنَ المعنى مستقيمٌ: تعليم الحجَّاج سورة الكوثر للصِّبيان. والصَّحيح أَنَّ تعليمَ القرآن ولو سورةً قصيرةً مِنْهُ مِمَّا لا يُهْجَى به المرءُ في ذلك الدَّهْرِ الأَوَّلِ، وصوابُهُ:

وتَعْلِيْمَهُ صِبْيَةَ الكَوْثَرِ

والكوثر: قُرَيَّةٌ في الطّائف كان الحَجَّاجُ مُعَلِّماً بها، كما ذَكَرَ ياقوتٌ في مُعْجم البُلْدَانِ.

ولهذا ما ذُمَّ مَنْ يَأْخُذُ العِلْمَ عَنِ الصُّحُفِ الّتي هي مظنَّة التَّصحيف، وامْتُدِحَ مَنْ يُثَاقِفُ العلماءَ، ويَتَلَقَّفُ العِلْمَ مِن أَفْوَاهِهِمْ؛ قال قَائِلُهم:

مَنْ يَأْخُذِ العِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً ... يَكُنْ عَنِ الزَّيْفِ والتَّصحيفِ في حَرَمِ
ومَنْ يكنْ آخِذاً للعِلْمِ عن صُحُفٍ ... فعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ كالعَدَمِ